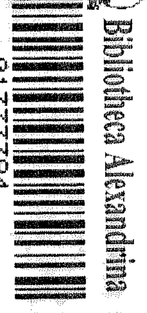
عبد الرحمن غنيم

ثلاثون عاماً من العبث

الاسرار الخفيّة لممارسات قيادة اليمين في الساحة الفلسطينية





دار الجليل

ثلاثون عاماً من العبث

○ ثلاثون عاماً من العبث
○ عبد الرحمن غنيم
○ الناشر : دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـص.ب ٤٦٤٨ ـهاتف ٤١٥٠٨٩
○ الطبعة الأولى ـدمشق ١٩٨٧

○ ٢٠٠٠ / ١٩٨٧

عبد الرحمن غنيم

ثلاثون عاماً من العبث



○ إهـداء

إلى أشبال فلسطين ، وأجيالها القادمة الذين سيظلون رغم كل ما لحق بتجربتنا النضالية الفلسطينية من العبث متمسكين بفلسطين ، وبالنضال من أجل أن تعود بكامل ترابها الوطني حرة عربيَّة ..

● **عبد الرحمن**

١ ـ الجذور القديمة لقيادة اليمين

هل كان ما اقدم عليه قادة اليمين الفلسطيني خلال السنوات الأخيرة مجرد انحراف طارىء سواء قيل ان هذا الانحراف كانت له أسبابه ودوافعه المباشرة أم لا ؟

الحقيقة التي تؤكدها الدراسة الموضوعية لدور اليمين الفلسطيني متمثلا بياسر عرفات والمجموعة القيادية المرتبطة به ، منذ بدء النشاط السياسي لهم في اوائل الخمسينات ، وللشعارات التي طرحها هذا اليمين في كل مرحلة من المراحل هي أن اليمين قد سار وفق معادلات مدروسة ، ورمى الى تحقيق غايات محددة ، جاءت مواقفه الأخيرة منسجمة ومتساوقة معها ، بحيث لا نستطيع أن نصف هذه المواقف بأنها تشكل مجرد انحراف ، وأن ننفي عنها صفة الفعل الذي يجيء عن سابق عمد وتصميم ، أو الذي ينسجم مع طبيعة مرتكبيه الاساسية ، ولا يختلف بحال من الأحوال معها ...

كيف يمكننا التدليل على هذه الحقيقة ؟

للإجابة على هذا السؤال ، لا بد لنا من العودة الى الماضي ، وتتبع خيوطه ، وتحليل عناصر الموقف فيه في ضوء تطورات مواقف اليمين ، ونماذج سلوكه في كل مرحلة من المراحل .

المرحلة الاولى المتعلقة بالحياة السياسية لقادة اليمين الفلسطينى البارزين أمثال ياسر عرفات وخليل الوزير وصلاح خلف وسليم الزعنون ، تمتد عمليا منذ اوائل الخمسينات وحتى عام ١٩٥٨ ، وهو العام الذي اعتبره هؤلاء عام تأسيسهم لحركة فتح ..

الجذر الاخواني لحركة فتح

في تلك المرحلة ، كان الموقع السياسى لهؤلاء هو ضمن جماعة الاخوان المسلمين .. وقد انتظموا فى الجهاز السري الارهابى لجماعة الاخوان المسلمين بقيادة سعيد رمضان وعبد المنعم عبد الرؤوف وكامل الشريف وكان المحور الاساسي الذي يدور حوله نشاطهم السياسى يتمثل فى العناصر التالية :

١ - مناهضة منهج الحاج أمين الحسيني واتهامه بالتصلب الذي قاد الى نكبة فلسطين .

٢ - مناهضة ثورة ٢٣ يوليو فى مصر وقيادة عبد الناصر لها .

٣ - رفض الفكر القومي والاتجاه الوحدوي العربى بدعوى أن هذا الفكر وهذا الاتجاه يناقضان الفكر الاسلامى .

.. وقد حاول بعض منظري اليمين الفلسطينى طمس حقائق هذه المرحلة ، من خلال الادعاء بأن جذور تأسيس حركة فتح تعود الى عام ١٩٥٥ حين تشكلت ما يمكن أن تسمى بطلائع الفتح فى قطاع غزة ، واضافة القول ان العمليات الفدائية الأولى التي قامت بها « طلائع الفتح » آنذاك كانت هي التي دفعت عبد الناصر الى كسر احتكار السلاح ، أي الاتجاه الى المعسكر الاشتراكي لشراء السلاح بغية مواجهة الاعتداءات الصهيونية المتكررة .

وهذا الادعاء في حد ذاته ينطوي على اعتراف بالغ الأهمية والخطورة .

ولكي ندرك مدى أهميته وخطورته . وطبيعة كونه يدلل على قدم العقلية التآمرية لقيادة اليمين الفلسطيني ، فلا بد لنا من وضع الصورة فى اطارها الصحيح .

أولا : ان الإطار التنظيمي الأكيد لقيادة اليمين في تلك الفترة كان جماعة

الأخوان المسلمين وليس اي اطار تنظيمي آخر .

ثانيا : انه لبستحيل تماما تصور اتجاه جماعة الأخوان المسلمين عقب اصطدامهم بعبد الناصر وقبل الاصطدام به ، الى ممارسة أي نشاط غايته دفع عبد الناصر الى التعامل مع المعسكر الاشتراكى . ومن ثم ، فإنه بتوجب علينا البحث في مدلول أي نشاط تكون هذه الجماعة قد مارسته ضد الكيان الصهيوني انطلاقا من قطاع غزة فى اطار آخر غير الاطار الذي ادعاه بعض منظري اليمين . وفى ضوء كون هذا النشاط قد مورس عقب اصطدام عبد الناصر بجماعة الأخوان المسلمين ، وحل تنظيمهم ، ومطاردتهم ، فان التفسير الواحد لهذا النشاط المحدود هو تعمد خلق المبررات التى تستند اليها « اسرائيل » فى تصعيد اعتداءاتها ، بهدف اضعاف عبد الناصر وإشغاله .

ثالثا : ان مما يؤكد التفسير السابق لسلوك قادة اليمين في تلك المرحلة ، ما كنا نلاحظه انذاك ، من استثمار جماعة الاخوان المسلمين لكل اعتداء تشنه القوات الصهيونية فى اثارة الهياج الجماهيري ضد عبد الناصر . ولم تسقط قدرة الجماعة على استغلال الاعتداءات الصهيونية في ممارسة مثل هذا التهييج عملياً إلا عقب الخطوات التقدمية المتلاحقة التي اتخذها عبد الناصر : كسر احتكار السلاح - تأميم قناة السويس - تنظيم العمل الفدائى بقيادة الشهيد مصطفى حافظ فى قطاع غزة وصلاح مصطفى فى عمان - وهذه الخطوة الاخيرة رفعت أسهم عبد الناصر لدى الجماهير العربية الفلسطينية الى القمة ..

وجاءت مجابهة عبد الناصر للعدوان الثلاثى لتكرس عبد الناصر زعيما وقائدا يحوز على ثقة الجماهير الفلسطينية ..

○ الموقف الاخواني في غزة

فدور ما أطلق عليها منظرو اليمين اسم « طلائع الفتح » لم يزد في سياقه التاريخى عن أن يكون دورا تآمريا مدروساً .

يرجح هذا الاستنتاج :

١ - الموقف المتخاذل لجماعة الاخوان المسلمين فى قطاع غزة وعلى رأسها أبرز قادة اليمين الفلسطيني العرفاتي الحاليين عن مواجهة احتلال

العدو لقطاع غزة عام ١٩٥٦ مواجهة مسلحة .

٢ - موقف الجماعة من مشروع تدويل قطاع غزة الذي ترافق مع اضطرار القوات الصهيونية للانسحاب من القطاع في ٧ آذار (مارس) ١٩٥٧ .

٣ - الدور الرجعي التآمري الذي قامت به جماعة الاخوان المسلمين في الأردن لضرب حكومة سليمان النابلسي والقوى الوطنية في الأردن عام ١٩٥٧ ، حيث لا يستطيع تنظيم هذه الجماعة في قطاع غزة أو مصر التنصل من مشاركته في تحمل المسؤولية التاريخية عن هذا الدور التآمري .

ومن الصعب - بطبيعة الحال - في ضوء هذا التحليل والرصد لحقائق الصورة عن موقف هؤلاء في تلك الفترة التسليم بادعاء بعضهم أن تجربة مقاومة الاحتلال في قطاع غزة عام ٥٦/٥٧ ، وأصداء الثورة الجزائرية ، كانت الحافز لهم الى التفكير في تأسيس حركة فتح ، الأمر الذي أنجزوه في عام ١٩٥٨ .

كما أن استمرار ارتباط قادة اليمين بجماعة الاخوان المسلمين بشكل علني ومؤكد لسنوات عديدة عقب عام ١٩٥٨ الذي اعتبروه عاما لتأسيس « حركة فتح » يرجح لدينا دوافع رفض ادعاءاتهم حول مبررات التأسيس ...

ما هي مبرراتنا لهذا الاستنتاج ؟

○ فصل الكفاح الفلسطيني عن العربي

اولًا - ان تجربة المقاومة في قطاع غزة - ببعدها المسلح - لم تكن تجربة الإخوان المسلمين ، وإنما كانت تجربة المناضلين البعثيين وبتعاون وثيق مع القيادة المصرية . ولم تكن هذه التجربة عميقة الى الحد الذي تترك فيه الاستنتاج الذي ادعاه منظرو اليمين حول قدرة المقاومة الشعبية الفلسطينية على مجابهة الاحتلال بمعزل عن المساندة العربية الرسمية . فقد تمثلت المقاومة المسلحة في عمليات محدودة ضد الاحتلال (وعملياً لم يدم الاحتلال الاسرائيلي للقطاع آنذاك سوى حوالي اربعة أشهر) . ثم أن

هذه المقاومة تمت بالتنسيق مع القيادة المصرية الرسمية وبمساعدتها ، ولم تجر بشكل منعزل عنها بشكل مطلق ...

○ الهجرة من غزة

ثانياً ـ ان من يرصد اتجاه حركة قادة اليمين فى تلك المرحلة يلاحظ ابتعادهم عن الساحة الجغرافية للمقاومة المفترضة ، فبعضهم غادر القطاع اثناء الاحتلال ، وبعضهم الآخر انتقل الى بلدان الخليج عقب زوال الاحتلال ، وقد ظل اتجاههم حتى أوائل الستينات هو اتجاه الهجرة باتجاه السعودية والخليج وليس الثبات في مواقعهم بالقرب من خطوط المواجهة التي يفترض أن تمارس فيها عملية البناء التنظيمي للمقاومة المسلحة ، وعملية التسلل الى داخل الأراضي المحتلة لممارسة الكفاح المسلح ضد العدو . فكيف يمكن التوفيق بين ادعاء الرغبة في خلق منظمة تمارس الكفاح المسلح لتحرير فلسطين ، وبين الابتعاد عن الارض التي يفترض أن تبنى عليها هذه المنظمة ، بحيث ذكرت بعض المصادر أن الاجتماع التأسيسي للحركة قد تم في ميونيخ بألمانيا . ولم يجر اختيار ميونيخ لهذا الغرض عبثا ، بل تم ذلك لكونها المقر الذي انتقل اليه سعيد رمضان لممارسة نشاطه منه ...

ولم تزل الى اليوم مقراً لنشاطه .

○ الصلة المستمرة مع الاخوان

ثالثا ـ بعض قادة اليمين ومنهم المرحوم محمد يوسف النجار ، لم يؤكدوا أن تأسيس فتح بالنسبة لهم عنى الانقطاع عن الارتباط بجماعة الاخوان المسلمين بل قالوا ان الجماعة قد اقصتهم عنها بعد انخراطهم في العمل الفلسطيني . وأما أدبيات اليمين وادعاءاته التي تهدف الى انكار الصلة العضوية له بجماعة الاخوان المسلمين ، فانها لم تقرر انقطاع صلة اليمين بجماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٥٨ بمجرد تأسيس الحركة ، بل ادعت انقطاع هذه الصلة عام ١٩٦٠ حين اختلفوا مع اخوانهم في جماعة الاخوان المسلمين حول بنية تنظيم الحركة داخل مؤتمر جماعة الاخوان المسلمين الذي انعقد في المدينة المنورة آنذاك . وهذا القول يؤكد انبثاق الحركة عند تأسيس اليمين لها من داخل جماعة الاخوان المسلمين ،

واسـ [illegible] ١٩٦٠ حركة « أخونجية » محضة ، وجرى بعد ذلك ا[illegible] ، [illegible] تكن احدى مستلزماته وليست احدى [illegible] اعة الاخوان المسلمين .

ان هذه المرحلة [illegible] ١٩٥٨ [illegible] . ١٩٦٦ يمكن أن تعتبر مرحلة ثانية فى [illegible] مواقف قادة ا[illegible]ين ، متميزة عن المرحلة التي سبقتها والمرحلة التى تبعتها ، ولكن دون أن تعنى انقطاع الصلة بين المراحل المتعددة .

فماذا عن هذه المرحلة ؟

٢ ـ عام التأسيس

لا شك أن العام ١٩٥٨ ، كان العام الذي سجل فيه المد العربي القومي أقصى تجلياته ، ففي ذلك العام ، تحققت الوحدة بين مصر وسوريا ، وأعلن قيام الجمهورية العربية المتحدة . وفي ذلك العام ، قامت ثورة ١٤ تموز في العراق ، وسقط حكم نوري السعيد وعبد الاله .

وكان لهذين الحدثين أثرهما المباشر على الأوضاع السياسية في كل من لبنان والأردن ، مما دفع للاستنجاد بالقوات الأمريكية والبريطانية لمواجهة المد القومي ...

في ذلك العام ، ووفق ما ترويه روايات عديدة ، كان تأسيس «حركة فتح» من قبل ياسر عرفات ومجموعته التي تمثل الاتجاه اليميني في الحركة .

فهل تم التأسيس في حينه بهدف معاضدة المد القومي أم معاكسته ؟

رغم أن خالد الحسن (ابو السعيد) قد اعترف صراحة في حديث صحفي له بأن الغاية كانت معاكسة المد القومي لا معاضدته، الا أننا لن نكتفي بهذا الاعتراف ، بل سنحاول التدليل على صحته من خلال العودة الى وثائق تلك المرحلة ، وتحليل المعطيات المتعلقة بها .

من الأكيد أن منجزات الاتجاه القومي بدءاً من اوائل العام ١٩٥٨ ، قد شكلت مأزقاً حقيقياً للنهج اليميني في الوطن العربي ، بما في ذلك لجماعة « الاخوان المسلمين » التي عانت من عزلة قاتلة ، لأسباب عديدة ، أهمها :

١ ـ ان ارتفاع شعبية عبد الناصر الى القمة كانت تعنى عملياً سقوط أية امكانية للقوى المتصادمة معه وفي مقدمتها جماعة « الاخوان » لمواصلة التحريض ضده ، أو لايجاد مجال فسيح لنشاطها التنظيمي القائم على العداء له والحقد عليه .

٢ ـ ان الوحدة العربية باتت مطلباً شعبياً جماهيرياً عربياً واسعاً يحرك نضالات الجماهير العربية في الوقت الذي كان فيه جماعة « الاخوان المسلمين » يطرحون فكرا مضادا للوحدة العربية ، ويعتبرون الفكرة القومية إلحاداً ، وخروجا عن الدين الاسلامي .

٣ ـ ان جماعة الاخوان المسلمين كانوا قد أضافوا الى سجل تآمرهم على عبد الناصر واقعة إسهامهم المباشر في ضرب الحركة الوطنية في الاردن . مما احكم حولهم نطاق العزلة الشعبية ، ووضعهم في موقع المتهمين بالعمالة للقوى الاستعمارية وركائزها .

وكان من الطبيعي ازاء هذا الوضع أن تفكر جماعة الاخوان المسلمين بصيغة جديدة للعمل في الساحة الفلسطينية ، وبصيغة جديدة للتحرك في مواجهة المد العربي القومي . ومثل هذه الصيغة كانت تتطلب بالتأكيد ايجاد « قناع » مناسب يرتدونه ويتحركون من خلاله .

وكان تأسيس منظمة فدائية تزعم ان اهتمامها محصور بالعمل لتحرير فلسطين هو الصيغة التي اهتدوا اليها في حينه ... لكنه يتوجب علينا أن نسجل بأن اهتداءهم الى هذه الصيغة لم يكن ابداعاً ذهنياً ابتكرته عقول قياداتهم الموجهة ، بل كان محصلة دراسة للواقع الفلسطيني والعربي بمختلف أبعاده . مع وضع المصالح الخاصة بجماعة الاخوان المسلمين في المرتبة الاولى من الاهتمام ... كما أن هذه الخطوة لم تكن خطوة مستجدة معزولة عن وجود خلفية تاريخية لها ، بل كانت احياء او استمراراً لتقليد في العمل كانت قد مضت على استخدامه سنوات عديدة

سابقة ...

ما نقصده هنا ليس تجربة مصطفى حافظ وصلاح مصطفى ... وليس تجربة المقاومة في قطاع غزة بعد العدوان الثلاثي ، ما نقصده هنا تقليد شبيه في مواصفاته مختلف في دوافعه ...

منهج ايجاد منظمات تقوم بممارسة العمليات « الفدائية » ضد الكيان الصهيوني انطلاقاً من الضفة الغربية بهدف استقطاب « الانتقام » الاسرائيلي .

وبوسعنا في ضوء مطالعة هذه المصادر لورانس والجنرال غلوب وعبد الله فيلبي ، والمؤرخ المرحوم محمد عزة دروزة أن نفسر ما ذكره المؤسسون اليمينيون في حركة فتح عما اسموه « منظمة غزة » او « طلائع الفتح » باعتباره يشكل امتداداً لذلك الدور ضد نظام عبد الناصر في مصر ... ومن ثم ان نفكر في امكانية اعادة بلورة هذا التقليد وتطويره من قبل جماعة الاخوان المسلمين الذين استخدموا عملياً في اداء مثل هذا الدور سابقاً في مواجهة التطور الوحدوي الذي شهدته المنطقة عام ١٩٥٨ .

هذا جانب من المسألة ، لكنه لا يمثل في الواقع جميع جوانبها .

ان وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ لم تكن الا نتاج النضال القومي في المنطقة . والنضال القومي في المنطقة كان يتسم بصفتين حارتين :

الاولى : ان نكبة فلسطين والحاجة الى مواجهتها كانت تشكل بالنسبة له عاملاً محركاً مسرعاً .

والثانية : ان الشباب الفلسطيني كان يؤدي في نطاق القوى القومية دورا طليعياً وقيادياً فاعلاً .

ومن ثم ، فان أي تفكير بمواجهة المد القومي كان لا بد أن ينطلق من محاولة تخليص هذا التيار القومي من الديناميكية الفاعلة لهذين الامرين ، مما يقود الى تقليص حرارته وفاعليته .

وقد جاء منطق القيادة اليمينية في فتح عبر نشرة فلسطيننا التي صدر عددها الاول في ايلول ١٩٥٩ ،، ليعبر حرفياً عن محاولة تجريد التيار القومي من هاتين الصفتين ، وهو ما سنوضحه موثقاً في مكان لاحق .

ان الحاجة الفلسطينية الى منظمة فدائية فى ذلك الوقت ، وبالنسبة لتلك المجموعة ، لم تكن إلا تعبيراً مباشراً عن الحاجة إلى عزل الشباب الفلسطيني عن النضال القومي . لم تكن غايتها تفرغ الشباب الفلسطيني للنضال القطري بقدر ما كانت غايتها في تلك اللحظة التاريخية هي إبعاد الشباب الفلسطيني المتواجد فى الجزيرة والخليج عن النضال القومي في تلك المنطقة . وهذا ما يفسر سر انبثاق « فتح » من الكويت » وليس من غزة أو القدس ونابلس أو حتى دمشق أو بيروت ، وسر انعقاد الاجتماع التأسيسى فى « ميونيخ » بعيداً عن الاضواء - وليس حتى فى الكويت !؟ ان الذين اجتمعوا عام ١٩٥٨ كان عددهم ١٤ شخصاً وكانوا يحملون اسم اللجنة التأسيسية ، وكان عدد المتواجدين منهم في الكويت سبعة أشخاص .

وقد بدأ مركز التنسيق في الكويت (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) ثم فى بيروت (١٩٦١ـ١٩٦٣) ثم في الجزائر (١٩٦٣ـ١٩٦٥) ثم في دمشق (١٩٦٥) فالحركة بدأت إذن كويتية المقر، ونصف المشاركين في تأسيسها يقيمون في الكويت . وقد ظلت كذلك حتى عام ١٩٦١ (أي العام الذي شهد في أواخره انفصال وحدة مصر وسوريا) ... ولهذا مغزاه دون شك ، خاصة في ضوء ظروف الكويت السياسية في تلك الفترة .

ان توضيح هذه المعطيات بالنسبة لدوافع جماعة عرفات فى تأسيس « حركة فتح » عام ١٩٥٨ ، لا يعني أن هذا التأسيس لم يجيء متناغما ومنسجما مع واقع فلسطيني شعبي يتلمس الطريق للقيام بدور عملي فى معركة فلسطين ... فقيام وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، أثار انذاك التساؤل عن موقع عرب فلسطين من دولة الوحدة ... وضرورة بلورة الكيان الفلسطيني ، وضرورة الانتقال الى مرحلة نوعية جديدة في النضال الفلسطيني تقوم على الممارسة المباشرة للكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني في تجربة قتالية مشابهة للثورة الجزائرية . كما أن التفكير بمثل هذا النمط من العمل النضالي غذته عوامل اضافية منها حل الاحزاب فى سوريا عقب وحدة مصر وسوريا وما تركه ذلك من فراغ لدى الشباب العقائدي ومنها التطورات اللاحقة على قيام دولة الوحدة وما تضمنته من

خلافات بين القوى القومية وما وقع في بعضها من انقسامات ، ومنها النهج الذي اتبعته الأجهزة المصرية في مواجهة العمل الحزبي خلال المرحلة من عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ ، والذي انطوى على تشجيع قيام منظمات فدائية بديلا للأحزاب السياسية ،

إن التوجه نحو بناء منظمات على غرار بنية «فتح» كان في تلك الأعوام شعبيا ، بحيث كان التفكير به امراً يراود الكثيرين . واذكر بهذا الصدد ـ وعلى سبيل التدليل ـ أنني عكفت في عام ١٩٥٨ (وكان عمري آنذاك ١٤ عاما) على وضع نظام داخلي لجبهة فلسطينية على غرار جبهة التحرير الوطني الجزائري التي كنت أتابع أخبار نضالاتها اولا بأول من خلال جريدة « المجاهد » التي كانت تصلني بالبريد باستمرار . وقد عرضته على عدد من الاصدقاء الذين تحمسوا للفكرة ، ولكن ما حال بيننا وبين بلورتها كان الامكانية المادية لتأمين السلاح والتدريب عليه . ولا شك أن مثل هذه المشكلة قد واجهت الآخرين ممن فكروا على هذا النحو ، ومنهم المناضل احمد جبريل الذي أسس جبهة عام ١٩٥٩ ، ولكنه حين فكر في الانتقال الى العمل المسلح اضطر الى « سرقة » سلاح وحدته في جيش التحرير الفلسطيني لتسليح العناصر الفدائية المنظمة معه .

ومن ثم، فإن من حقنا الآن أن نتساءل: ما هي المصادر المادية التي مكنت ياسر عرفات وجماعته من الاجتماع في « ميونيخ » واصدار نشرة « فلسطيننا » في بيروت ـ وبدون ترخيص من السلطة أو بترتيب مع أجهزتها ـ ومن القدرة على توزيع هذه النشرة ـ دون المرور على الرقيب ـ حتى في قطاع غزة المعزول جغرافيا ؟! أما من كان يوزع تلك النشرة في تلك الايام ، فمسألة اخرى مختلفة .

أنا شخصيا لم أعرف باسم حركة « فتح » الا بعد انطلاقتها عام ١٩٦٥ ، أما نشرة « فلسطيننا » فقد كانت تصلني في قطاع غزة ـ وكانت هويتها التنظيمية مجهولة ـ ولكن عبر مدرّس كان آنذاك من غلاة جماعة الاخوان المسلمين وهو الاستاذ فتحي البلعاوي الموجود حالياً في قطر ، والذي لم يكن وربما حتى الآن ـ قد غادر موقعه في جماعة الاخوان المسلمين .

الدلالة واضحة ... وهي أن جهاز جماعة الاخوان المسلمين قد موّل وقاد النشاط المرتبط بمنهج « فلسطينينا » في تلك الفترة . على أن ما هو أهم من هذه الدلالة ملاحظة مواقع قادة اليمين في فتح آنذاك ... هل كانت خلال الأعوام ١٩٥٨ - ١٩٦١ مواقع فتحويّة أم كانت مواقع « اخونجية ». الحقيقة التي نعرفها عن قرب اننا فوجئنا بهم في أواسط الستينات « فتحوَيين » .

من الضروري هنا أيضاً أن نتذكر بأن العام ١٩٥٨ كان أيضاً ذلك العام الذي ابتدعت فيه المخابرات المركزية الآمريكية فكرة إنشاء سلسلة منظمات «الكونتر -غوريللا» التي تحددت مهمتها في مكافحة حركات التحرر الوطني، ومنع التطورات المضادة لمصالح أمريكا في بلدان العالم الثالث، وفي مقدمتها المنطقة العربية.

٣ ـ المؤسسون

في لقاء جرى عام ١٩٦٦ بين وفد من حركة فتح ضم خليل الوزير وصلاح خلف ومحمد يوسف « وصف هذا فى حينه بأنه مدرس في الاردن » وبين وفد من حزب البعث العربي الاشتراكى ، قال وفد فتح ان اللقاء من أجل التنظيم بدأ سنة ١٩٥٧ في غزة . وكانت اللجنة المركزية هي الداعية (!) . وقد بدأ عددها بستة اعضاء ، ثم تطور حتى اصبح ١٤ عضوا . وكان اسم اللجنة المركزية اول عهدها اللجنة التأسيسية ، ولم يكن اعضاء اللجنة متفرغين للعمل ، وانما هم مبثوثون فى الاقطار العربية . أكثر هؤلاء يعملون في الكويت وعددهم سبعة ، وتتخذ القرارات بحضور الجميع ، واذا تغيب احدهم أرسل رأيه مع غيره . وبوسعنا الافتراض ان هؤلاء الـ ١٤ عضوا هم الذين التقوا في ميونيخ وأعلنوا تأسيس حركة فتح وفق البيان الذي يحمل اسم « بيان حركتنا » . لكن هذا الافتراض لا يحل بالتأكيد مشكلة كيف ومتى أسست الحركة ومن أسّسها (!) . ان مجرد القول بأن اللقاء الاول في غزة تم بدعوة من « اللجنة المركزية » يثير اشارة استفهام كبيرة . فهل كان الذين التقوا هم اللجنة المركزية أم أنه كانت هناك لجنة مركزية دعتهم للالتقاء ؟!! واذا كانت هناك لجنة مركزية ، فمن هي ؟ وضمن أي تنظيم ؟!

في الواقع أن الروايات المتعلقة بتأسيس الحركة تعطينا أكثر من امكانية للاجابة . واحدى هذه الامكانيات تنسف رواية التأسيس عام ١٩٥٨ من أساسها ، أو تجعل مما حدث عام ١٩٥٨ ليس تأسيسا بل تطويراً لصيغة العمل ... أو ايجادا لفرع فلسطيني خاص في تنظيم كان قبل ذلك أشمل .

التقرير المقدم من لجنة العمل الفدائي الى المؤتمر الخاص الذي انبثق عنه التنظيم الفلسطيني الموحد لحزب البعث العربي الاشتراكي «شباط ١٩٦٨» ذكر أن حركة فتح أسست عام ١٩٥٤ بمبادرة من جماعة الاخوان المسلمين ، وكانت جزءا من جماعة الاخوان المسلمين ، وستارا لهم بعد الاضطهاد الذي يتعرضون له في مصر وغزة . وكان بين القادة المؤسسين كامل الشريف « مصري شغل منصب وزير الأوقاف في الحكومة الأردنية لحكومات عديدة متعاقبة » وياسر عرفات « مصري ايضا ! » وفي تقرير آخر يرد اسم رمضان السيد كمؤسس وهو أحد زعماء الجهاز الارهابي لجماعة الاخوان المسلمين « مصري » . ومن ثم بعض الشباب المرتبطين بجماعة الاخوان المسلمين مثل خليل الوزير « فلسطيني » وجمال عرفات « شقيق ياسر عرفات - مصري » وغيرهم .

هل هناك مصادر أخرى تعزز هذا التصور ؟

غازي خورشيد في كتابه « دليل حركة المقاومة الفلسطينية » يقول ان اول تاريخ واضح لنشوء حركة فتح برز اثر الهجوم الاسرائيلي على غزة بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٥٥ ، ولكن فكرة الحركة كانت تراود مجموعة من الشباب الفلسطيني قبل ذلك بسنة .

د . حسام الخطيب في كتابه « في التجربة الثورية الفلسطينية يقول : « ان نشأة فتح تعود الى منتصف الخمسينات في غزة » .

بيرو روندو (١٩٦٨/٩/١٤) يقول ان الخلايا الأولى لحركة فتح شكلت في نهاية عام ١٩٥٦ « تحت اشراف وتوجيه الفنيين الفلسطينيين المستخدمين في الكويت » « ملاحظة : لم يكن لا ياسر عرفات ولا ابو الاديب سليم الزعنون ولا صلاح خلف في الكويت آنذاك ، فمن كان الموجه ؟ » .

ياسر عرفات يقول انه اثناء الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة (١٩٥٦

/ ١٩٥٧) انشأ بعض الشباب الفلسطينيين منظمة فلسطينية ، يوجهها ويديرها فلسطينيون ... والخلايا التي ظلت موجودة من تلك المنظمة هي التي شكلت فيما بعد منظمة فتح . أثناء هذه المدة كان ياسر عرفات مهندسا في مصر ، ولكنه غادر القاهرة عام ١٩٥٧ ، وذهب الى الكويت .

كمال عدوان يقول ان عمليات طلائع فتح قبل اعلان ميلادها هي التي حركت صفقة السلاح الروسية الاولى عام ١٩٥٥ .

في ضوء هذه الروايات ، نستطيع التسليم أن « فتح الاولى (٥٤ / ١٩٥٥) كانت جزءا من التنظيم السري الارهابي لجماعة الاخوان المسلمين ، و « فتح » الثانية (١٩٥٨) كانت تطويرا لفتح الاولى بابراز وجه فلسطيني خاص لها . ونستطيع بالتالي ان نرجح القول بأن اللقاء الاول /١٩٥٧/ تم بناء على دعوة اللجنة المركزية لـ « فتح الاولى » . وان الذين التقوا شكلوا لجنة تأسيسية لـ « فتح الثانية » التي كرس تأسيسها عام ١٩٥٨ .

الطريف والمثير أن الذين اعلنوا تأسيس « فتح الثانية » عام ١٩٥٨ . وقعوا في البيان التأسيسي الذي يحمل اسم «بيان حركتنا» والذي صدر في الأيام الاولى للتأسيس في خطأ ، هو بحق « غلطة الشاطر » . لقد وردت في هذا البيان العبارة التالية : « اننا نكتفي هنا بناء على توصية اللجنة المركزية العليا باعطاء الاعداد للعمل الثوري اسم الحركة ويرمز لها بكلمة - فتح - على أن يعلن الاسم الكامل لهذه الحركة لحظة انبثاق الثورة » .

فمن هي هذه اللجنة المركزية العليا ؟ وكيف يكون المجتمعون لجنة تأسيسية ويصدرون هذا البيان ، وتكون هناك لجنة مركزية عليا يعملون وفق توجيهها في الوقت ذاته ؟ ولماذا لم يرد اسم اللجنة المركزية العليا في النظام الداخلي للحركة ؟ وهل كان اسم الحركة الكامل « حركة التحرير الوطني الفلسطيني » قد اعتمد أم تأخر اعتماده الى ما بعد مناقشة الموضوع في المؤتمر العام لجماعة الأخوان المسلمين ؟ .

ان المعلومات المتوفرة لدينا تقول ان هناك بالفعل لجنة مركزية عليا ، وأن هذه اللجنة تضم في عضويتها سبعة اعضاء « كانوا في الأساس ستة

إعضاء كما ورد في حديث وفد فتح لوفد القيادة القومية ، والاضافة اللاحقة كانت الحاج أمين الحسيني عن الهيئة العربية العليا ثم منيف الحسيني وارثه في الهيئة بعد وفاته . من بين اعضاء هذه اللجنة المركزية العليا :

« سعيد رمضان ـ كامل الشريف ـ عبد المنعم عبد الرؤوف ـ ياسر عرفات ـ خليل الوزير وشخصية عربية نفطية » .

ان الفلسطينى الوحيد بين هؤلاء الستة هو خليل الوزير . وبانضمام الحاج أمين الحسيني « ومن بعده منيف الحسيني » باتا اثنين .

كثيرون سيتساءلون : و « ياسر عرفات أليس فلسطينياً ؟! » .

ونجيب ببساطة متناهية : « لا ... الا اذا اعتبر كاتب هذه السطور مصرياً وصاحب حق في ترشيح نفسه لرئاسة مصر أو عضوية برلمانها أو حتى نيل جواز سفر مصري » !!

ينتمي ياسر عرفات الى عائلة القدوة ، وهي عائلة تعود بأصلها ـ وفق احدى الروايات ـ الى قرية « قدوة » في المغرب حيث هاجرت منها الى مصر . أحد أفراد هذه العائلة رافق ابراهيم باشا في حملته على فلسطين وبلاد الشام عام ١٨٣٠ ـ ١٨٤٠ ، وبقي في فلسطين بعد فشل الحملة ، وأسس لنفسه عائلة فيها تحمل اسم « القدوة » ... بعضها أقام في يافا ... والبعض الآخر في قرية « عبسان » شرقي خان يونس في قطاع غزة ... ياسر عرفات كان سليل ذلك الجزء من العائلة الذي أقام في مصر ولم يبرحها ، فهو ووالده وجده يحملون الجنسية المصرية ... وقد تعرفوا على الفرع الفلسطيني من العائلة ، واستغل وجود هذا الفرع لادعاء صفته الفلسطينية ... ومن شاء أن يتأكد من هذه المسألة فليراجع الصحف المصرية الصادرة عام ١٩٥٠ ، ليطالع الضجة الواسعة التي أثارتها القضية التي أثارها عبد الرؤوف القدوة ـوالد ياسر عرفاتـ على الحكومة المصرية مطالباً فيها بإعادة العتبة الخضراء إليه باعتبارها أرضاً للوقف تعود لعائلته استثمرتها حكومة مصر في غير الوجه المخصص لوقفها ! «العتبة الخضراء هي الميدان الرئيسي في القاهرة ومركز انطلاق الباصات منها» .

وقد أقرَّ ياسر عرفات في أحاديث عديدة معه أنه أدى خدمته العسكرية في الجيش المصري مما يؤكد بشكل جازم جنسيته المصرية . كذلك فإن جميع أشقائه باستثناء واحد هو جمال الذي يحمل الجنسية السودانية يحملون الجنسية المصرية .

ان قيادة ياسر عرفات لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » تحت شعار الاستقلالية الفلسطينية وقيادته لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تمثل اطاراً كيانياً للشعب الفلسطيني هي اكبر أكذوبة شهدها التاريخ ، قام بها شخص لم يولد في فلسطين ، ولم يعش بها ، ولم يرها رؤية العين إلا بعد عام ١٩٦٧ ، ولم يحمل جنسيتها أو يكتسبها اكتساباً ... وانطلت رغم ذلك على الاف الملايين من البشر بما في ذلك على عرب فلسطين ...

ان ياسر عرفات ، عضو جماعة الاخوان المسلمين في مصر ، والمصري الجنسية ، والذي تلقى تدريبه العسكري في اطار جماعة الاخوان المسلمين على يد مدربه المصري علي رياض ، كان الوحيد من بين عناصر « فتح الاولى » او قادتها (!) الذي قاد بشكل علني « فتح الثانية » مستغلًا وجود فرع فلسطيني لعائلة القدوة ستاراً لادعاء انتمائه الفلسطيني ولعل ذلك يفسر سر اصرار ياسر عرفات على « تسوية » حتى « لا يخرج من المولد بلا حمّص » واستعجاله هذه التسوية حتى لا ينكشف سر التزوير الذي قام به .

وعوداً الى النقطة التي انتهينا عندها نقول : ان اختيار اسم « فتح » استنادا الى وثيقة التأسيس « بيان حركتنا » بمعزل عن اعتماد التسمية اللاحقة « حركة التحرير الوطني الفلسطيني » يؤكد أن « فتح الثانية » هي استمرار لـ « فتح الاولى » حيث كان مصدر التسمية هو « الفتح » بمعناه الديني وليس التفسير اللاحق الذي اجتهدت القيادة اليمينية في الاقناع به والقائل : إن مصدر التسمية هو قلب الأحرف الاولى من اسم الحركة « حتف » فصارت « فتح » ، مع ملاحظة أن الآحرف الآولى من اسم الحركة هو « حتوف » وليس « حتف » !

على اية حال ، اذا كانت المراحل اللاحقة من نشاط الحركة قد أبرزت اسماء بعض من يفترض أنهم ساهموا في تأسيس « فتح

الثانية » . بدلالة مواقعهم شبه الثابتة في اللجنة المركزية ، فمن المفيد استقصاء مواقع هؤلاء في العمل السياسي خلال الفترة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ ، أي فترة قيام الجمهورية العربية المتحدة .

ان أبرز هؤلاء الأشخاص هم : خليل الوزير ـ صلاح خلف ـ سليم الزعنون ـ محمد يوسف النجار ـ كمال عدوان ـ محمود عباس ـ محمد غنيم . وجميع هؤلاء كانوا ينتمون لجماعة الاخوان المسلمين ؟ .

لقد كان محمد يوسف النجار ـ رحمه الله ـ هو أكثر هؤلاء صراحة ، حين قال أنه فكر ورفاقه في تشكيل نواة عمل فلسطيني ، الا أن هذا لم يرق للاخوان المسلمين ، ففصلوه بعد ان اشتغل فلسطينيا . ومنذ عام ١٩٦٧ تفرغ كلياً للنضال في حركة فتح . فمعنى كلامه حتى اذا كانت واقعة فصله صحيحة ، أنه لم يتخل عن الاخوان المسلمين بإرادته بل فصل منها ، وهذا ينسجم مع ما كانت تؤكده قيادة الحركة في تعميماتها الداخلية عن استقلالها عن جماعة الاخوان المسلمين بعد اختلافها معهم حول بنية التنظيم في مؤتمر جماعة الاخوان المسلمين في المدينة المنورة (!) ، والذي جاء بعد سنتين على الأقل من التاريخ المعلن للتأسيس .

أما بالنسبة للآخرين ، فقد سجلت وقائع تلك الفترة :

١ ـ ترشيح سليم الزعنون في مؤامرة الشوا ليكون حاكما لغزة بعد ضمها للملكة الأردنية الهاشمية ، وفصلها عن الإدارة المصرية ، وقد رشح سليم الزعنون لهذا المنصب من قبل سيد قطب . فهل كان اختيار سليم الزعنون لهذا المنصب قراراً فتحوياً أم قرارا «حزبياً» ؟

٢ ـ ان البنية التنظيمية المحسوسة والملموسة التي كان يسهم في قيادتها صلاح خلف وسليم الزعنون في قطاع غزة حتى أواخر العام ١٩٦١ ، كانت لتنظيم جماعة الاخوان المسلمين وليس لحركة فتح . وكان هؤلاء يصدعون بتأييدهم لمؤامرة الشوا ، ويمارسون حربا مكشوفة ضد البعثيين من منطلق جماعة الاخوان المسلمين ، فهل كانت كل هذه التصرفات تعبيراً عن قرارات فتحوية وانتماء فتحوي ، أم تعبيراً عن قرارات «حزبية» وانتماء «حزبي» ؟

٣ ـ ان نشرة « فلسطيننا » التي صدر عددها الأول في ايلول ١٩٦٩ ، وهي غفل من اسم الحركة ، ومنسوبة لصاحبها « توفيق حوري » كانت توزع من قبل جماعة الاخوان المسلمين ، ولكن دون أن ترتبط بنشاط تنظيمي لحركة « فتح » .

فاذا تجاوزنا العام ١٩٦١ ، الى السنوات الخمس الاولى من الستينات استطعنا أن نضيف بصدد الآخرين ما يلي :

١ ـ ان المرحوم كمال عدوان ـ ووفق معلوماتي الشخصية ـ كان يقوم في القاهرة بنشاط تنظيمي خاص ـ غير اطار حركة فتح ـ ولم نلمس دور هذا التنظيم ضمن حركة فتح عامي ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ (!) ولا بعد ذلك .

٢ ـ رغم ظهور قادة الاخوان المسلمين قادة في حركة « فتح » ، فقد ظلت قواعد تنظيم الاخوان المسلمين بعيدة عن الحركة حتى الآن (!) فكيف يمكن تصور الانفصال المطلق بين قواعد تنظيم وقيادته على هذا النحو ؟

٣ ـ ان خليل الوزير ومعه آخرون من بينهم بعض كوادر الحركة الأساسية مثل احمد وافي « ابو خليل » قد اعتقلوا في مصر ، وجرى التحقيق معهم بتهمة استلام منشورات من السفارة الأمريكية في السعودية تهاجم مصر في حرب اليمن وقيامهم بتوزيع تلك المنشورات ! فهل كانوا حين قاموا بمثل هذا النشاط يؤدون دوراً فتحوياً فلسطينيا ؟!

٤ ـ ان العديد من رفاقنا السوريين قد ابعدوا من عملهم في قطر بناء على قرارات كان وراءها محمود عباس « ابو مازن » الذي ظل طوال عمله في ادارة التعليم في قطر وحتى تفرغه لحركة « فتح » مثالًا للتعصب لجماعة الاخوان المسلمين .

هذه بعض الأمثلة أوردناها باختصار ، وهي كافية ـ في حد ذاتها ـ للتدليل على أن أعضاء اللجنة المركزية العرفاتية ممن يعودون بأصولهم التنظيمية الى جماعة الاخوان المسلمين لم يبرحوا مواقعهم في جماعة الاخوان المسلمين الى ما بعد سنوات عديدة من تأسيس الحركة وربما هم لم يبرحوا هذه المواقع حتى الآن .

٤ ـ المقدمات الفكرية الخاطئة كان لا بُدّ وأن تقُود إلى النتائج الخاطئة

كان لا بد للمقدمات الخاطئه التي ارتكز عليها فكر اليمين الفلسطيني الذي هيمن فترة طويلة من الزمن على حركة « فتح » ان يقود الى الحصار المرير الذي عانت منه الثورة الفلسطينية ، والى الانزلاق في مخطط التسوية الامريكية .

ان محاولة البعض الادعاء بأن تصرفات عرفات ولجنته المركزية هي ردود فعل فرضتها تطورات العمل في الساحة الفلسطينية هي ادعاءات لا أساس لها ، فقد بدأ عرفات ومن معه رحلتهم بشعارات محددة . جعلوا منها محور سلوكهم والفكر الذي يحاولون نشره ، وما زالوا باستثناء استبعادهم لهدف التحرير .

فما هي هذه الشعارات :

كان من أول الشعارات التي طرحها القادة المؤسسون لحركة « فتح » شعار رفض الايديولوجيات في الساحة الفلسطينية ، على أساس أن « المرحلة القادمة هي مرحلة تحرير وطني ، لا مجال فيها لايديولوجيات معينة » . وقد جاء توضيح هذا الموقف في الوثيقة الأساسية الأولى للحركة « بيان حركتنا » على النحو التالي :

« لما كان الشعب الفلسطيني مكبلا بالحديد والنار فى كل مكان ... ولما كانت التكتلات الموجودة بين صفوف الشعب الفلسطينى لم تفد القضية (وأثبتت سنوات ما بعد النكبة فشلها فى تحقيق أمانى شعبنا فى الاعداد للمعركة والثأر بروح ثورية بناءة) فانه لا بد ان تنطلق من آمال وآلام الشعب العربي الفلسطيني حركة فاعلة تلم الشعب وتهيىء الفلسطيني معنوياً وثورياً لاسترداد وطنه المغتصب ، واستنصال الكيان الصهيوني من بلادنا ، وتحقق التهيئة الثورية لتحرير بلادنا السليبة ، وتعيد الطمأنينة الى النفوس المنكوبة ، وتهدهد حدة الألم الذي يرزح شعبنا تحت وطأته فتمتلىء نفوس شعبنا بالثقة بمقدرته على تحرير وطنه من الغزاة الصهاينة ... لقد فشل جميع من عالجوا قضيتنا (لأننا كنا مبعدين عنها) لذا فان شعبنا الآن في أمس الحاجة الى طليعة تنظيم في حركة منظمة تقودها للثورة التي يراها السبيل القويم لمعالجة قضيته وازالة النكبة » . وحول الاحزاب القائمة في الساحة الفلسطينية آنذاك يقول البيان « لقد دفع الزخم الثوري الذي يملأ جوانح شعبنا الفلسطيني الى اندماج شبابنا في مختلف التكتلات الحزبية محاولاً دفع هذه التكتلات الحزبية للعمل من أجل فلسطين ... واننا لا نريد هنا أن نقوم ببحث ايديولوجية هذه التكتلات ولكننا معنيون بمعرفة نتائج أعمال هذه التكتلات الحزبية نحو وطننا السليب . لقد قادت هذه الاحزاب أفراد شعبنا الى خلافات جانبية ضيقة بددت قابلية الثورة عند الكثير من ابناء شعبنا . ولم يطرح أي من تلك الاحزاب شعاراً علمياً يؤدي مباشرة الى العودة ... ولم تقم بأي عمل جدي ... بل بعثرت الجهود وفرقت جهود شعبنا وحجبت الرؤيا الصادقة عنه وصرفت أنظار شعبنا بعيدا عن قضية فلسطين . اننا نطالب العمل الحزبي الانضواء تحت راية حركتنا صفاً واحداً بعيداً عن الحزبية التي أثبتت فشلها تجاه قضيتنا . ولذا فان هذه الحركة لا تحمل ايديولوجية حزبية ، بل انها اعداد لعمل ثوري بناء ... ان حركتنا تنظم طليعة تسمو على الحزبية والأهواء لتشمل جميع الشعب من أجل انقاذ الوطن المقدس ومن ورائه الشعب العربي كله » .

حين نأتي اليوم لنناقش هذا المنطق الذي طرح عام ١٩٥٨ ، وفي الوقت الذي حقق فيه النضال القومي أروع انجازاته ، ونلاحظ أبعاد التجربة

اللاحقة وسلوك قيادة عرفات ازاء الأوضاع العربية ، وازاء قوى حركة التحرر الوطني العربية ، وكيف كانت محاولات الغاء دور القوى الوطنية في الاردن اولا ، ثم القوى الوطنية في لبنان ثانياً ، ثم الاساءة للقوى والانظمة التقدمية العربية والتشهير الدائم بها ثالثا ، هى محور السلوك العملى للقيادة العرفاتية ، وان ما عابت على الاحزاب والانظمة التقدمية عام ١٩٥٨ (كان هناك نظام تقدمي واحد هو الجمهورية العربية المتحدة آنذاك) انها عاجزة عن تحقيقه بصدد تحرير فلسطين ، وانها البديل لهذا العجز ، فاذا بها تنتهي الى التخلي عن هدف تحرير فلسطين ، فاننا نستطيع أن نفهم وجود تصميم مسبق لدى القيادة اليمينية العرفاتية على استخدام الراية الفلسطينية في محاربة القوى الثورية العربية . ولا معنى لسلوكها غير هذا المعنى .

لقد أوضح كمال عدوان في كتابه « فتح الميلاد والمسيرة » أن مؤسسي فتح نقضوا الفكر الثوري الذي كان سانداً في نهاية الخمسينات ، بطرح فكر بديل ، قائلا : « بدون تردد يمكن القول بأن فكر فتح وخطها السياسي في تلك المرحلة يعرف من خلال تميزه بصفة النقض الكلي للاستراتيجية والتكتيك العربيين المطروحين ، والفكر البديل هو في النهاية رفض وثورة على المطروح » .

والفكر المطروح والذي رفضته قيادة اليمين في حينه ، حدده كمال عدوان في حينه ، عند حديثه عن اهتمام القوى الثورية العربية ب « الشروط اللازمة لسرعة الحسم » كما يلي :

١ ـ قوى عسكرية نظامية ضاربة كلاسيكية سريعة الحركة .

٢ ـ تحقيق وحدة دول الطوق كحد أدنى لتكون بمثابة السوار المدبب المحيط بالمعصم ليدميه وينهيه .

٣ ـ بناء كل من الانسان العربي والصناعة العربية وهما العاملان المكملان للطاقة الذاتية للحرب النظامية الخاطفة » .

في مواجهة هذا المنطق القومي السائد آنذاك ، كانت شعارات قادة اليمين كما حددها هاني الحسن ، كما يلي :

(-) شعار الثورة الشعبية المسلحة طريق تحرير فلسطين نقيض ورفض لمفهوم الحرب الخاطفة والنظامية .

(-) شعار : « تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية » نقيض ورفض لمفهوم التوالي الزمنى الهادف الى تأجيل معركة الاسترداد بانتظار الوحدة العربية اولا .

(-) شعار غير خاضعة ولا تابعة ولا موجهة رفض لمحاولة الأنظمة العربية فرض وصايتها وولاية أمرها على الفلسطينيين » .

لقد عارضت قيادة اليمين العرفاتي اذن ، ومنذ العام ١٩٥٨ ، بناء الانسان وبناء الصناعة وبناء الجيوش النظامية وبناء الوحدة العربية كطريق لحسم الصراع مع العدو الصهيوني ، وعابت على الأنظمة التقدمية والأحزاب الثورية العربية مرور عشر سنوات على نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ دون أن يكون قد تم انجاز هدف التحرير . فماذا يكون تقويمنا نحن للمنهج العرفاتى بعد مرور ٢٧ عاما على طرح هذا المنهج ؟! ليس لأصحاب المنهج العرفاتي أن يعيبوا على القوى التقدمية والثورية العربية أنها لم تنجح فى غضون هذا الزمن في تحقيق الوحدة وانجاز هدف التحرير ، فهم منذ البدء رفضوا انشغالها وانشغال عرب فلسطين وهم أغلب سكان « المملكة الاردنية الهاشمية » ووحدتها مع دول الطوق ضرورة استراتيجية - رفضوا هذا الانشغال بقضية الوحدة أو حتى ببناء الجيوش النظامية ، أو حتى التدخل بشأن معركة التحرير . لقد دقوا على صدورهم وقالوا « نحن لها ... ومالكم يكفي ! » ولم يبخل عليهم شعبنا بالرجال ولم يبخل عليهم الواقع العربي - رغم رداءة هذا الواقع بل بسبب رداءة هذا الواقع بالسلاح والمال - فماذا أنجزوا ؟!

لندع جانبا الحديث عن التضحيات والضحايا والمعارك الجانبية والفتن وهدر الاموال وتبديد الأسلحة والايقاع بين القوى التقدمية العربية أو تمويل شظاياها للحفاظ على تمزقها في شلل متنافرة ، ويكفي أن نذكر « اتفاق عمان : اتفاق حسين - عرفات » .

فهل اتفاق عمان (اتفاق حسين - عرفات) هو الهدف الذي وجدت من اجله « فتح » عام ١٩٥٨ ؟ هل من أجل هذا الاتفاق تحدثوا عن اقامة

« كيان فلسطيني » منذ ذلك الحين ؟ هل كان القصد هو الاستعانة بكل السبل والوسائل من أجل تنفيذ مؤامرة الشوا الفاشلة لضم غزة هاشم الى « المملكة الأردنية الهاشمية » حتى ولو كان الاحتلال الاسرائيلي للضفة والقطاع من بين هذه الوسائل ؟! وهل جرى طرح شعار « غير خاضعة ولا تابعة ولا موجهة » بهدف التمكن من تحقيق هذه الغاية ؟!

نطرح هذا السؤال لان فهم الأبعاد الحقيقية لمنطق اليمين العرفاتي كما طرح في حينه يتطلب بكل تأكيد ملاحظة خط سير التجربة التي قادها اليمين والنهايات التي انتهى اليها . فمن المستحيل دراسة النتائج بمعزل عن المقدمات أو دراسة المقدمات بمعزل عن النتائج ... والمقدمات كانت تصب في منهج معارضة النهج القومي الاشتراكي ، مدعية الغيرة على فلسطين والرغبة في التحرير الناجز لها ، أما النتائج فكانت التفريط بفلسطين ومتابعة معارضة النهج القومي الاشتراكي المتمسك بها ، ومعارضة المسؤولية القومية عن تحرير فلسطين تحت شعار « استقلالية القرار الوطني الفلسطيني » حتى اذا كان هذا القرار هو التفريط بفلسطين .

٥ ـ الثغرة التي عبر منها اليمين

يقول جيرار شاليان في كتابه « المقاومة الفلسطينية » ان عزلة النواة الاولى لحركة فتح كانت تامة ، اذ كان عبد الناصر يمثل الافق الوحيد في نظر الجماهير الفلسطينية ... وكانت « فتح » ـ ونقصد هنا قيادة اليمين في فتح تحديداً ـ تسعى في سنوات ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ لخلق نواة سياسية منظمة بين المثقفين الفلسطينيين ، وان الانفصال (١٩٦١) واستقلال الجزائر (١٩٦٢) اعطيا حركة فتح وثبة حقيقية (!) بحيث أخذت الحركة اعتباراً من ١٩٦٢ بتركيز جهودها لتأسيس منظمة عسكرية !

وما قاله جيرار شاليان هنا يعبر عن الحقيقة ، ويفسر انتقال مركز ادارة الحركة من الكويت الى بيروت (١٩٦١ ـ ١٩٦٣) .

فعبد الناصر كان بالنسبة لقيادة اليمين هو الخصم ... والوحدة كانت بالنسبة لها هي العدو . وكان الانفصال بالتالي انتصاراً حقيقياً لها ، وفرصة لها للانتقال الى مرحلة عمل جديدة .. اما استقلال الجزائر فكانت أهميته بالنسبة لقيادة اليمين في فتح تنبثق من أمرين : الأول ، وهو الأهم بالنسبة لها أن علاقات زمالة وصداقة كانت تربط بعض اعضاء قيادة اليمين ـ خاصة خليل الوزير ـ بهواري بومدين منذ مرحلة الدراسة في

القاهرة ، والثاني ، ان انتصار الجزائر اعطى شعورا أكبر بضرورة القيام بعمل مسلح على غرار الثورة الجزائرية في الساحة الفلسطينية كسبيل للتحرير .

ولكن ما الذي تعنيه تحديدا عبارة جيرار شاليان عن محاولة خلق نواة سياسية منظمة بين المثقفين الفلسطينيين ؟ وكيف سارت العملية التنظيمية التي تديرها قيادة اليمين في فتح خلال النصف الأول من الستينات بشكل عام ؟!

الواقع أن قيادة اليمين في « فتح » بالرغم من كونها تمثل قيادات ميدانية لجماعة الاخوان المسلمين ، الا انها ابقت على البنية التنظيمية لجماعة الاخوان المسلمين في الساحة الفلسطينية على حالها دون أن تمس ، لقد اكتفت باستيعاب عناصر محددة في اطار الحركة وضمن حدود ضيقة للغاية ، وضمن ظروف زمنية متفاوتة ، وفق متطلبات التحكم في العملية التنظيمية وفي « اللعبة الديمقراطية » بعد ذلك ... أما توجهها الرئيسي في اوائل الستينات فكان نحو « المستقلين » و « البعثيين » ... بينما كانت خصومتها الرئيسية مع « القوميين العرب » بشكل خاص والناصريين بشكل عام !!

ولم يكن اتجاه قيادة اليمين في « فتح » نحو استقطاب البعثيين في تلك المرحلة عبثا ، بل كانت نتيجة تخطيط مدروس ومحسوب ...

لقد اقترن قيام الوحدة عام ١٩٥٨ ، بحل تنظيم الحزب في سورية ومصر . وشمل قرار حل التنظيم منظمة الحزب في قطاع غزة . وكان البعثيون الفلسطينيون في سورية ومصر مرتبطين بمنظمتي الحزب في هذين القطرين ... وهكذا ، فان اعضاء الحزب من عرب فلسطين وجدوا انفسهم دون اطار تنظيمي رغم عدم وجود مبرر منطقي لافتقادهم الاطار التنظيمي ..

فاذا اضفنا الى هذه الحقيقة ما واجهته منظمة الحزب في الأردن من اضطهاد عام ١٩٥٧ ، حيث اعتقل معظم اعضاء الحزب ، واضطر عدد كبير منهم للجوء الى دمشق او القاهرة ، وتفاقم أزمة منظمة الحزب في الاردن بوقوع أول حادث انشقاق في تاريخ الحزب متمثلًا بانشقاق عبد الله

الريماوي ، وانعكاسه على معنويات المناضلين البعثيين في الساحة الفلسطينية ، أدركنا أي أزمة مر بها رفاقنا البعثيون الفلسطينيون في تلك المرحلة ، وكيف أن الكثيرين منهم راحوا يبحثون عن البديل لهذا الواقع !

وتوضيحاً لهذه الصورة ، فاننا نورد هنا صورة عن تجربتنا في قطاع غزة ، والتي يفترض أنها أقل تأثراً بالأزمة التي نجمت عن حل الحزب وعن الخلاف الذي نشب بين قيادة الحزب آنذاك وبين عبد الناصر ...

ففي عام ١٩٥٨ ، وبعد حل تنظيم الحزب ، بدأ بعض الشبان في قطاع غزة - وذهنهم خال من مسألة حل الحزب - يتلمسون الطريق الى الحزب . كان الجو العام المحيط بالموقف من جهة ، وعثورنا بالصدفة على بعض منشورات الحزب من جهة ثانية ، والنشاطات التنظيمية للشيوعيين وجماعة الاخوان المسلمين وحركة القوميين العرب ومناقشتنا لهم من جهة ثالثة ، كل هذه الأمور حفزت بعضنا « للبحث عن البعث » ...

توجهنا الى بعض الرفاق البعثيين - من التنظيم الذي كان قائما قبل الوحدة - ممن سمعنا أنهم بعثيون أو كنا قد سمعنا عنهم ذلك ... وكانت المفاجأة هي سلبيتهم في استقبال الظاهرة التي نمثلها ... ولم نفهم السر في هذه السلبية في حينه !!

تبشيرنا بفكر البعث - ولو دون أن يضمنا اطار تنظيمي - أثار علينا نقمة جماعة الاخوان المسلمين بشكل خاص ... فبدأوا يحاولون بث الذعر في صفوفنا معتمدين وسائل العنف والتهديد وأساليب العصابات ... وكان قائدهم الموجه لهم في مدرسة خالد بن الوليد بالمعسكرات الوسطى بقطاع غزة هو الاستاذ صلاح خلف ... القائد صلاح خلف ... الاخ ابو اياد ... وقد دام هذا الوضع حتى الثلث الاخير من العام ١٩٦١ على الاقل . وهذا فرض علينا أن نتكتل وننتظم حزبياً - وبشكل عشوائي - لمواجهة الضغط الذي يمارس ضدنا ، وحماية أنفسنا ... ولم نخرج من هذا الوضع الا في أواخر عام ١٩٦٠ حين حضر أحد الرفاق موفداً من قبل القيادة القومية في دمشق لاعطاء الايعاز باعادة بناء التنظيم ... عندئذ تكشفت لنا ملامح الصورة بالنسبة لرفاقنا القدامى :

- بعضهم كان ينتظر أمر القيادة القومية ، وكانت سلبيته تعبيراً عن التزامه بقرار القيادة بحل التنظيم .
- البعض الآخر كان قد التحق بمنظمات فدائية نشأت في تلك الفترة خاصة ج . ت . ف .
- وهناك من أسس منظمة فدائية (جبهة ثوار فلسطين) .
- وهناك من يئس من النضال ، وخاصة تحت تأثير انشقاق الريماوي ، والخلاف بين الحزب وعبد الناصر ...
- وهناك من جبن عن متابعة النضال بعد أن تحولت العلاقة مع السلطة في قطاع غزة من علاقة تحالف حتى قيام الوحدة الى علاقة خلاف بعد الوحدة .

ضمن هذا الجو كانت قيادة اليمين في « فتح » تتحرك لاستقطاب بعض الواجهات البعثية للعمل في صفوف الحركة ، وكان الحصاد الذي حققته في مرحله الوحدة ضنيلًا ، لكنه ازداد في بعض المناطق بعد الانفصال ... وعموماً حققت بعض النجاح في الاردن والكويت أكثر من المناطق الاخرى .

ان الغاية المباشرة لهذا الاتجاه هي بطبيعة الحال تجريد البعث من العنصر الفلسطيني الطليعي النشيط ، واضعاف قدرته على اعادة بناء تنظيمه ... وفي مرحلة لاحقة نجحت قيادة اليمين في استثمار هذه العملية في ابراز واجهات تمكنها من تحقيق أهداف تكتيكية خطيرة مكنتها من الدخول في أهم الساحات ومن امتلاك زمام المبادرة لقيادة الساحة الفلسطينية ، لسنوات طويلة ، وضاعف من امكانية نجاح قيادة اليمين في فتح من تحقيق خطتها التكتيكية قصور قيادة الحزب ممثلة بميشيل عفلق في تلك المرحلة ، وعدم قدرتها على تلمس متطلبات العمل النضالي في الساحة الفلسطينية وفق مستوى نضوجها آنذاك ، واحباطها لجهود واقتراحات الرفاق البعثيين في هذه الساحة ، وتجميدها لخطة العمل في الساحة الفلسطينية التي بلورها الرفاق الفلسطينيون الذين توافدوا من مختلف منظمات الحزب لعقد مؤتمر لهم في لبنان عام ١٩٦٢ وضعوا خلاله استراتيجية متكاملة ونظاماً داخلياً لـ « حركة تحرير فلسطين » ، بل وقاموا

بتسمية قيادة هذه الحركة وقياداتها الفرعية (وقد أبلغت في حينه تنظيمياً بتسميتي عضواً في قيادة تنظيم الحركة في الساحة المصرية على أن تشرع القيادة بالعمل فور ابلاغها بالنظام الداخلي بعد اعتماده من القيادة القومية !) .

لكن النظام الداخلي لم يجر تعميمه ، وقد برر ذلك في حينه بأن الحزب على وشك تحقيق انتصارات حاسمة في بغداد ودمشق (ثورتا ١٤ رمضان و ٨ آذار) ومن ثم سيكون بالوسع انجاز خطوة بناء جبهة شعبية لتحرير فلسطين تضم كافة الأحزاب والنقابات والمنظمات الفلسطينية في اطار جبهوي شامل يمثل كياناً نضالياً للشعب الفلسطيني ، وهذه هي الخطوة الأهم .

منطق مثالي صحيح ، ولكن ضمن واقع قومي يمكن أن يسمح ببلورة هذا المنطق المثالي الصحيح ! ولم يسمح الواقع القومي ببلورة هذا المنطق المثالي الصحيح ، فتبلورت م . ت . ف كما تحدد اطارها في المؤتمر التأسيسي في القدس عام ١٩٦٤ بديلا عن « الجبهة الموعودة » !

وفي اطار هذا المنطق المثالي « الصحيح » قال رفاقنا في ٧ أيار ١٩٦٣ أي بعد شهرين فقط من ثورة ٨ آذار عبارة « أهلًا وسهلًا » لوفد ضم سبعة من قادة حركة فتح بينهم « ياسر عرفات » الذي كان يحمل رسالة من بومدين ... لقد سارت الرياح بعد انتصار ثورة الجزائر (١ تشرين الثاني ١٩٦٢) كما تشتهي سفينة قيادة اليمين . ففي كانون الاول ١٩٦٢ بعد شهر واحد من الاستقلال ذهب وفد من « فتح » يترأسه ياسر عرفات لزيارة الجزائر ، وأجرى مناقشات عملية مع بن بللا وبومدين(★) . والرواية هنا لمجلة « الاكسبريس » الفرنسية (١ ـ ٧ تموز ١٩٦٨) . طلب بن بللا من زائريه المستحيل ، وكان يمكن أن يخرجوا بلا نتيجة حين قال لهم أنه لا يستطيع أن يقدم لهم الكثير الا اذا حصلوا على تأييد ناصر . فقد كان من المستحيل أن يحصلوا على تأييد عبد الناصر . لكن بومدين ، بحكم صداقته مع بعضهم ، وحماسه ، كان أقل تحفظاً ، فقبل تدريب جماعة من المتطوعين تذهب بعد ذلك للعمل فوق الأراضي الفلسطينية شريطة ألا تتدخل فتح بشؤون أية دولة عربية . ولو علم أن من يخاطبهم لا يمكن بحكم

تركيبهم الايديولوجي أن يلتزموا بهذا الشرط فربما كان سيحجم عن اعطائهم مثل هذه الفرصة .

كان الجزائريون على أية حال متحمسين لتكرار تجربة كفاحية شبيهة بالتجربة الجزائرية في فلسطين ، وكان عرفات وجماعته في تلك اللحظات من عام ١٩٦٢ ، لا يملكون أملًا حقيقياً في امكانية الانتقال الى العمل ، اذ أن علاقتهم مع السلطة المصرية هي من السوء بحيث تعرض ياسر عرفات عند زيارته للقاهرة عام ١٩٦٦ لتفتيش دقيق وشامل من قبل سلطات الامن في مطار القاهرة باعتباره مشبوها ، ومنتميا لجماعة الاخوان المسلمين المعادية لعبد الناصر ... ولم تغيّر السلطات المصرية أسلوب معاملتها له الا بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ .

فرصة قيادة اليمين سنحت بعد قيام ثورة ٨ آذار . لقد جاءت تحمل توصية جزائرية الى رفاق أعزاء لثوار الجزائر في دمشق ، سألهم وزير الدفاع السوري : ماذا تريدون ؟ أجابوا : نريد مخيما ومدربين لتدريب شبابنا ... وتتعهد الجزائر بالباقي أي بالأسلحة والمعدات .

وبدل المعسكر ، قدمت ثورة ٨ آذار لهم ثلاثة معسكرات ... وتقدم الرفاق من الضباط والمقاتلين البعثيين ليكونوا في مقدمة من يحملون السلاح ويعدون لتفجير الانطلاقة .

ولا شك أن الحوار الذي دار بعد ذلك حول صيغة ابراز الكيان الفلسطيني ، والخلاف الذي نشأ بعد ذلك بين البعث وعبد الناصر واستمر الى ما بعد حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ التصحيحية بقليل ، قد منح قيادة اليمين في « فتح » فرصة ايجاد الأرض التي تقف عليها ، وتتحرك من خلالها ، وتستفيد من الدعم المالي المتاح لها والذي برز منذ عام ١٩٦٦ كأحد أسباب الأزمة في الحركة والشك بوطنية ياسر عرفات واخلاصه لتكتسب مواقع متقدمة في قيادة العمل الفلسطيني في المرحلة اللاحقة .

فالأزمة بين قوى حركة التحرر الوطني العربية ، وبشكل خاص الأزمة التي مرت بها العلاقات بين البعث وعبد الناصر في بعض الفترات ، كانت الثغرة التي نفذ منها قادة اليمين ليمارسوا أكبر عملية خداع وتضليل

في التاريخ .

ولقد عمل قادة اليمين بعد أن نجحوا في المرور من هذه الثغرة على تعزيز ما كسبوه عبر التركيز على ابراز واجهات لنشاطهم التنظيمي والعسكري من بين العناصر البعثية السابقة ، ليكسبوا حركتهم وجهاً قوميا يحقق لها التفاف الجماهير حولها ... وضمن هذا الاطار كانت المهمات التي اسندت لرفاق بعثيين سابقين ، أو معروفين بمناصرتهم للحزب امثال : النقيب يوسف عرابي - محمد زهدي النشاشيبي - فاروق القدومي - صبري البنا (ابو نضال) - ابو عمار سعد غندور - ابو علي اياد - ممدوح صيدم (ابو صبري) - محمد ابو ميزر (ابو حاتم) - ناجي علوش - سميح ابو كويك (قدري) - مختار البعباع - جلال كعوش - ماجد ابو شرار - كمال ناصر - خالد اليشرطي - اسماعيل ابو شمالة - موسى عرفات القدوة - ابو يوسف الكايد ... وغيرهم .

بل انها لجأت في قطاع غزة لبعض الوقت الى تكليف منظمة الحزب بمتابعة الاشراف على تنظيم الحركة .

وان التدقيق في طبيعة المواقع والمهمات التي اسندت لمناضلي البعث السابقين توضح تركيز قيادة اليمين على غايتين :

١) اعتماد واجهات بعثية سابقة في الساحة السورية لابعاد شبهة الصفة اليمينية البحتة عن الحركة ، وتوفير لغة للتخاطب على ارضية من الثقة مع الرفاق السوريين .

٢) اعتماد واجهات بعثية سابقة أو مستقلة في مصر وقطاع غزة لابعاد شبهة ارتباط التنظيم بجماعة الاخوان المسلمين ، وابعاد جماعة الاخوان المسلمين عن التعرض للملاحقة .

وقد انطوت تلك المرحلة ايضا على جهود من قادة اليمين لاستيعاب المنظمات الفدائية التي كان البعثيون السابقون قد أوجدوها منذ اوائل الستينات مثل الجبهة الثورية لتحرير فلسطين وقد خلق هذا الوضع شيئاً من انعدام التوازن داخل بنية الحركة عام ١٩٦٦ ، قاد الى انفجار اول أزمة داخلية ، ذهب ضحيتها الشهيد يوسف عرابي ، وظل وضع الأزمة قائماً داخل الحركة الى ما بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ ، حين ألقت قيادة اليمين

بثقلها بشكل مكشوف ، ودفعت الى ساحة العمل بالمزيد من الرموز اليمينية لتفرض هيمنتها على الحركة ، ولتأخذ عملية فرض الهيمنة في احد أبعادها شكل التخلص من « الواجهات » التقدمية بشتى الطرق والوسائل ، أو حصرها في مجالات عمل تنفيذية محدودة . وعملياً ، فاننا اذا تلمسنا مواقع هؤلاء الرفاق الآن ، فاننا سنجد « انه لم يبق في الميدان - ميدان العمل مع اليمين - الا « حديدان » ... كما يقول المثل الشعبي ... فالرفاق البعثيون السابقون الذين شغلوا مواقع قيادية في « فتح » اما أنهم اغتيلوا أو انتفضوا وثاروا على قيادة اليمين أو اعتكفوا باستثناء « حديدان » !

★ من الضروري أن نلاحظ هنا أن ثورة اليمن ، والتي اعتبرت ردا على جريمة الانفصال . جرت في ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ . وهذا ما دفع البعض الى تفسير تحرك قيادة اليمين في ذلك التوقيت لايجاد نواة عمل عسكري على أنه مرتبط باعتبارات الصراع على اليمن ، وبهدف « التوريط » - توريط عبد الناصر في حرب يفقد معها القدرة على مواصلة مساندة ثورة اليمن ! وقد جاء اعتقال خليل الوزير وبعض كوادر اليمين البارزة من قبل السلطات المصرية بتهمة استلام منشورات من السفارة الأمريكية في السعودية ضد التدخل المصري في اليمن وتوزيعها ، لاحقا لخطوات اليمين باتجاه تدريب عناصره في الجزائر وسورية .

٦ -فرصٌ بالجُملة وتبديدٌ بالجُملة أيضاً !
الكوادر والمقاتلون «خيار وفقوس»
«والفقوس» دائماً لـ «المعس»

لم تتهيأ لأي تنظيم فدائي قام في الساحة الفلسطينية في اواخر الخمسينات واوائل الستينات ، وفي الفترات اللاحقة ، مثل تلك الفرص الجيدة التي تهيأت لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، والتي لو توفرت لقيادتها النوايا الوطنية الطيبة لجعلت منها التنظيم الوطني الوحيد الذي يستوعب ويعبىء كل طاقات النضال الوطني الفلسطيني على صعيد الكفاح المسلح ، ولكانت النتائج التي حققتها الثورة الفلسطينية هي غير النتائج التي وصلنا اليها حتى الآن ...

لقد نجحت القيادة اليمينية عام ١٩٦٣ في أن تجتاز أكبر عائق كان يواجهها .. وهو أن تتواجد رغم يمينيتها على ارض ثورية .. وأن يقترن هذا التواجد بتسهيلات مادية عملية قرب خطوط الهدنة وهذا ما أوضحنا ظروفه وتفاصيله في مقالنا السابق ، في حديثنا عن التوصية الجزائرية والتجاوب السوري .

ولم تكن تلك هي الفرصة التاريخية الوحيدة الثمينة التي حظيت بها قيادة اليمين خلال النصف الأول من الستينات ..

لقد توفرت لها الفرص بالجملة .. ولقد بددت تلك الفرص بالجملة ايضاً ..

حين وافقت القيادة في سوريا على اعطاء معسكرات ثلاث لحركة فتح ، وتأمين المدربين لها عام ١٩٦٣ ، لم تكن « فتح » هي اقوى الفصائل الفدائية القائمة في الساحة الفلسطينية ، فاذا استبعدنا تنظيم الاخوان المسلمين الذي استبعدته قيادة اليمين أو من هم اعلى منها من مجال العمل الفتحوي طوال الوقت تقريباً - باستثناء استثماره في الدعاية لفتح في مرحلة من المراحل - بل وانتهت الى تكليفه بمهمة الدعاية المضادة للعمل الفدائي بعد عدوان ١٩٦٧ «!» فان « فتح » « التي تواجدت عام ١٩٦٣ ، لم تكن تملك قوة تنظيمية موازية لـ«ج.ت.ف» جبهة التحرير الوطني الفلسطيني أو جبهة التحرير الفلسطينية أو الجبهة الثورية لتحرير فلسطين وربما جبهة ثوار فلسطين وطلائع الفداء .

ففي ذلك الحين ، كانت ج . ت . ف قد نجحت في ايجاد تنظيمات واسعة في معظم تجمعات عرب فلسطين ، واستقطاب العديد من الشخصيات الوطنية الفلسطينية .

وكانت الجبهة الثورية لتحرير فلسطين تضم الكثير من البعثيين الفلسطينيين ، وخاصة العسكريين ، ولديها بالتالي آلية القدرة على الممارسة المباشرة للعمل الفدائي ..

وكانت جبهة ثوار فلسطين ، والتي أسسها بعثي سابق أيام الوحدة بمساندة السلطات المصرية ضعيفة تنظيمياً ، لكننا نستطيع أن نطالع على صفحة الغلاف الأخير لأحد أعداد مجلتها التي كانت تصدر في القاهرة - علناً - وليس في بيروت - سراً - كما كان الحال بالنسبة لنشرة « فلسطيننا » أن نطالع صورة زنكوغرافية لرسالة ممهورة بتوقيع الرئيس جمال عبد الناصر موجهة الى قائد تلك المنظمة يخاطبه فيها بـ « حكومة محمد عبد العزيز أبو سخيلة » وهو لقب لم ينجح ياسر عرفات في نيله حتى اليوم ومن زعيم مثل جمال عبد الناصر !

ومع ذلك ، فان ما كان ينقص الفصائل الاخرى هما عنصران اساسيان توفرا لقيادة اليمين في فتح دون سواها :

اولهما : شرعية التواجد والممارسة الكفاحية ، وهو ما قدمته سوريا لفتح عام ١٩٦٣ ، بناء على التوصية الجزائرية ، مضافاً اليه التسليح والتدريب .

وثانيهما : التمويل ، وهو ما تكلفت بتقديمه لقيادة فتح اقطار الجزيرة والخليج ، بشكل منتظم كما تسنت لقيادة اليمين في فتح فرصة اضافية للتمويل عام ١٩٦٤ ، حين عرضت عليها الهيئة العربية العليا بتمويل وتوجيه وترتيب جهة عربية اخرى تمويلًا مغرياً مقابل الاسراع في بدء العمل الفدائي ، وترتب على هذه الصفقة انضمام الحاج امين الحسيني الى اللجنة المركزية العليا لفتح ، وكانت الغاية هي مجابهة الخطة المصرية لاقامة م . ت . ف بزعامة احمد الشقيري من جهة ، وخلق ظروف في الصراع العربي ـ الصهيوني تجبر القيادة المصرية على سحب قواتها من اليمن الشمالي من جهة ثانية .

توفر هذين العنصرين لقيادة اليمين في « فتح » مقترنين بتعمدها إخفاء الخلفية «الاخوانية» وإبراز بعض الواجهات التقدمية أو المستقلة ، جعل الفصائل الاخرى المتعطشة الى بدء الممارسة العملية للكفاح المسلح تتجه نحو « قيادة فتح » بمنطق وحدوي بهدف تجميع طاقات الجميع في جبهة واحدة تخوض الكفاح المسلح .. وهذا ما فعلته جميع الفصائل الاخرى التي كانت متواجدة في الساحة الفلسطينية ، وهذا ما اكتوت بناره جميع هذه الفصائل على ما سيرد تفصيله لاحقاً .

لقد سارت قيادة اليمين باستمرار وفق سياسة أكل الثمرة وقذف النواة في تعاملها مع الفصائل الاخرى ! ولقد فعلت هذا حتى مع البعثيين ! وفعلته حتى في الوقت الذي كان يعني فيه سحب بساط شرعيتها في سورية سقوطها الأبدي وفشلها المطلق !!

سيتساءل البعض كيف حدث هذا ؟

وللاجابة على هذا السؤال ، وعلى سبيل الدلالة ، على طبيعة الأسلوب الذي عالجت به القيادة اليمينية في الحزب قبل حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ التصحيحية هذه المشكلة ، نورد هذه الواقعة :

في اوائل العام ١٩٦٦ ، طلب مني الرفيق أمين منظمة الحزب في

القاهرة تنفيذ مهمة حزبية عاجلة . كانت المهمة هي ايصال رسالة واردة من القيادة القومية في دمشق الى منظمة الحزب في قطاع غزة ، ومطلوب تسليمها لقيادة المنظمة بالسرعة الكلية تناولت الرسالة ، وكانت مبرومة بشكل طولاني وملفوفة بالجيلاتين اللاصق مما يوحي بخطورتها وأهميتها . وفكرت ، كيف سأعبر بها نقطة تفتيش الاسماعيلية دون أن تقع في يد السلطات المصرية ، خاصة أن السفر يتم في ظرف غير عادي .. أخفيتها في ملابسى وانطلقت الى غزة ، وشاء القدر أن أفلت بها ، حيث مرر الشرطي اثناء تفتيشي يده عليها ، لكنه كان يفكر بسلاح أو مخدرات ، فلم ينتبه للرسالة المخبأة ، ولو انتبه لترتب على ذلك في حينها الكثير ، وحرصت على ايصالها لقيادة المنظمة قبل أن أصل الى منزلي .. وهناك كانت الصدمة حين فتح رفيقنا المسؤول الرسالة وقرأ مضمونها ، وكانت الرسالة تتضمن جواباً على سؤال وجهته قيادة المنظمة في غزة الى القيادة القومية حول رأي القيادة في التعاون مع حركة فتح ، وكان الجواب الذي وقعه الدكتور منيف الرزاز ـ الامين العام المساعد انذاك أن هذا الموضوع ما زال قيد الدراسة ، « وسنبلغكم بالرأي فيه عند انتهاء دراسته ! ..

فهمنا من الرسالة أن مسألة « فتح » ـ رغم ما يعكسه علينا تبني الاعلام السوري لها من مشاعر ايجابية وما يفجره فينا من حماسة ـ هي مسألة فيها نظر ! لكننا لم نكن حتى تلك اللحظة قد وضعنا يدنا على الجرح .. كنا نشعر بوجود شيء ما وراء الأكمة ، ولكن ما هو هذا الشيء ؟! لا ندري !

وكانت المشكلة بالنسبة لمنظمة الحزب في غزة تنطوي على عقدة ما ، ولم يتسن لنا الاقتراب من حل لغز هذ العقدة الا في صيف عام ١٩٦٦ .

لقد تعمدت قيادة اليمين بعد الانطلاقة أن تتصرف تنظيمياً في قطاع غزة وكأنها تبدأ من الصفر !

قام ياسر عرفات القدوة «المصري عبر أحمد عرفات القدوة الفلسطيني ومعتمد إقليم الحركة في السعودية انذاك بتكليف موسى عرفات القدوة «شقيق أحمد والنصير في منظمة الحزب بتنظيم الفدائيين من كتيبة

مصطفى حافظ كعناصر تملك جاهزية العمل وتنظيم عناصر جديدة من الشباب أما مرجعه في التمويل فكانا اثنين تبين لاحقاً أنهما من جماعة الاخوان المسلمين ونشط موسى ، وكان مناضلاً عنيداً في العمل التنظيمى ، وخلال فترة محدودة تمكن من تنظيم حوالي ٤٠ مناضلاً ، ومن تنفيذ عدد من العمليات الفدائية في النقب وما لبثت السلطات المصرية أن اكتشفت ما يجري ، فاعتقل موسى ثم ابعد الى القاهرة .. ولم يجد أمامه غير أن يعهد بمهمة متابعة تنظيم الحركة لقيادة منظمة الحزب فى غزة ، وقبلت قيادة منظمة الحزب تحمل مسؤولية الامانة ، ولكن دون وجود توجيه من القيادة القومية ، فكان عليها أن تتلمس هذا التوجيه... فكانت الرسالة المبرومة الملفوفة بالجيلاتين اللاصق !

لم تمض على هذه الواقعة بضعة اشهر ، الا وكانت الصورة في قطاع غزة قد بدأت تنجلي عن معطيات جديدة ، لقد عدت فى العطلة الصيفية الى القطاع ، ليفاجئني أمين منظمة الحزب بالقول : « يبدو لى أن « فتح » كانت بالنسبة لنا مقلبا ! » .. قلت له : « كيف ؟ »

قال : لقد عاد الاخوان المسلمون من الخليج هذا الصيف ، ولا هم لهم ولا نشاط الا الدعوة لحركة فتح « يبدو لي أن هذه الحركة اخونجية » ! وانتقلت من منزل رفيقنا أمين المنظمة الى منزل رفيق آخر «!» .. الى منزل الدكتور عمر سكيك .. أحد أبرز الكوادر الفلسطينية التي انتمت الى حركة فتح في القاهرة بعد الانطلاقة .. كان الدكتور عمر وطنياً غيوراً ناضجاً يتمتع بأخلاق عالية وحماسة متقدة .. ولم أكن أعرف أن الدكتور عمر قد كلف بدوره بايجاد تنظيم للحركة في قطاع غزة .. وفوجئت به ايضاً مهموماً مثل رفيقنا أمين منظمة الحزب .. وسألته ما بك ؟

قال لا أعرف كيف يعمل الاخوة ! ولا أعرف كيف يمكن أن أعمل في مثل هذا الجو ! لقد جئت مكلفا ببناء التنظيم .. وفوجئت هنا بوجود أكثر من تنظيم للحركة .. وكل تنظيم يتكلم بلغة مختلفة ويتصرف بأسلوب مختلف .. فهناك تنظيم يقوده « ج . ع » اسم لم أعد اسمع به لاحقا وأخشى أن يكون ما زال في الأرض المحتلة لذا اقتصر على ذكر الاحرف الأولى منه » ، وتنظيم اخونجي بحت ، ومن يدري لعل هناك تنظيمات

أخرى وطلب مني الدكتور عمر أن أحمل منه رسالة الى الآخ ياسر عرفات بثه فيها همومه ويطلب منه الحل .. وحملت الرسالة الى القاهرة وطلبت من الاخ هايل عبد الحميد أن يوصلها الى الاخ ياسر عرفات . ولكن ، قبل أن أغادر غزة الى القاهرة ـ وكانت رحلتي الأخيرة الى غزة ـ وقعت مفاجأة لم أفهم أبعادها في حينه ، ثم فهمتها لاحقا .. لقد عرض علي « بعبع » المباحث العامة ، مفتش المباحث العامة في غزة الرائد عادل شراب أن ألتحق بتنظيم حركة فتح ! ظننت في حينه أن الرائد عادل يمارس مهمته المباحثية العادية في محاولة استشفاف موقعي التنظيمي في ضوء النشاط الكبير الذي بذلته الى جانب الاخوة في حركة فتح خلال عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ في القاهرة ، ولكن بعد عدوان حزيران بفترة صدر بيان عن قيادة فتح يصف الرائد عادل شراب بأنه من مناضلي حركة فتح !! ولا بد أن الدكتور عمر سكيك عاد يومها ليشد شعره من جديد وهو يسمع هذا النبأ !! فقد كانت المهمة الأولى التي يتوجب عليه مراعاتها وهو يقوم بنشاطه التنظيمي في القطاع اخفاء هذا النشاط كلياً عن أعين الرائد عادل شراب وعناصره ! أما الصديق الذي حدثني بمناسبة قراءته للمقال السابق عن الدور الأكثر من مزدوج الذي لعبه المصري نجيب الاسطى فبوسعه أن يضيف واقعة الرائد عادل الى معلوماته كمادة للتفكير في ديناميكية العلاقات التي أوصلت ياسر عرفات الى مواقع الهيمنة ! وبوسعه أن يقدر ايضاً لماذا رغم ذهاب السادات الى كمب ديفيد لم يفترق ياسر عرفات عن السياسة المصرية ؟

لقد استطردنا كثيراً في الذكريات « الغزية » وليعذرنا القارىء ، فلهذه الذكريات شجون ، وخلاصة القول أن قيادة اليمين في « فتح » وجدت نفسها في عام ١٩٦٣ ، تملك المال وتملك التسهيلات التي تمكنها من العمل .. وبالتالي لم يعد من الصعب عليها أن تجند الرجال ، بل جاءها الرجال مختارين من مواقع تنظيمية متعددة ، وجاءتها المنظمات مختارة يدفعها الى ذلك عطش الى العمل .. والى امكانية العمل .. والى الاذن بالعمل .. وما كانت قيادة اليمين في فتح لتفعل شيئاً لولا الاذن السوري والتسهيلات السورية ، ولم يكن ليتقدم اليها أحد ممن قاتلوا باسم قوات

العاصفة لولا هذا الاذن وهذه التسهيلات .. بل ان ما هو ادهى من ذلك وانكى أن رصيد الحركة التنظيمي خلال الأعوام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ اذا كان هناك رصيد تنظيمي ويفترض أنه كان ـ قد اختفى تحت الارض ولم يعد للظهور ابداً حتى هذه اللحظة .. ما ظهر منه فقط هو الكوادر القيادية من جماعة الاخوان المسلمين التي تفرغت للعمل في الحركة .. كمثال على ذلك : ان المرحوم كمال عدوان ، الذي كان يعمل مهندسا في الشركة المصرية للنفط كان خلال السنوات الاولى من الستينات يقوم بقيادة نشاط تنظيمي في القاهرة .. لكننا لم نلمس نتائج هذا النشاط التنظيمي لا في بنية تنظيم الحركة في مصر عامي ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ومنه انبثقت الكثير من الكوادر التي لعبت ادواراً بارزة في الحركة حتى الآن ، ولا في انتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين عام ١٩٦٦ـلقد جاء كمال عدوان عضواً في اللجنة المركزية ، أما التنظيم الذي كان قائماً أو يفترض أنه كان قائماً في اوائل الستينات فلم يظهر له أثر ، مع أن هذا التنظيم هو الذي غير وجهة سفر المرحوم ممدوح صيدم « ابو صبري » وزملائه في أواخر عام ١٩٦٣ ، فأمن لهم السفر الى الجزائر بعد أن كانوا ينوون التوجه الى بغداد ، ومن خلال البنية التنظيمية القائمة في القاهرة آنذاك !! وقد وصف أحد زملاء ممدوح ذلك التنظيم في حينه بأنه يضم كبار التجار في رفح وخان يونس !! فأين اختفى ذلك التنظيم !؟

ان تفسير هذه الظاهرة بسيط !؟ « فتح » في السنوات الاولى كانت غطاء فلسطينياً للنشاط التنظيمي لجماعة الاخوان المسلمين ، وحين انتقلت قيادة فتح الى العمل الميداني ضنت بزج تنظيم الاخوان المسلمين في نشاط الحركة ، فاحتفظت به خارج اطر الحركة باستثناء من كلفوا بادوار قيادية ـ وحافظت على تنظيم جماعة الاخوان المسلمين سليماً معافى ، وهذا يفسر موقف جماعة الاخوان المسلمين من انتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين ـ فرع القاهرة عام ١٩٦٦ .. لقد كانوا ايجابيين مع قائمة فتح وحلفائها بمقدار سلبيين إزاء الدعوة التنظيمية لفتح بمقدار.. ببساطة كانت التعليمات التنظيمية لديهم : ادعموا فتح ، ولكن حاذروا أن

تظهروا منذ الآن كفتحويين وأن تختلطوا بالكوادر المستجدة في فتح وتكشفوا هويتكم لها.. وقد ظلوا محافظين على هذه التعليمات حتى هذه اللحظة.

ان تفكير القيادة اليمينية في « فتح » على هذا النحو « الانتهازي » ليس مجرد استنتاج يستند الى الوقائع ، فهناك وثائق صادرة عن تلك القيادة اليمينية تؤكد هذا النمط من التفكير .

ونقتصر هنا على ايراد نص من المذكرة الموجهة من لجنة المؤتمر التحضيري العام للحركة الى القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري ، والمؤرخة في ١٩٦٦/٦/١٨ حيث تورد بصدد الخلاف الواقع داخل الحركة حول طبيعة العناصر التي يزجها ياسر عرفات « كان اسمه محمد رؤوف » في العمل العسكري ، حيث تقول المذكرة الجناح العسكري في حركة « فتح » قوات العاصفة يتألف من عدة عناصر .. منها عناصر حركية تدربت في الجزائر وغيرها وهؤلاء يمثلون كوادر الحركة الأساسية .. ومنها بعض المجاهدين القدامى من ذوي الخبرة والوطنية الذين ربطوا أنفسهم بالحركة ارتباطاً مصيرياً .. ومنها بعض العناصر التي عملت في الحقل الفدائي وتعمل لقاء راتب شهري الا أنها أقسمت يمين الولاء للعمل الوطني وبدأت تتفاعل معه .. وكان مخطط العمل المرحلي أن تبدأ الانطلاقة بهؤلاء لنكتشف اجراءات السلطة الرجعية في الأردن من جهة ولتضليلها من جهة ثانية مع الاحتفال بعناصرنا الحركية لنقذف بها في المعركة في حينه » .

المقاتلون الفلسطينيون اذن وفق هذا التحليل ، هم ـ في نظر القيادة اليمينية في حركة فتح « خيار وفقوس » والكوادر ايضاً ـ في نظرها ـ « خيار وفقوس » .

تنظيم الاخوان المسلمين .. التنظيم الأساسي للحركة .. هو « خيار » الكوادر .. لذا ضنت به وما زالت تضن به عن أن يذهب « معْسا » ، الى حد أن يستخدم داخل الأرض المحتلة عبارة « ان الأرض أرض الله » لتبرير تقاعسه عن مقاومة الاحتلال.الكوادر التي تحرق هي من « الفقوس ».ـ فكيف جرت عملية احراق « معْس » الفقوس » لصالح

« الخيار » ؟!

سؤال نجيب عليه في مقالنا اللاحق .

★ كان الجواب على هذا النحو رغم أن المذكرات المعدة من شعبة فلسطين في دمشق حول حركة فتح والتي آتيح لي الاطلاع عليها بعد ذلك ويعود بعضها إلى عام ١٩٦٤ كانت دقيقة تماما في فهم علاقة الحركة بجماعة الاخوان المسلمين .

يزعم البعض أن التنظيم الذي كان يقوده كمال عدوان في مصر انذاك هو غير تنظيم حركة فتح «!» وإن صح هذا فانه يثير في حد ذاته أكثر من سؤال خطير يحتاج إلى جواب ، بما في ذلك السؤال حول ظروف استشهاده .

٧ ـ لماذا اغتيل النقيب عرابي قائد «العاصفة» ١٩٦٦؟
هكذا واجهت قيادة عرفات الانتفاضة الأولى

في التاسع من أيار عام ١٩٦٦ ، كان محمد رؤوف « سابقاً » ياسر عرفات « لاحقاً » يجلس في مكتب بحي المزرعة بدمشق بحضور شهود من الرفاق ، حين سمع صوت صليات نارية . هب محمد رؤوف بمجرد سماع الصليات النارية منفعلا أو مفتعلًا الانفعال ، ليصرخ « لازم الولاد عملوها ، ده انا مش متطمن » ـ باللهجة المصرية التي لا يعرف ولا يجيد سواها ـ وكان واضحا لمن رأوه في تلك اللحظات أنه كان يمثل دوراً . ويثبت مادياً وجوده في غير مكان الجريمة . وخرجوا معه إلى مكتب حركة فتح الذي كان يقع بجوار مدرسة دار السلام « حالياً » الفرنسيسكان « سابقا » ليجدوا كلا من النقيب يوسف عرابي والملازم أول محمد حشمة قد سقطا مضرجين بدمائهما . وأوقف محمد رؤوف « سابقاً » ياسر عرفات « حاليا » رهن التحقيق مع آخرين ، حيث كانت الشبهات متوفرة حول دوره في تدبير الجريمة . لكنه مع عدم توفر شهود مباشرين على قيامه بالتحريض ، كان لديه الدليل المادي على « براءته » متمثلًا بوجوده بعيداً عن مكان الجريمة . وكان لديه شهود على هذا الدليل المادي .. وهكذا انتهى التحقيق باطلاق سراحه .

في ذلك الحين ، كنت في القاهرة ، وكان الأخ هايل عبد الحميد « ابو الهول » عضو اللجنة المركزية للحركة « قيادة اليمين » - حالياً - مسؤولا لتنظيم فتح في القاهرة . ونقل لي الاخ هايل ما حدث ، كما أبلغ له ، وهو يبدي التأثر الشديد .. قال : ان خلافاً وقع عقب اصدار الأمر الى يوسف عرابي لتسليم مجموعات قوات العاصفة التي يقودها الى أخ آخر اختارته الحركة ، حيث رفض يوسف عرابي تنفيذ الأمر ، وقد وقعت مشادة كلامية بينه وبين الملازم اول حشمة ، أطلق خلالها كل منهما النار على الآخر ، وسقطا شهيدين .. وفهمت من الاخ هايل أن الواقعة أثارت غضب وشكوك الرفاق في دمشق ، وأن العلاقة بين الحركة وسورية تمر بسببها في فترة من التوتر .

في ذلك الحين ، تصورت أن المعلومات التي أوردها الأخ هايل عبد الحميد تستند الى تعميم جرى نقله الى تنظيم الحركة في جميع المناطق ، ولكن يبدو أن الصورة نقلت بشكل مختلف ، الى كل اتجاه .

ففي الجزائر مثلًا ، نسب الى معتمد الحركة هناك ، ولا بد أنه كان ينقل ما أبلغ له من اللجنة المركزية للحركة ، أن الذي اغتال يوسف عرابي هو عنصر من الحرس القومي ، وأن السلطات أرادت التغطية على ما حدث باتهام فتح !

أما المذكرة التي وجهتها لجنة المؤتمر التحضيري العام للحركة ، الى القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي والمؤرخة في ١٨ حزيران ١٩٦٦ ، والتي تضمنت ما أسمته نتيجة تحقيقها واستقصائها عن الحادث ، ملتمسة اطلاق سراح محمد رؤوف « ياسر عرفات » فقد جاء فيها ما يلي :

« لقد تبين لنا بصورة واضحة قاطعة من خلال الدراسة الموضوعية للحادث أن الأمر كان قضاءً وقدراً ، ولم يكن تدبيراً من أحد ، وليس وراءه تحريض من أية جهة كانت ، وأن لا علاقة للحركة ، ولا لقرارات الكويت ، ولا لأفراد الحركة بالحادث لا من قريب ولا من بعيد .. كما أثبت ذلك التحقيق الجنائي الأول الذي قامت به السلطات والذي تكرر تأييدنا له ، لينال المجرم عقابه بحكم القانون .. هذا وقد تساءلنا من جهتنا : من المستفيد من مقتل

الشهيدين ، ومن الطبيعي أن المستفيد لن تكون الحركة ولا رجالها على أية حال ... كما أن مقتل الشهيدين من رجل واحد مع أنهما طرفاً خلاف في الرأي ووجهات النظر يلح على أن الحادث كان قضاء وقدراً » .

وتتابع المذكرة قائلة :

« من هنا يجب الفصل بين الحادث المؤسف من الناحية الجنائية وبين الحركة وقراراتها التي هي محل دراسة ومناقشة لتعرض على مؤتمر الحركة القادم ، كما نحب أن نؤكد بوضوح وبلا مزاودة أن دم الشهيدين عرابي وحشمة هو دمنا .. دم حركة فتح .. دم قوات العاصفة الخاسرة الوحيدة باستشهاد البطلين اللذين انضما الى قافلة الشهداء الشرفاء من رجال حركة التحرير الوطني الفلسطيني » .

ان حديث المذكرة عن الشهيدين عرابي وحشمة بكل هذه العاطفية ، لم يمنع لاحقا من ممارسة الاساءة المقصودة لهما . فاذا فتحنا الكتاب السنوي لحركة فتح لعام ١٩٦٨ ، والمتضمن كشفاً بأسماء شهداء فتح سنجد اسمي « يوسف عرابي » و « محمد حشمة » وارداً أمام الرقمين المسلسلين ٩ و ١٠ وأما الملاحظة المكتوبة تحت بند « المعركة التي استشهد بها » فهي « استشهد في احد الحوادث » بينما استخدم الدليل بالنسبة لكافة الحالات الاخرى الوفاة الطبيعية أو نتيجة حوادث طرق أو اثناء التدريب ... الخ عبارة « استشهد أثناء تأدية الواجب الوطني » !

ان استخدام هذا التعبير في الدليل السنوي لعام ١٩٦٨ ، كان في الواقع جزءاً من بدء تسرب المعلومات التي تؤكد أن اغتيال يوسف عرابي كان جريمة مقصودة مدبرة من قبل قيادة اليمين في الحركة . ففي عدد صحيفة الاكسبريس البريطانية « ١٩٦٨/٧٤١ » ورد ما يلي استنادا الى ما ذكرته أوساط قيادة اليمين لمراسل الصحيفة : « اضطرت فتح الى الدفاع عن نفسها ضد محاولات التسلل وخاصة المحاولات التي نظمها المكتب الثاني السوري ومن أجل تطبيق احترام استقلال المنظمة الذاتي تجاه الحكومات العربية أعدم يوسف عرابي رئيس العاصفة في شتاء ١٩٦٦ » .

وفي حزيران ١٩٧٦ ، وقف معتمد حركة فتح في القاهرة الأخ ربحي عوض ، يلقي محاضرة في الدورة الخامسة للمعهد القومي للصحفيين

العرب بالقاهرة . وفى تلك المحاضرة قال بالحرف الواحد :

« ان النظام السوري فى أواخر ١٩٦٥ حاول أن يسلب الحركة الفلسطينية « فتح » ارادتها ، وأن يصادرها لحسابه ، وأن يجيرها لحساباته . كان ذلك عن طريق حادثة فرض النقيب يوسف عرابي وهو نقيب فلسطيني في الجيش السوري من حزب البعث ، حاول أن يفرضه على هذه الحركة الفلسطينية الفتية ويفرضه كقائد .

وكان ما كان من تطور لهذه الحادثة (يقصد اغتيال يوسف عرابي) ثم بعد ذلك وجدنا أن اخوتنا قادة هذه الثورة ... ومجموعة اخرى من الكوادر غيرهم ، في سجن المزة ... في معتقل المزة ... وذلك لاتهامهم أنهم هم الذين تخلصوا من يوسف عرابي » .

وواضح من هذه الاعترافات اللاحقة أن يوسف عرابي قد اغتيل بتدبير من قيادة اليمين ، وأن تواجد ياسر عرفات بعيدا عن مكان الجريمة (قريباً منه في الوقت نفسه) وأمام شهود من الرفاق اختار الجلوس معهم في الوقت المحدد للتنفيذ وسلوكه الانفعالي المفتعل عند سماع صوت العيارات النارية وما صدر عنه من عبارات ، كل ذلك يدلل على أنه كان المدبر للجريمة .

ولكن ، لماذا كانت الجريمة ؟ وما هي أصول القضية ؟

ان مشكلة الشهيد يوسف عرابي مع قيادة اليمين فى فتح ، هي في الواقع مشكلة كل الفصائل الفدائية الفلسطينية التي دخلت مع فتح تجربة وحدوية خلال فترة الستينات .

وقد كانت أول هذه المشاكل ، وبالتالي فهي مدخل لدراسة سلسلة من المشاكل المماثلة التي تخللها ايضا سقوط ضحايا آخرين غير يوسف عرابي .

كان يوسف عرابي قائداً في منظمة فدائية ، أسسها مناضلون بعثيون ، هي الجبهة الثورية لتحرير فلسطين . وكان أبرز القياديين في هذه المنظمة هم يوسف عرابي وكمال كعوش وفهمي هوين ومحمد زهدي النشاشيبي . وحين قررت فتح بدء الكفاح المسلح ، قام هؤلاء بحل الجبهة الثورية والانضمام الى فتح ، انطلاقا من اقتناعهم بأن الكفاح لتحرير

فلسطين يتطلب الممارسة النضالية ، واعتقادا منهم أن القادة اليمينيين في الحركة كانوا صادقين في ادعائهم الانسلاخ عن ارتباطاتهم التنظيمية القديمة .

تولي يوسف عرابي قيادة المجموعات المقاتلة لقوات العاصفة ، وبدأ يحوز ثقة كوادرها ، والواقع أن معظم الكوادر المقاتلة إنما جاءت مع يوسف عرابي الى الحركة . كما أننا حين نتكلم عن الكوادر المقاتلة في ذلك الحين يجب أن نضع في اعتبارنا مقياس كل مرحلة !؟ عدد المقاتلين الذين كانوا لدى الحركة كان محدوداً آنذاك ... ومحدوداً جداً ... أما ما يعنيه هذا التعبير بشكل رقمي فربما تطرقنا اليه في مقال لاحق حين نتحدث عن وضع الحركة عقب حرب حزيران مباشرة .

ان الكوادر التي أثارت ثقتها بيوسف عرابي مخاوف ياسر عرفات وقيادته اليمينية آنذاك إنما كانت في الواقع الكوادر التنظيمية خارج اطار الكوادر المقاتلة ، وبشكل خاص فرع الحركة في الكويت . فقد أخذ هؤلاء يوجهون انتقادات قاسية لياسر عرفات ، بل واتهامات صريحة ، ووصل الأمر الى حد المطالبة باقصاء ياسر عرفات عن قيادة الحركة . وبات اسم يوسف عرابي مطروحاً ليخلف ياسر عرفات في قيادة الحركة من قبل الكثير من أعضاء المؤتمر الحركي العام الذين كانوا يطالبون بعقد هذا المؤتمر لمناقشة أوضاع الحركة وتنحية ياسر عرفات .

وسط هذا الجو وقعت حادثة اغتيال يوسف عرابي .

فاذا شئنا الاقتراب أكثر من ملامح الصورة ، نستطيع توضيح الموقف على النحو التالي :

بعد أن نالت القيادة اليمينية فرصتها في التواجد في سوريا (١٩٦٣) ، والتهيئة للانطلاقة (١٩٦٥) ، في ضوء ما أوضحناه في مقالنا السابق عن اخفاء دور « الاخوان المسلمين » ومحاولة استقطاب كوادر مستقلة أو كانت تنتمي للأحزاب القومية ، وابراز واجهات قيادية تقدمية وقومية ، وبعد انضمام الجبهة الثورية لتحرير فلسطين الى الحركة ووضع كوادرها المقاتلة تحت امرة الحركة ، وقيادة يوسف عرابي لقوات العاصفة (الجناح العسكري للحركة) فقد برزت داخل اطر الحركة حالة

جديدة من الوعي مرتبطة بعناصر بنيتها الجديدة ، عبرت عن نفسها في اقليم الحركة بالكويت بالمطالبة بتنحية ياسر عرفات من خلال عقد المؤتمر العام للحركة . وكان طبيعيا أن تتوقع قيادة اليمين تحالفاً بين « المتمردين » في اقليم الكويت وبين قوات العاصفة بقيادة يوسف عرابي يقود الى اسقاط ياسر عرفات، واعتماد قيادة جديدة للحركة تستبعد منها كل أو بعض الرموز اليمينية . فكان لا بد من التحرك السريع لمعالجة الموقف ، وانهاء الاختلال في التوازن والحيلولة دون الانقلاب الديمقراطي ، عبر خطوات متتابعة يتم فيها تخفيف العربة من أثقالها خطوة خطوة ... وكانت الخطوة الاولى هي تصفية يوسف عرابي بهدف تجريد « المتمردين » في فرع الكويت من حليفهم القوي في الميدان ، ومن ثم الانتقال الى مجابهتهم في خطوة لاحقة ... وهكذا ...

ما هي خلفيات هذه العملية ؟

ما هي أبعادها ؟

ما هي الاتهامات التي وجهتها قواعد الحركة الى ياسر عرفات آنذاك ؟

كيف نجحت القيادة اليمينية في مواجهة قواعد الحركة ؟

٨ ـبوادر الانتفاضة الأولى في « فتح » خرجت من الكويت بعد الانطلاقة

قلنا في المقال السابق ، أن اغتيال النقيب يوسف عرابي في ٩ أيار ١٩٦٦ ، كان جزءاً من مجابهة القيادة اليمينية في « فتح » لبوادر الانتفاضة الأولى في الحركة التي تبلورت آنذاك ، وأن هذا الاغتيال تم كخطوة أولى في مواجهة « التمرد » الذي شهده فرع الكويت . وسنحاول هنا القاء بعض الأضواء حول هذا الجانب من الصراع الداخلي في الحركة .

في كتابه « تاريخية الأزمة في فتح » يورد نزيه أبو نضال نص « بيان ـ وثيقة » (راجع الصفحة ٤٢ من الكتاب) .

و « البيان ـ الوثيقة » هذا مهم في مضمونه ، ولكن ما أورده نزيه بحاجة الى التدقيق من أكثر من زاوية .

يقول نزيه في تحديد ظروف صدور « البيان ـ الوثيقة » أن الساحة الكويتية كانت تشكل الساحة المركزية لحركة فتح آنذاك ، « فمن المعروف أن تأسيس الحركة تم هناك وقياداتها المركزية كانت تتواجد اساساً في الكويت وعدد من دول الخليج وخصوصاً قطر . اضف الى ذلك الدور المالي الذي كان يلعبه تنظيم الكويت في توفير الشروط المادية للعمل العسكري

الذي يقوده فرع دمشق ، وحيث كان يتواجد ياسر عرفات وعدد من القيادات الاساسية » .

ويضيف أنه مع نهاية عام ١٩٦٥ بدأت تتضح موضوعات الخلاف بين فرع الكويت وفرع دمشق حول المسائل التالية :

ا ـ المسألة التنظيمية وممارسات عرفات الفردية .

ب ـ اسلوب العمل العسكري ومسألة التفرغ في الحركة .

ج ـ الموقف من وحدة العمل الفلسطيني .

د ـ الجانب المسلكي في ممارسة عرفات .

« وقد وصلت الآزمة ذروتها في نيسان ١٩٦٦ حين أصدرت اللجنة المركزية العليا بياناً سحبت بموجبه الثقة من عرفات وأحالته الى التحقيق » .

... ومن ثم يورد نزيه ابو نضال نص « البيان ـ الوثيقة » فيستوقفنا في مقدمته أن مضمونه معطوف « على قرار اللجنة المركزية العليا للحركة الصادر بتاريخ ١٩٦٦/٤/٢٩ وكذلك القرار الصادر بتاريخ ١٩٦٦/٥/٢ » .

وهذا معناه أن البيان ـ الوثيقة » لم يصدر في نيسان ١٩٦٦ ـ كما ذكر نزيه أو فهم من صياغته ـ بل بعد ١٩٦٦/٥/٢ ، وربما في ذات الاسبوع الذي اغتيل فيه النقيب يوسف عرابي .

على أن التساؤلات الأهم التي يثيرها نص « البيان ـ الوثيقة » وتمهيد نزيه ابو نضال لنشره ، تتلخص في :

١ ـ هل هو صحيح أن « البيان ـ الوثيقة » صادر عن « اللجنة المركزية العليا » ؟

٢ ـ هل هو صحيح ما أورده نزيه عن كون تأسيس الحركة تم في الكويت ، وأن قياداتها تتواجد هناك ، وما نسب الى فرع الكويت من قوة خاصة ؟

٣ ـ هل يكون تحليلنا للأمور دقيقاً اذا قلنا أن الخلاف بين فرع الكويت وياسر عرفات كان خلافاً بين فرع الكويت وفرع سورية في الحركة ؟

لقد أوضحنا في مقالاتنا السابقة مسائل عديدة تتصل بالاجابة على

هذه الاسئلة : المؤسسون - مكان التأسيس - مركز التنسيق في كل مرحلة ... اللجنة المركزية العليا . وفيما أوردناه ما يخالف ما أورده نزيه أبو نضال . وقد يكون من الصعب علينا وعلى الأخ نزيه ابو نضال جلاء الحقيقة بصدد « البيان - الوثيقة » ما لم يتقدم بعض الأخوة الذين كانوا في قيادة فرع الكويت آنذاك ، واصطدموا بياسر عرفات فى حينه ، بجلاء الحقائق التي يعرفون ، وخاصة حول مصدر ورود اسم « اللجنة المركزية العليا » التي حددنا اعضاءها في مقالاتنا السابقة ، والتى نعتقد أنها هي التي توجه من وراء الستار نهج اليمين في الحركة .

ونورد هنا نص البيان :

« أيها الاخوة ... تحية الثورة والعودة .

بناء على قرار اللجنة المركزية العليا للحركة الصادر بتاريخ ١٩٦٦/٤/٢٩ وكذلك القرار الصادر بتاريخ ١٩٦٦/٥/٢ والذي تم بموجبه ما يلي :

١ - سحب الثقة من عضو الحركة السابق محمد ياسر عرفات القدوة الملقب بجرير رؤوف - الدكتور ابو عمار - واحالته الى التحقيق فورا وذلك للاسباب التالية :

ا - تقديم تقارير كاذبة ومشوهة عن العمل ، وخاصة في المجال العسكري .

ب - التمرد على القرارات الجماعية التي أصدرتها قيادة الحركة .

ج - تحريض بعض القواعد على قيادة الحركة بطريقة لا أخلاقية .

د - اتباعه سياسة الاستزلام ، ومحاولة شراء ضمائر اخواننا المناضلين .

ه - تبديد أموال الحركة بأساليب غير مسؤولة .

و - افشاؤه أسرار الحركة الى عناصر خارج الحركة .

ز - قيامه برحلات وسفرات سرية الى قبرص وبيروت والسعودية بدون اذن من الحركة ورفضه تقديم تقارير عن أسباب سفراته هذه .

ح - قيامه بتصرفات فردية في المجال العسكري منها :

١ - محاولة ضرب أنابيب التابلاين في الأراضي العربية السعودية .

٢ ـ مخالفة مخطط الحركة المرحلي في المجال العسكري وذلك بضربه أهدافاً قريبة جداً من الحدود العربية مما سبب الدمار لبعض القرى العربية الآمنة ، وإثارة نقمة سكان الخطوط الامامية من ابناء شعبنا على الحركة .

ط ـ رفضه المثول أمام اللجنة التي شكلت خصيصا للتحقيق معه في الامور الواردة أعلاه .

واستناداً لما سبق ذكره ينفذ الآتي :

١ ـ يمنع الاتصال الحركي مهما كان نوعه بالعنصر المذكور .

٢ ـ يتم تسليم كافة امكانات الحركة من أموال وأسلحة وعتاد وذلك بعد جردها والتي هي بحوزة الاعضاء الى المسؤولين ـ مجلس الطوارىء بالطريقة النظامية التسلسلية .

أيها الأخوة :

ان القيادة لعلى ثقة بأن كافة مناضلي الحركة على استعداد لتحمل مسؤولية الاستمرار في مسيرتنا الثورية وبشكل أقوى وأعظم مما كانت عليه . وذلك بعد أن طهرت القيادة صفوف الحركة من العناصر التي طالما عرقلت مسيرة شعبنا الجبار نحو التحرير والعودة عاشت فلسطين حرة عربية وإننا لعائدون ...

ويعقب نزيه أبو نضال على نص هذا البيان بالقول أنه « اذا ما استثنينا عدداً من الاتهامات والمسائل الجانبية الواردة في البيان ، فسنجد أن جوهر الأزمة انما يكمن بتفرد عرفات ومن معه من فرع دمشق في العمل من خارج قرارات اللجنة المركزية . ولا شك أن وجود عرفات في ساحة المعركة وتوليه العديد من الصلاحيات كان يضعه في الموقع الموازي للقيادة المركزية في الكويت » .

رغم أن ما ورد في هذا البيان من اتهامات لياسر عرفات يغري من يبحث في جذور الانحراف العرفاتي في اعتماد هذا البيان كوثيقة صادرة عن أعلى قيادة في الحركة ، والدفاع عن هذه الوثيقة بدلّا من وضعها موضع المناقشة والتحليل ، الا أننا نجد من الصعب علينا تسويغ هذا الاعتماد دون مناقشة ، خاصة وأن غايتنا من هذا البحث هي تعقب الحقيقة التاريخية وتوضيح معالمها ، وليس التحريض الاعلامي .

لقد سبق أن أشرنا أننا نشك في أن يكون هذا البيان صادراً عن « اللجنة المركزية العليا » الا اذا كانت هناك في الكويت آنذاك مجموعة اعتقدت أنها « لجنة مركزية عليا » وكانت واهمة في هذا الاعتقاد (!) .

والواقع أننا حين نعود الى وثيقة اخرى للحركة ، وهي وثيقة مؤكدة ، ونقصد مذكرة لجنة المؤتمر التحضيري العام الموجهة الى القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بتاريخ ١٩٦٦/٦/١٨ ، نجد أن هذه المذكرة تشير الى « البيان ـ الوثيقة » في أكثر من موضع ، ويتركز مضمونها حول مناقشة الاتهامات الواردة فيه . ان مناقشة مضمون « البيان ـ الوثيقة » تأتي ضمن هذه المذكرة في بند « ثانياً » حول قرارات اللجنة المركزية ـ فرع الكويت » . ثم يأتي توضيح يصفها بأنها « القرارات الموجهة لمجلس الطوارىء في دمشق » .

فالبيان ـ الوثيقة ليس صادراً اذن عن اللجنة المركزية العليا للحركة . وهل يعقل أن يصدر عن السادة سعيد رمضان وكامل الشريف وشركاهم مثل هذا البيان ـ الوثيقة ؟ ولو صدر عنهم ، هل يستطيع ياسر عرفات تفادي تنفيذه ؟!

« البيان ـ الوثيقة » اذن كان عبارة عن قرارات اتخذها فرع الكويت ، تحتاج لكي تتحول الى قوة نفاذ عملي الى موافقة الاطر الأعلى ... وهذه القرارات أبلغت الى اطار حمل اسم « مجلس الطوارىء » ، وذلك قبل حادث اغتيال النقيب يوسف عرابي بأيام . فمن كان أعضاء « مجلس الطوارىء » ، وماذا كانت مهمات « مجلس الطوارىء ؟ سؤالان نجهل الاجابة عليهما للأسف ، ونأمل من الاخوة الذين واكبوا التجربة أن يسهموا ايضاً في جلاء الاجابة حول هذين السؤالين .

هناك وثيقة ثانية ترجح استنتاجنا بصدد « البيان ـ الوثيقة » وطبيعة الخلاف . والوثيقة هي تقرير وضعه فرع فلسطين « بدمشق » التابع لحزب البعث العربي الاشتراكي وتعود الى العام ١٩٦٦ .

يقول التقرير :

« لقد استطعنا أن نعلم من نقاشنا مع المسؤولين عن الحركة شيئاً عن طريقة التنظيم التي اتبعت في البداية ، وهي أن كل عضو قيادي في

الحركة كان يتصل بشخص من الأشخاص ، وهذا بدوره يتصل بآخر ، وهكذا وأطلق على السلسلة إسم الجناح ، مما أدى الى خلق نوع من الارتباطات الشخصية بين أعضاء الجناح وقائده ، اذ أن كل عضو أخذ ينظم المجموعة التي لها علاقة شخصية به ، مما خلق نوعاً من عدم التجانس . وبالرغم من عمل الحركة على تطوير هذا الأسلوب ، فان الحركة لم تتمكن بعد من تحقيق الانسجام بين اعضائها ، وأكثر من ذلك ، فان قائد كل جناح قد لا يعطي كافة المعلومات عن جناحه الى قيادة الحركة مما كان يهدد بشكل دائم تنظيم الحركة ، ومما يسهل لبعضهم بناء علاقات خارج اطار المنظمة نظراً لعدم وجود ارتباط فكري تنظيمي . وحتى الالتزام في الحركة من حيث القسم مثلًا يلزم الفرد أدبيا بالنضال من أجل تحرير فلسطين فحسب دون أية اشارة الى خدمة الحركة . ان العمل وخوض المعارك المتعددة السياسية والعسكرية تمكن من بلورة عدد من الأمور لدى قيادة الحركة وان التجربة والخطأ لعبت دوراً رئيسياً في محاولات ذوي الخبرة والنضال السابق لخلق منظمة ثورية . وهكذا تبلور شبه اتجاهين في الحركة ، ونقول شبه اتجاهين لعدم وجود حدود فكرية تتمكن من اعطاء مضمون لكل اتجاه :

« الاتجاه الأول ـ يقوده ياسر عرفات :

« لقد برز هذا الاتجاه نتيجة العمل وتكليف السيد ياسر عرفات بأعباء كثيرة وتفويضه بعدد كبير من الصلاحيات ، ونظراً لعدم وجود رقابة دائمة . غير أننا لا نستطيع أن نجزم بأن هذا ادى الى تشكيل اتجاه كامل غير آن معلوماتنا هي أن السيد ياسر عرفات على علاقات وثيقة مع بعض العناصر القيادية الموجودة بشكل خاص في قطر ، وأنه يحاول أن يلجأ لها في المهمات ، ومعروفة بانتمائها السابق لجماعة الاخوان المسلمين . كل هذا يثير الانتباه الى امكانية وجود تيار يحرك السيد ياسر عرفات ، وان أهم ما يميز هذا التيار هو عداؤه للحزبية[١] ، والتكتيك السياسي الانتهازي[٢] ، ومحاولة التسلط على بقية المنظمات الفلسطينية وامتصاص عناصرها .

« الاتجاه الثاني ـ بدأ هذا الاتجاه يبرز كموقف معاكس لتصرفات ياسر عرفات ، ويعمل على تقليم أظافره وذلك تحت شعار العمل الجماعي والقيادة

الجماعية ورفض أسلوب العمل الفردي والتسلط على بقية المنظمات بل العمل للقاء لقاء حراً مع الاحترام المتبادل بين هذه المنظمات لخلق عمل موحد بين ابناء فلسطين ، كما أن لهذا الاتجاه وجهة نظر أوضح من ناحية العمل الشعبي وضرورة اعطائه الأولوية من اهتمامات الحركة .

... ويتابع تقرير الحزب قائلًا :

« لقد برز الصراع بين هذين الاتجاهين واضحاً في المرحلة القصيرة السابقة لحادثة اغتيال النقيب يوسف عرابي ، ولقد ساهم الاغتيال في تفجير هذه الأزمة وخلق مضاعفات جديدة تهدد عمل الحركة وتكاد تشلها بتناقضاتها الداخلية » .

وهذا التقرير يفسر في الواقع حقيقة أبعاد الصراع الذي نشب داخل الحركة آنذاك . وهو يلقي اضواء تفسر ايضا ما أوردناه في مقالاتنا السابقة حول الأجنحة العديدة المتناقضة ، والتي اختفى بعضها تحت الأرض وبرز بعضها فوق السطح وتعرض بعضها للتصفية ، وفق منتطلبات ادارة اليمين لنشاط الحركة التنظيمي والعملي بحكم هيمنته على قيادتها اولًا ، وبحكم كونه المتحكم في صنبور المال يفتحه ويغلقه بالشكل الذي يوافق أهدافه ثانياً ، وبحكم عدم تردده في تصفية من يشعر بأن استمرار وجودهم في الحركة يشكل خطرا على هيمنته ثالثا .

(١) العداء هنا موجه للأحزاب القومية التقدمبة وليس لجماعة الاخوان المسلمين .

(٢) يقصد تبنيه التكتيك السياسي الانتهازي ، وقد آثرنا تثبيت هذه الملاحظة نظرا لأن الصياغة اللغوية للتقرير يمكن أن توحي لبعض القراء بالاستنتاج المعاكس تماماً . وتسري الملاحظة ، ذاتها على « محاولة النسلط » . والواقع أن قيادة عرفات حافظت على هذه الأساليب حتى الان ، ولم يتخلَّ عنها حتى وهو يتولى منصب القائد العام ورئيس اللجنة التنفيذية .

٩ ـ وصول عرفات إلى قيادة منظمة التحرير من أغرب الظواهر في تاريخ العرب الحديث

لو حاولنا اخضاع الوثيقة الصادرة عن قيادة فرع الكويت ، والتي اصطلحنا على تسميتها في مقالنا السابق ، بالوثيقة البيان ، لنوع من التحليل ، فماذا نجد ؟

ـ ان صورة ياسر عرفات المقدمة الينا بموجب هذه الوثيقة هي صورة الرجل : الكاذب ـ الفردي ـ اللا أخلاقي ـ الذي يتبع سياسة الاستزلام وشراء الضمائر ـ المبدد للأموال ـ المفشي للأسرار ـ المشبوه ـ الذي لا يشعر بالمسؤولية ـ المتمرد .

... وفي غمار هذه الصورة هناك جوانب تثير علامات الاستفهام :

★ الأول : افشاؤه أسرار الحركة الى عناصر خارج الحركة . فمن هي هذه العناصر ؟ هل كان المقصود بها « الاخوان المسلمون » أم جهة عربية ما ؟ أم من ؟

★ الثاني : قيامه برحلات وسفرات سرية الى قبرص وبيروت والسعودية دون اذن من الحركة ورفضه تقديم تقارير عن أسباب سفراته هذه . فهل كان هذا اتهاماً بالتجسس أو العمالة للمخابرات المركزية الأمريكية ؟ أم ماذا ؟

★ اتهامه بمحاولة ضرب أنابيب التابلاين في الأراضي العربية السعودية فيه تناقض مع الاتهام السابق ! فكيف يمكن تفسير هذا التناقض ؟

○ وكما هو واضح ، فان الصورة التي قدمت عن ياسر عرفات في ذلك الحين ، ومن خلال قيادة فرع حركة فتح في الكويت ، هي حتى هذه اللحظة أقسى ما وصف به عرفات ...

ومع ذلك ، فقد أتيح لعرفات أن يقود فتح ، ومن ثم أن يقود منظمة التحرير الفلسطينية ، وأن يجري تحويل نفسه الى رمز للنضال الفلسطيني رغم افتقاره الى كل صفة تتيح له ذلك ، بما في ذلك الجنسية الفلسطينية !

ولقد تمكن عرفات من أجل أن يتغلب على فرع الكويت « القوي » أن يزيح عن طريقه يوسف عرابي ومن ثم الجبهة الثورية لتحرير فلسطين ومن ثم جبهة تحرير فلسطين التي كان يقودها أحمد جبريل والتى كانت ايضاً قد دخلت مع فتح بعد الانطلاقة في علاقة وحدوية ... أي أزاح كل من يمكن أن يسند فرع الكويت من فرع سورية !

كيف نجح عرفات في ذلك حتى حين كان قابعاً في سجن المزة بتهمة اقتراف جريمة قتل ؟! سؤال كبير كبير ... ولو فتح التحقيق فيه على مصراعيه فانه لا بد وأن تقشعر لهول النتائج التي يتوصل لها ، الأبدان !!

ان ظاهرة وصول ياسر عرفات الى الموقع الذي وصل اليه هي أغرب ظاهرة في تاريخ العرب الحديث ... ومن أكثر الوقائع التي شهدها تاريخ البشرية على امتداده اثارة ...

فالاتهامات التي وجهها فرع الكويت - وكان يفترض أنه الأقوى - لياسر عرفات كانت تكفي وحدها لأن تكسر جملًا لا رجلًا ، ومع ذلك فقد انتهى خلافه مع فرع الكويت الى ابعاد اثنين من فرع الكويت هما : عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان ... وانتهت القصة ! ودبر ياسر عرفات جريمة قتل يوسف عرابي وبدلاً من أن يحاكم نجا ، وبدلاً من أن ينفد بجلده -كما يقولون - صعد وصعد حتى بلغ الثريا !! ثم كان ما كان !!

كيف حدث ذلك ؟

كيف تزامن اغتيال يوسف عرابي مع اتهامات فرع الكويت في حركة فتح لياسر عرفات ومع اتهامات جبهة تحرير فلسطين المتحدة مع فتح

لياسر عرفات ـوهي ما سنأتي على ذكر تفاصيلها لاحقاـ دون أن ينال ياسر عرفات المجهول فى ذلك الحين فلسطينياً وعربياً ودوليا ، والذي يحتار عارفوه في الاسم الذي يطلقونه عليه ؟

هل كانت قوة فتح التي أنقذته أم قوة القوى الكامنة وراء ياسر عرفات ، والتي لمح اليها بيان قيادة فرع الكويت ؟!

من الأكيد أن رجلاً بمفرده لا يستطيع أن يصمد أمام الظروف التي واجهت ياسر عرفات عام ١٩٦٦ ، ومع ذلك فقد خرج ياسر عرفات من الأزمة التي واجهها قويا ؟

من الطبيعي أن نستنتج هنا أن وراء ياسر عرفات قوة أو قوى ساندت عملية استمراره . فمن هي هذه القوى ؟

انها اولاً : قوة شركائه من جماعة « الأخوان المسلمين » ...

وهي ثانياً : قوة الأطراف التي تقف خلفه وخلف شركائه ...

وهي ثالثاً : قوة الأساليب الميكافيلية التي أتى بيان قيادة فرع الكويت على ذكرها ... وهي رابعاً : محدودية قدرة الآخرين على الحركة ومخاطبة القوى المعنية ، وتركهم مجال التحرك العملي أمام شركاء ياسر عرفات من جماعة « الاخوان المسلمين » .

أن هذه المعطيات منحت عرفات وجماعته القدرة على تزوير الحقائق ، وتقويل الاخرين ما لم يقولوه ... وتبرير العبث الذي يمارسونه من خلال مخاطبة كل طرف بلغة مختلفة ...

وهكذا يجد المعارض نفسه عاجزاً عن فعل أي شيء ... ويضطر الى الانسحاب ... وهذا ما حدث مع عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان ...

لنأخذ مثالاً تطبيقياً على هذه المسألة ...

ومرة اخرى نعود الى المذكرة التي وجهتها لجنة المؤتمر التحضيري العام للحركة الى القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في حزيران ١٩٦٦ .

من أعدّ هذه المذكرة عملياً ؟

انهم شركاؤه من جماعة « الاخوان المسلمين » ... ولقد مارسوا عملية تزوير سافرة في صياغتها ... فقد وقعوا المذكرة باسم « لجنة

المؤتمر التحضيري العام » .. لكنهم في متن المذكرة زعموا أنهم يتحدثون « باسم المؤتمر التحضيري العام » ، وأن « الاخوة اعضاء المؤتمر التحضيري العام لحركة (فتح) أصروا » ... وبالطبع هناك فارق هائل بين أن تكون المذكرة مصدرها المؤتمر أو لجنة تحضيرية تعدّ للمؤتمر ...

فعلى ماذا أصرّ من أعدوا المذكرة .

تقول المذكرة : « أصروا على أن نبدأ بمطالبتكم بالافراج عن رفاقنا المحتجزين حتى لا ندع لاعدائنا مجالًا ينفثون من خلاله أراجيفهم الرخيصة لجرّنا الى معارك جانبية نحن أحرص ما نكون على الابتعاد عنها والانزلاق اليها » .

هكذا بكل بساطة ...

اغتيال يوسف عرابي يعني تفادي المعارك الجانبية والتحقيق لكشف قاتله يثير المعارك الجانبية !!

هم بطبيعة الحال ادّعوا براءتهم من دم يوسف براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب ، لكن الزمن أثبت أنهم لم يكونوا بريئين من دم يوسف فكانوا فيما اقترفوه أكثر وحشية من الذئاب ، وفيما ادعوه أكثر تحايلًا ومكراً من الثعالب ، وتلك كانت و ما زالت لغتهم في معالجة الأمور ... لغة الثعالب .

المذكرة التي نتحدث عنها تعطينا أمثلة صارخة على هذه الحقيقة... ونكتفي اليوم بعرض فقرة في مقدمتها اثباتاً لما نقول .

تقول المذكرة : « عندما رفعت حركتنا شعار الثورة المسلحة كانت تؤمن بأن امتنا العربية لن تحترم شعارنا حتى يجسد الى واقع ملموس يرفع عن كاهل أمتنا صفات الانهزامية واليأس . وحتى نكون على مستوى الشعار كنا نعد الرجال ونجمع العتاد بصمت . وكان طبيعياً أن تكون جبال أرضنا في الأردن منطلق ثورتنا الا أن الحكم الرجعي العميل في الأردن أعلنها علينا حرباً لا هوادة فيها وذلك قبل الانطلاق بسنوات فكان يصادر أسلحتنا ويزج بأحرارنا في السجون والمعتقلات ... ومن هنا كان التفكير في رئة لهذه الثورة رئة وطنية ترعى مسيرتنا وتؤمن بخطنا السياسي الوطني وتعتبر ثورتنا جزءاً من الثورة العربية ... فكانت سورية الثورة ...

هذه الرنة . فقررنا أن نفرض أنفسنا على أحرار سوريا الشرفاء ووجدنا تجاوباً طبيعياً شجعنا على المضي في تعميق أبعاد اللقاء وطرح فكرة التعاون . ولقد تم هذا اللقاء بشكله العفوي غير المنظم ووجد الأخوة في شباب البعث وضباطه استعدادا غير مشروط للتعاون وتقديم كل المساعدات . الا أن الحركة كانت خلال السنتين الماضيتين تبحث عن صيغة منظمة للتعاون لا على أساس تلقي مساعدات فردية أو متقطعة ، رغم التقدير الكامل لهذه المساعدات ، بل على أساس وضع خطة مشتركة بعيدة الأمد واضحة المراحل يكون لها دورها في خطة التحرير الكبرى . وفي الاشهر الاخيرة ظهر عند المسؤولين في الحزب استعداد للقاء على أسس موضوعية وقد رحبت الحركة بذلك دون قيد أو شرط . وعندما بدأت عناصر اللقاء تتبلور وقع الحادث المؤسف الذي لا يجوز أن يقف عائقاً في وجه تطور تاريخي في مثل هذه الأهمية بالنسبة لقضية التحرير . أن قضية التعاون بين الحركة والبعث يجب أن ترتفع الى مستوى قضية التحرير المعروضة . ومن جهتنا فقد آمنت الحركة بالتعاون مع البعث باعتباره أول قوة قومية ثورية وضعت قضية فلسطين ميزانا للوطنية » .

لنقف عند هذا الحد من المذكرة الآن ، ففيه ما ينبىء بالكثير حول طبيعة العقلية المناورة.

المذكرة تتهم ما تسميه بـ« الحكم الرجعي العميل في الاردن » ، بأنه « أعلنها علينا حرباً لا هوادة فيها وذلك قبل الانطلاق بسنوات فكان يصادر أسلحتنا ويزج بأحرارنا في السجون والمعتقلات » .

إلى أي مدى كانت المذكرة في هذا الجانب تتحدث عن الحقيقة ؟!

نعود الى الكتاب السنوي لفتح لعام ١٩٦٨ . وفي قائمة الشهداء نجد فقط اسم الشهيد احمد موسى ابراهيم استشهد بتاريخ ١٩٦٥/١/٧ - أي بعد الانطلاقة - وأمامه ملاحظة أنه استشهد « برصاص الجيش الأردني بعد عودته من الأرض المحتلة » .

الشهيد اللاحق والذي سقط برصاص المخابرات الأردنية وهو تركي عبد الله كنعان رقمه المتسلسل (١٣) « استشهد في تل الاربعين برصاص

المخابرات الأردنية بعد عودته من الأرض المحتلة » بتاريخ ١٩٦٦/٦/٢٢ ، أي في تاريخ لاحق لتاريخ المذكرة، ومن يدري لعلهم دبروا مصرعه ليقولوا : « انظروا أيها السوريون ... ان حكام الاردن يسفكون دمنا بينما تحتجزون أنتم ياسر عرفات » !

اذن ... نحن حتى تاريخ كتابة المذكرة لا نلمس في قولهم عن اعتماد جبال الضفة الغربية ، وتعرضهم للاضطهاد والاعتقال منذ اوائل الستينات دلائل ملموسة . والا . فما هي اسماء المعتقلين ؟! ومتى أفرج عنهم ؟!

فهل كانت المذكرة تتحدث عن حقيقة الاهتمام بالانطلاق من « جبال بلادنا » أم تحاول تبرير التقاعس عن ذلك ؟ وهل كانت تتحدث عن ممارسات «النظام في الاردن» أم كانت تطمس حقيقة علاقتها السرية معه عبر عضو اللجنة المركزية العليا للحركة السيد كامل الشريف ؟!

حقيقة أنه وجدت بعد الانطلاقة مجموعات مقاتلة لقوات العاصفة في الضفة الغربية ، وأنها قامت بتنفيذ العديد من العمليات الفدائية داخل الأرض المحتلة ، لكن بنية هذه المجموعات وأصولها العقائدية والتنظيمية كانت غالباً بعثية أو من العناصر التي مارست العمل الفدائي بقيادة الشهيد صلاح مصطفى . ومن أراد التفاصيل بوسعه العودة الى أحد فرسان هذه المجموعات ، وأحد فرسان الصدام مع قيادة عرفات لاحقاً ونقصد ابو يوسف الكايد .

أما موقف القيادة اليمينية من النظام الأردني فقد اختبر على المحك في اواخر العام ١٩٦٦ ، أي عقب صياغة المذكرة موضع الحديث ، حين تشكلت لجنة أحزاب وقوى متعددة لمساندة انتفاضة الشعب في الأردن فرفضت قيادة اليمين في حركة فتح المشاركة في تلك اللجنة، وأبت واستكبرت.

نعود ثانية الى ما اقتطفناه من المذكرة ـ الوثيقة ... ونتساءل :

★ ماذا فعلت القيادة اليمينية بشعار الكفاح المسلح ؟

ـ الجواب نطالعه من قراءة اتفاق عمان بين الملك حسين وياسر عرفات ... ومن الاتصالات الفلسطينية « العرفاتية » الاسرائيلية ... ومن

اختيار محور مبارك۔ صدام ... و ... إلخ .

★ وماذا فعلت بالرئة التي فرضت نفسها عليها ... أي سورية ؟

ـ الجواب بدءاً من واقعة اغتيال يوسف عرابي وحتى الآن أكثر من معروف .

★ وماذا قدمت لشباب البعث وضباطه الذين قدموا « استعداداً غير مشروط للتعاون وتقديم كل المساعدات » ؟

ـ قدمت لهم جثة يوسف عرابي ... وحملات لا تنقطع من الدعاية المضادة للبعث .

★ وعندما بدأت تتبلور عناصر اللقاء عام ١٩٦٦ ، ما الذي أفسد الجو ؟

ـ اغتيال يوسف عرابي .

★ ومن اغتال يوسف عرابي ؟

ـ جماعة ياسر عرفات !

... ورغم ذلك ، فالمذكرة لا تريد « للحادث المؤسف » أن يقف عائقاً في وجه تطور تاريخي في مثل هذه الأهمية بالنسبة لقضية التحرير » !

★ لماذا ؟

ـ لأن الحركة « آمنت بالتعاون مع البعث باعتباره أول قوة قومية ثورية وضعت قضية فلسطين ميزاناً للوطنية » !

... ولم يقف البعثيون عند « الحادث المؤسف » ، ولكن ماذا حدث ؟!

يكفي لمعرفة ما حدث رصد الموقع المعادي للبعث الذي يتحصن به ياسر عرفات وأنصاره اليوم ...

★ هل هي لعبة « طميمة » ؟!

لا أبداً ... كل ما في الأمر أن على المرء أن يحسب مليون حساب . حين تتحدث قيادة اليمين الفلسطيني عن « تحالف استراتيجي » ما ... أو « زواج كاثوليكي » !

ـ قد يتساءل البعض كيف ؟

نقول لهم : لعله من الضروري فى ضوء التجربة العرفاتية في التعامل السياسي وما أضافته الى ما ورد في كتاب الأمير لميكافيللي من معطيات معاصرة ، اعادة النظر في كثير من المفاهيم السياسية . « التحالف الاستراتيجي » مثلًا مفهوم يختلف عن مفهوم « التحالف الحقيقي » ... فالتحالف الاستراتيجي قد يكون مجرد تكتيك من أجل إلحاق الأذى بالحليف على خلاف التحالف الحقيقي و « الزواج الكاثوليكي » ... مالم يكن نتاج علاقة حب حميمة فهو انتقام لئيم ... وياسر عرفات تحالف مع سورية تحالفا غايته تحقيق استراتيجيته في إلحاق الأذى بها وبالقضية الفلسطينية ، و « تزوج من سورية زواجاً كاثوليكيا » بغرض الانتقام منها لا عن حب لها !!

١٠ ـتزوير للحقائق ومغامرة في اتخاذ القرارات ما هي خلفية طي قرار سحب الثقة من عرفات

نتابع مذكرة ما سميت بلجنة المؤتمر التحضيري العام ، والموجهة الى القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٦٦ ، كوثيقة أساسية تكشف عن طبيعة عقلية اليمين الفلسطيني الذي يمثله عرفات ومن معه . فبعد المقدمات التي تعرضنا لها في مقالنا السابق تقول المذكرة : « نود أن نشرح لكم ما اتخذته الحركة من اجراءات بعد حادث الشهيدين . فلقد قمنا بالدعوة الى مؤتمر تحضيري عام للحركة على مستوى اللجنة المركزية والمجلس الثوري في كافة الوطن العربي . ولدى حضور المندوبين انتخبت لجنة من المؤتمر تقوم بدراسة ظروف الحادث وأسبابه ونتائجه ودراسة قرارات اعضاء اللجنة المركزية فرع الكويت ورسائلها الى دمشق . ويسرنا أن نقدم لكم هذه الايضاحات من واقع التقرير الذي قدم للمؤتمر العام والذي أقر بالاجماع » .

... وتسرد المذكرة بعد ذلك تلك الايضاحات ، وسنأتي على ذكرها ، ولكن قبل ذلك يتوجب علينا التوقف أمام مضمون الفقرة التي أوردناها .

لنلاحظ التناقض بين : « مؤتمر تحضيري عام = اللجنة المركزية + المجلس الثوري فقط » و « المؤتمر العام » الذي هو أوسع . فهل كان مؤتمرا محدودا ام عاما ؟ وكيف تحقق فيه الاجماع لو كان مؤتمرا عاما حضرته اللجنة المركزية لفرع الكويت ؟ وهل دعي احمد جبريل ومن معه من ممثلي جبهة تحرير فلسطين لحضور المؤتمر العام وقد كان في حالة وحدة مع «فتح» وشارك في الاجتماع؟ وهل فعل ذلك بقية رفاق يوسف عرابي من قياديي الجبهة الثورية لتحرير فلسطين ؟!

واذا لم يحضروا أو لم يدعوا للحضور ، فلماذا جرى استبعادهم ؟

ثم لنلاحظ « المذكرة من واقع التقرير » ... والتقرير من اللجنة المركزية أي جماعة اليمين ... والمدعوون اختارتهم جماعة اليمين ليبصموا ... أو ليوافقوا على إقرار صيغ التعامل التي سادت بعد ذلك في الساحة الفلسطينية من خلال تطبيق مبدأ الاجماع حتى ولو لم يسد الاقتناع ... ولم تكن اللجنة المركزية منتخبة اساسا من قبل المؤتمر ، ولم يكن من حضروا المؤتمر منتخبين من قبل قواعد الحركة ... فالطبخة من أساسها « طبخة بحص » .

على ماذا وافق المجتمعون بالاجماع حسب زعم مذكرة لجنة المؤتمر التحضيري العام ؟!

ندع هنا الفقرة الاولى والمتعلقة بأكاذيب اللجنة حول ظروف اغتيال النقيب يوسف عرابي فقد سبق أن تحدثنا عنها في مقال سابق ، وننتقل مباشرة الى الفقرة المتعلقة بقرارات اللجنة المركزية ـ فرع الكويت ، أي بما اصطلحنا على تسميتها سابقا بالوثيقة ـ البيان :

قال كاتبو المذكرة :

« بعد دراسة القرارات الموجهة لمجلس الطوارىء في دمشق والرسائل المتبادلة يتبين لنا ما يلي :

١ ـ أن سحب الثقة من الاخ محمد رؤوف (ياسر عرفات) كان معلقا بشرط يجب أن يلتزمه . ولقد ثبت أن رؤوف استجاب لطلب اخوانه وبذلك اعتبر قرار سحب الثقة لاغياً وغير وارد على الاطلاق بنص القرارات ذاتها ...

ب ـ ما تضمنته القرارات من نقد لأسلوب رؤوف (ياسر عرفات) في العمل لا يعدو خلافا في وجهات النظر سيناقشها مؤتمر الحركة بالتفصيل ولكنها لا تحمل أية ادانة لمحمد رؤوف شخصيا لأن الادانة ليست من حق الكويت أو غيرها انما هي اجراء يكون على مستوى الحركة كلها . ومن هنا نرى أن نلقي ضوءا على الظروف والملابسات التي تم من خلالها صياغة هذه القرارات ... » .

لنقف عند هاتين الفقرتين ونلاحظ :

١ ـ ان اللجنة « الموقرة » كذبت بادعائها أن قرار سحب الثقة من عرفات (محمد رؤوف) كان معلقا بشرط فلقد سبق أو أوردنا قرارات فرع الكويت بنصها الحرفي وليس فيها أي شرط . ومن ثم فكل الاستنتاجات المبنية على هذه الأكذوبة هي أكاذيب .

٢ ـ سجلت اللجنة « الموقرة » أول نص وثائقي يثبت منهجها الذي حاولت تعميمه لاحقا وهو اعتبار الخيانة « وجهة نظر » . فقد اعتبرت اتهامات فرع الكويت لياسر عرفات والتي تصل الى حد اتهامه بالخيانة بدلالة ممارسات معينة خلافا على وجهات النظر . وبمثل هذا المنطق تعاملت لاحقا مع السادات ومبارك وغيرهما ...

٣ ـ كذبت اللجنة نفسها حين قالت : ان الاتهامات التي وجهها فرع الكويت سيناقشها مؤتمر الحركة القادم . ومعنى ذلك أن مؤتمرها « التحضيري » المزعوم لم يناقش تلك الاتهامات اساسا ، فعلى أي أساس اعتمدت اذن في صياغة مذكرتها ؟!

٤ ـ ورغم أن مؤتمرها التحضيري لم يناقش والاتهامات مرجأة النقاش للمؤتمر القادم (الذي لم يناقشها لاحقا) فقد أصدرت اللجنة « الموقرة » حكمها بأن اتهامات فرع الكويت لياسر عرفات لا تحمل أية ادانة !! ومن ثم نصبت من نفسها حكما ومفسرا لقرارات فرع الكويت ، بدءا من الحديث عن الظروف والملابسات .

فماذا عن الظروف والملابسات التي تحدثت عنها المذكرة ؟

قالت المذكرة : « لقد كان هناك خلاف حاد في الرأي حول النقاط التالية بين فرع دمشق والكويت .

ا ـ مسألة التفرغ للعمل الوطني .

ب ـ أسلوب العمل العسكري القائم .

ج ـ وقف العمل العسكري او استمراره » .

ورغم أن هذا التصنيف لا ينطبق على مضمون (الوثيقة ـ البيان) الصادرة عن فرع الكويت، إلا أننا سنتابع عرض قول اللجنة حول هذه النقاط .

تقول المذكرة حول مسألة التفرغ : « لقد كان فرع دمشق يطالب بمزيد من الصلاحيات في قيادة العمل بحكم كونه في أرض المعركة ويطالب بتفرغ القيادة تبعا لذلك . ولكن الأخوة في الكويت كانوا يرون أن تأمين المال اللازم للعمل يحتاج الى حركة قوية متماسكة في الأقطار العربية حتى تكرس الحركة ذاتيتها بالاعتماد على نفسها ماليا وحتى لا تضطر الى الانحراف عن أهدافها بسبب عجز مالى إلى جانب أن التفرغ يثقل تبعات الحركة ماديا » .

موضوع خلاف كان يبدو في ذلك الحين بسيطاً، ولكنه خلاف جوهري بين العقلية الثورية النظيفة التي أرادت للحركة أن تكون حركة تحرير وطني فلسطيني وبين العقلية اليمينية التي سعت للانحراف بالحركة منذ البداية ... بين العقلية التي أرادتها ثورة فقيرة تعتمد امكانات شعب فلسطين الذاتية والعقلية التي أرادت اغراق الثورة بالمال وافسادها ... وفي الواقع كان خلافا بين جزء من الحركة يرى الأبيض أبيض والأسود أسود . وقيادة يمينية تريد للأبيض أن يصبح أسود وللأسود أن يبدو أبيض .

العقلية الاولى النظيفة هزمت أمام العقلية الثانية العابثة ... وكانت النتيجة هي تكريس مظاهر الاستزلام والفردية والتسلط والتنديد التي اتهم بها فرع الكويت في ذلك الحين ياسر عرفات .

ماذا عن النقطة الثانية ، وهي اسلوب العمل العسكري ؟

قالت المذكرة :

« الجناح العسكري في حركة (فتح) قوات العاصفة يتألف من عدة

عناصر ... منها عناصر حركية تدربت في الجزائر وغيرها وهؤلاء يمثلون كوادر الحركة الاساسية ... ومنها بعض المجاهدين القدامى من ذوي الخبرة والوطنية الذين ربطوا أنفسهم بالحركة ارتباطا مصيريا ... ومنها بعض العناصر التي عملت في الحقل الفدائى وتعمل لقاء راتب شهري الا أنها أقسمت يمين الولاء للعمل الوطني وبدأت تتفاعل معه ... وكان مخطط العمل المرحلي أن تبدأ الانطلاقة بهؤلاء لنكتشف اجراءات السلطة الرجعية في الأردن من جهة ولتضليلها من جهة ثانية مع الاحتفاظ بعناصرنا الحركية لنقذف بها في المعركة في حينه . لقد نجحت التجربة إلى ابعد مدى حتى استطعنا أن نضم من هؤلاء للحركة من ثبتت ثوريته ولم يسقط عند المحنة ...

وبدأت المرحلة الثانية - مرحلة التطعيم والدمج في العمليات العسكرية داخل أرضنا المحتلة من مختلف العناصر الحركية ... وكان رؤوف يصر على أن هؤلاء الذين يعملون براتب لا يقلون تضحية ورجولة عن العناصر الحركية وأنه لا يجوز الاستغناء عنهم رغم من سقط منهم في الأزمات ، بينما يرى الاخوة في الكويت أنه لا بد من الاستغناء عنهم لأنهم يشكلون عبئا ماليا على الحركة لا يمكن أن نتحمله وظل الخلاف مستمرا والذي اتفق على انهائه في مؤتمر الحركة القادم » .

لقد سبق أن ناقشنا جانبا من هذا الكلام حين تحدثنا عن عقلية التمييز بين المقاتلين الفلسطينيين .

أما ما يهمنا هنا من كل هذا فهو أنه يتحدث عن قضية لم نلمس لها اثرا في قرارات فرع الكويت ، وانما تعمدت اللجنة طرحها والاستطراد فيها لتزعم أن الخلاف شكلي ولا يدور حول مسائل جوهرية ، بل ولتحاول ترجيح كفة ياسر عرفات في هذا الخلاف .

النقطة الثالثة استمرار للهذيان الذي تضمنته النقطة السابقة . فالمذكرة تزعم أن فرع الكويت أراد وقف العمل العسكري لحين استعداد العناصر الحركية للعمل ولامكان تطوير العمل بضربات أشد وأكثر تأثيرا ... بينما يرى عرفات « أن عملية التطوير يجب أن تسير جنبا الى جنب مع عملية استمرار العمل العسكري لأن ذلك سيخلق مناخا صالحا لعملية

التطوير » ... ونلاحظ هنا أن المذكرة تناقضت مع نفسها ، اذ كانت قد زعمت في الفقرة السابقة أن المرحلة الثانية ـ مرحلة التطعيم والدمج ـ قد بدأت ... وكانت قد ادعت أن لديها كوادر حركية مدربة في الجزائر وغيرها ولكنها تحتفظ بها «للعازة» بينما يجري التفريط بغيرها. فاذا كان لديها رصيد كما تزعم، فلماذا يتوقف العمل العسكري؟!

لقد أورد تقرير لشعبة فلسطين في حزب البعث العربي الاشتراكي في ذلك الحين تفسيرا لما ورد في هذه المذكرة ، فقال : ان واضعي المذكرة قد استهدفوا حماية عرفات بعد حادثة اغتيال يوسف عرابي ، وذلك بعدم جعل قرار سحب الثقة يؤثر على وضعه القيادي ومستقبله السياسي ... هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان موضوع الخلاف لم يكن على النحو الذي صورته المذكرة ، ذلك أن المشكلة بدأت بعد أن استخدمت فتح كافة عناصرها المقاتلة والتي لم يزد عددها على ٤٠٠ عنصر واستنفدوا بين شهيد ومعتقل ، فاضطرت للاعتماد على مقاتلين برواتب شهرية أو تعويضات مقابل كل عملية عسكرية بحيث كانت تدفع للعنصر مبلغ ١٥٠ ليرة سورية لقاء كل عملية ، وهذا ما مكن الحركة من الاستمرار في عملها ، لكنه انعكس على شعبيتها اذ بدت كحركة تستأجر المقاتلين .

ونحن مع تسليمنا بصحة هاتين الملاحظتين حول المذكرة بشكل عام لكننا لا نعتقد بصحة أن فتح كانت حتى حزيران ١٩٦٦ قد استنفد لها ٤٠٠ عنصر بين شهيد ومعتقل .

ان مجموع الشهداء المسجلين على كشوف الحركة حتى يوم اغتيال يوسف عرابي كان ثمانية شهداء ومشكوك في صحة انتماء اربعة منهم وهم من عرب النقب الى الحركة اساسا ، وقد استشهدوا عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤ ، ومع ذلك فقد اعتمدت فتح الشهيد احمد موسى (استشهد في ١٩٦٥/١/٧) باعتباره الشهيد الأول . مما يعني أن عدد الشهداء حتى واقعة اغتيال يوسف عرابي كان اربعة شهداء وكان الأسير الوحيد حتى ذلك التاريخ هو محمود بكر حجازي فأين تبدد الاربعمائة عنصر اذن ؟!

لا شك أن الرقم يستند الى مبالغات القيادة اليمينية في فتح ، وتعمدها

تزوير الحقائق لتضخيم الصورة بغية التمكن من تثبيت أقدامها .

وتتأكد لنا هذه الحقيقة حين نذكر استنادا الى حديث شخصي لأحد قادة الحركة حول ظروف اتخاذ اللجنة المركزية للحركة لقرار استئناف العمليات العسكرية بعد حرب حزيران بثلاثة أشهر ، أن عدد العناصر المقاتلة التي كانت قد توفرت للحركة آنذاك ـ وبعد استفادتها من المقاتلين الذي غادروا الضفة والقطاع في حرب حزيران ـ كان ثمانين مقاتلا فقط . ولقد كان لدى كل من الفصائل الاخرى في ذلك الحين أكثر من هذا العدد من المقاتلين ، لكن أيا من قياداتها لم تجرؤ على اعلان الشروع بالمقاومة على ارضية وجود عدد محدود من المقاتلين . ما الذي جعل قيادة الحركة تقدم في ذلك الحين على ما خشي الاخرون من الاقدام عليه ؟ لا شك أن هناك عوامل عديدة ، منها عدم الشعور بالمسؤولية تجاه الأقطار العربية المحيطة بما في ذلك تجاه مخيمات اللاجئين ، ومنها الاطمئنان الى مصادر التمويل التي تغطي نفقات النشاط الاعلامي الذي يستفيد من العمل العسكري كأداة للكسب التنظيمي . ومنها أن قيادة اليمين في الحركة كانت تضع نصب عينيها هدفا محددا هو محرك سلوكها وأساس اتخاذها لقراراتها وهو الهيمنة على الساحة الفلسطينية . وبالتالي لم تتوقف طويلا أمام اعتبارات الحاجة الى تهيئة عدد ملائم من المقاتلين ، وتدريبهم بالشكل الملائم ، أو تهيئة قواعد للعمل الفدائي داخل الأرض المحتلة والعناية في المرحلة الاولى بتهيئة مستودعات للأسلحة والذخيرة في الداخل لضمان استمرارية النشاط الفدائي في العمق ، رغم أن قرارها آنذاك كان يتطلب مثل هذا العمل ، وبناء على ذلك القرار بالذات ذهب ياسر عرفات مع فاروق القدومي الى نابلس في الرحلة الوحيدة واليتيمة التي وطأت فيها قدما ياسر عرفات الأرض الفلسطينية ورأى فيها ياسر عرفات بعينيه مدينة فلسطينية .

عودا الى موضوع المذكرة نقول : ان المذكرة لم تكن الخطوة الوحيدة المتخذة لتطويق تمرد فرع الكويت وانقاذ عرفات من تهمة القتل . لقد اتخذت بعد ذلك اجراءات عديدة عملية ، وضعت منذ ذلك الحين القواعد الأساسية

لأسلوب ممارسة القيادة اليمينة لدورها في فرض الهيمنة على الحركة أولا وعلى الساحة الفلسطينية ثانياً .

وستكون هذه الاجراءات موضوع بحثنا في مقال لاحق ، ولكن بعد أن نعرض للشق الثاني من الأزمة التي مرت بها الحركة عام ١٩٦٦ ، وهو المتعلق بفرع دمشق بعد أن تناولنا الشق المتعلق بفرع الكويت .

١١ ـ هكذا دأبت قيادة « فتح » على بناء بؤرة يمينيـة محاطة بستار حديدي بديلاً للوحدة الوطنية

رغم ما لاحظناه مما أوردناه سابقاً من ادعاء عن كون الخلاف بين فرع الكويت وياسر عرفات وقيادته اليمينية هو خلاف مع فرع دمشق، فإن حواريي ياسر عرفات سرعان ما يقلبون الاسطوانة حين ينتقل الحديث الى الاتهامات التي وجهها فرع دمشق بدوره لياسر عرفات، والتي جاءت في مضمونها مؤكدة لاتهامات فرع الكويت ومتممة لها .

ففي مذكرة لجنة المؤتمر التحضيري العام الموجهة الى القيادة القطرية « حزيران ١٩٦٦ » وحول موضوع الاتهامات الموجهة لمحمد رؤوف « ياسر عرفات » في نشرة حركية بدمشق، تقول اللجنة « قبل القاء الضوء على هذه الاتهامات وفضحها نحب أن نؤكد أن عناصر طارئة على الحركة من احدى الجبهات الفلسطينية التقينا معها ايماناً منا بضرورة التقاء القوى الثورية في جبهة واحدة كانت وراء هذه النشرة، اذ دفعتها حدة الخلافات الشخصية أن تلفق لمحمد رؤوف هذه التهم الغير مسؤولة بلا رجولة أو شرف، وإن هذه الفئة ما زالت الى الآن تمارس دوراً تخريبياً ضد الحركة ورجالها بالاشاعات التي تطلقها ضد محمد رؤوف وغيره » .

كانت الجبهة المقصودة بهذا الكلام هذه المرة ليست الجبهة الثورية لتحرير فلسطين التي انتهى لقاؤها « الوحدوي » مع قيادة اليمين فى « فتح » إلى تصفية يوسف عرابي ، وإنما هي جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة أحمد جبريل ، فقد التقت بدورها مع « فتح لقاءاً « وحدويا » .

كانت جبهة التحرير الفلسطينية قد أسست عام ١٩٦٠ في القطر العربي السوري كمنظمة سرية ، وقد أسسها بعض الضباط الفلسطينيين في الجيش العربي السوري وأبرزهم الملازم أحمد جبريل . وكان لهذه المنظمة تنظيم خاص ، دقيق ، وتنتشر في نواحي دمشق ، ولها امتدادات فى أقطار عربية عديدة من بينها الأردن ومصر .

وعند شروع فتح في العمل المسلح عام ١٩٦٥ قررت جبهة التحرير الفلسطينية التعاون معها ضمن صيغة اتحادية ، وتم اللقاء بين المنظمتين ، وعين أحمد جبريل وعلى بشناق في قيادة فتح - أو هكذا خيل لهما - واستمر اللقاء حوالى سنة . لكنه لم يحدث أي تفاعل ، ولم تضع قيادة عرفات آية امكانيات تحت تصرف الجبهة لتطوير مساهمتها في الكفاح المسلح . وكان دور أحمد جبريل وعلي بشناق مشلولًا فى القيادة السياسية ، بينما كان ياسر عرفات يحاول تفسيخ الجبهة وكسب عناصرها باغرائهم بالتخلي عنها والانضمام الى فتح . وفشلت تجربة المكتب السياسي المشترك بينهما كما فشلت تجربة المكتب السياسي الذي ضمها وضم الجبهة الثورية لتحرير فلسطين « حيث عين محمد زهدي النشاشيبي في المكتب السياسي ويوسف عرابي في المكتب العسكري » .

وكان سلوك ياسر عرفات هو سبب الفشل اذ عرقل العمل وعمق التناقضات مما أدى الى حضور قادة الحركة الى دمشق في مطلع عام ١٩٦٦ حيث عقدوا مؤتمراً حددوا فيه الصلاحيات وشكلوا مكتباً سياسياً وعسكريا ... ولم يمض شهر على هذا التشكيل حتى انفرد عرفات بالعمل وأهمل بقية الأعضاء . وقد أدى هذا السلوك الى مطالبة قيادة الكويت بعزل ياسر عرفات واحضاره الى الكويت للمثول أمام القيادة ! الا أنه تمرد على هذا القرار اثر حادثة اغتيال النقيب يوسف عرابي « حيث تم التخلص من أحد طرفي المشكلة الناجمة عن التقاء ثلاث فصائل » . وما لبثت جبهة

التحرير الفلسطينية أن انفصلت عن الحركة ، ولكن بعد أن كانت قيادة اليمين في فتح قد نجحت في تطويق تمرد فرع الكويت ، وفي تدبير تمرد مضاد في الكويت غايته تكريس دور اليمين في قيادة الحركة وبعد أن بادرت الى توجيه اتهامات لجبهة التحرير الفلسطينية على نمط الاتهام الذي أوردناه في مقدمة هذا الحديث استناداً الى نص مذكرة لجنة المؤتمر التحضيري العام .

لقد كان انفصال جبهة تحرير فلسطين عن الحركة هو النتيجة المنطقية لاسلوب قيادة عرفات الرامي الى التخلص من الجبهة ان لم يكن بالاستيعاب واغتيال العناصر القيادية ، فاحباط الصيغة الوحدوية معها . وقد تفاقمت هذه الرغبة لدى ياسر عرفات عقب اغتيال يوسف عرابي ، وتوقيف ياسر عرفات للتحقيق معه في الجريمة ، اذ كان مؤتمر قيادة الحركة في دمشق الذي انعقد في اوائل عام ١٩٦٦ ، أي قبل اغتيال عرابي قد قرر تكليف أحمد جبريل ببعض المهام القيادية ، كما قرر ضم جبهة تحرير فلسطين الى حركة فتح رغم معارضة ياسر عرفات الشديدة لهذا القرار . فكان من الطبيعي أن يتخوف عرفات وجماعته من استمرار وجود أحمد جبريل وجبهة تحرير فلسطين في الحركة ، لذا بادرت لجنة التزوير التي حملت اسم لجنة المؤتمر التحضيري العام الى توجيه الاتهامات للجبهة بكونها وراء الاتهامات الموجهة لياسر عرفات من فرع دمشق ، ووصفتها بأنها « عناصر غريبة » ، طارحة على بساط البحث مسألة اخراج الجبهة من الحركة . فقد بات من الضروري انهاء لقاء المنظمتين للتحلل من عبء يهدد هيمنة جماعة « الاخوان المسلمين » على الحركة . وكان لهم ما أرادوا .

يوضح وفد من حركة فتح ضم صلاح خلف وخليل الوزير ومحمد يوسف في لقائه مع حزب البعث عام ١٩٦٦ موقف قيادة اليمين من جماعة أحمد جبريل آنذاك بالقول : « ان اتصال فتح مع جماعة أحمد جبريل بدأ منذ سنتين ، وأنهم توصلوا الى اتفاق بالاندماج ، لكن الخلاف دخل الحركة بدخولها » . وهم يرون أن أسباب الأزمة في الحركة تعود الى جماعة أحمد جبريل وأن مؤتمر الحركة التحضيري قرر تجميد الصلة بهم

ويترك للمؤتمر القادم اعطاء القرار النهائي .

وهكذا فان قيادة اليمين هي التي فصمت الوحدة مع جبهة تحرير فلسطين مثلما دمرتها مع الجبهة الثورية ، ومثلما فعلت بكل خطوة للوحدة الوطنية في الساحة الفلسطينية .

ما هي الاتهامات التي وجهها البعض من فرع دمشق لياسر عرفات ؟

للأسف ، فانه لا تتوافر لدينا أية وثائق تتضمن مباشرة تلك الاتهامات كما صدرت عن العناصر المعارضة لنهج عرفات ، وانما نملك فقط رد أنصار عرفات على ما اختاروا الرد عليه من تلك الاتهامات .

فحول ماذا كان الرد ؟

تقول مذكرة لجنة المؤتمر التحضيري العام بهذا الصدد مايلي :

« يهمنا أن نؤكد هنا أن موضوع الاتصال بالسعودية لم يكن تصرفا فرديا من رؤوف متفردا وانما كان بناء على خطة وضعت للاتصال بها ولم يكن رؤوف يعرف قرار الاخوة بتجميد هذا الاتصال بدليل أنه رجع من السعودية دون أن يقابل مسؤولا فيها عندما وصلته برقية من اخوانه بذلك . أما موضوع الاتصال بالسعودية فله ظروفه الخاصة ، فقد جاء بناء على اقتراح احدى المناطق بذلك اثناء مؤتمرات القمة العربية وبعد توقيع اتفاقية جدة ، ولكن الحركة رأت بعد ذلك تجميد هذا الاتصال حتى لا يؤول ويحمل الموضوع على غير مرماه الحقيقي » .

وتضيف المذكرة كاشفة جانبا آخر من الاتهامات :

« والموضوع الذي يثير السخرية قصة السفر الى قبرص والاستنتاجات اللا أخلاقية التي صاحبته مع أن القضية بغاية البساطة . فلقد أراد رؤوف السفر الى بيروت ونظرا لأنه دخل بيروت عن طريق دمشق عدة مرات رأى أن يدخلها عن طريق قبرص تضليلا للسلطة الرجعية في لبنان ، خاصة أنه كان يحمل تعليمات خاصة ومهمة لرفاقنا في بيروت » .

هذا ما تقوله المذكرة ، أما المعلومات الاضافية التي توفرت لدينا نقلا

عن مصادر الحركة فتقول أن موضوع الاتصال مع السعودية - آنذاك - كان أخذ معونات من السعودية ، وأن فاروق القدومي « ابو اللطف » فسر في حينه موضوع وقف الاتصال بأنه كان نتيجة للصراع الذي نشب بين عبد الناصر والسعودية وخشيت قيادة فتح من أن يفسر اتصالها في ذلك التوقيت تفسيرا ليس لصالح الحركة . ويفهم من ذلك أن قيادة اليمين في فتح خشيت قيام أجهزة اعلام عبد الناصر بكشف هذا الاتصال مما جعلها تعمل على نفيه .

لكن قيادة اليمين في حركة فتح كانت في أسلوب مناقشتها وتبريرها لهذا الموضوع تمارس كذباً مكشوفا لأسباب عدة :

١ - ان اعتماد قرار تأسيس الحركة انما تم في مؤتمر لجماعة «الاخوان المسلمين» في المدينة المنورة، أي أن العلاقة بين قيادة الحركة وبين المملكة العربية السعودية هي علاقة بدأت منذ التأسيس ، ومن ثم فلا معنى للحديث عن اتصال جرى على هامش القمة ، وقرار اتخذ عام ١٩٦٦ وجرى التراجع عنه بالاتصال بالمملكة لأن هذه المزاعم مخالفة للحقائق التاريخية كلياً .

٢ - ان معتمد الحركة في السعودية آنذاك كان أحمد عرفات القدوة والذي عرف لاحقاً باسم الحاج مطلق ، أي أن الحركة كانت تمارس نشاطها التنظيمي والاعلامي في المملكة العربية السعودية بشكل عادي ، وهي ممارسة ما كان يمكن أن تتحقق دون موافقة السلطات السعودية على فتح مكتب للحركة واعتماد مندوب لها ... وهذه الموافقة ما كان يمكن أن تتم دون لقاء بين قيادة الحركة والسعودية .

٣ - ان من يعترف بأنه يكذب لاخفاء الحقيقة ، أو يتراجع خوفاً من الكشف عن الحقيقة ، إنما يثير الشك بسلوكه .

٤ - لو طلبنا من قيادة اليمين في الحركة أن تعود الان الى تأكيد ما ادعته آنذاك فإنها لن تقتصر فقط على رفض ذلك ، بل وستعمد الى تكذيب نفسها علانية بصدد ما كانت المذكرة قد ادعته في حينه .

وبصدد النقطة الثانية فان المعارضين لياسر عرفات لم يقتنعوا في حينه بالتفسير الذي أوردته المذكرة ، وقالوا أنه كان بوسعه دخول لبنان

باسم مستعار ، كما كان بوسعه الوصول الى مطار بيروت اذا أراد تفادي الطريق البري عن غير طريق قبرص .

ان اطلاق جماعة عرفات لمثل هذه التبريرات فى حينه لم ينه الاتهامات التي توجهها قواعد الحركة لياسر عرفات وقيادة اليمين . ويتبين لنا ذلك بكل وضوح من مطالعة نشرة « الثورة المسلحة » الصادرة عن حركة فتح في تشرين الثاني ١٩٦٦ . ففي أحد مقالاتها تقول النشرة ..

« احبطوا حملات التشكيك ... هذا هو شعار لجنة التعبئة والتنظيم لهذا الشهر ... أحبطوا حملات التشكيك المسعورة التي يطلقها الخونة المارقون الذين أذهلهم ومزق صدورهم هذه السرية المطلقة التي تلف كل تحركات وأعمال الحركة بعد أن استجبتم أيها الاخوة لشعارنا « الستار الحديدي » الذي طرحناه في العدد الأول ، والذي طالبناكم فيه أن تفرضوا على تحركاتكم وأعمالكم الحركية ستاراً حديدياً من السرية المطلقة حتى تفوتوا على العملاء والأذناب والمتلصصين فرصة اقتناص أبناء الحركة » .

ثم تتحدث النشرة عن « سيوف الهمس القذرة » التي يضربون بها على طريقة هيتشكوك ظانين أن بمقدرتهم أن ينالوا من قيادة الحركة وأعضائها وسمعتها ومعجزتها » ..

وتورد النشرة أمثلة على ما يشاع كما يلي :

- « ان قيادة الحركة منقسمة على نفسها وانها ليست كفؤا للقيادة » .
- « ان بلاغات الحركة العسكرية كلها ملفقة » .
- « ان أعمال الحركة ارتجالية ودون تخطيط .

وتطلب النشرة بعد ذلك من عناصر الحركة الابلاغ عن كل اشاعة تنطلق ، منذرة بتصفية الحساب مع كل الذين يطلقون مثل هذه الاشاعات » .

لكن النشرة رغم ذلك تعترف بوجود أزمة في الحركة ، اذ تقول في مقال آخر ان « الأزمة التي مرت بها الحركة كانت تعبيراً واقعياً عن نقص في هذه الحركة ، اما أن يكون النقص عجزاً في القيادة أو غياباً للكادر

الثوري المنظم أو افتقارا الى منهج ثوري في العمل ، أو هذه الأسباب والعلل جميعها . لا بد أن يكون في الحركة علة من العلل . صحيح أن عوامل مضادة خارجة عن الحركة قد زادت في حدة الآزمة وجعلتها تتفاقم بالشكل الذي تمت عليه ، ولكن العلة الآساسية تكمن فى جسم الحركة ، ولا بد من عملية جراحية لاجتثاث هذه العلة » .

وادعت النشرة أن العلة هي في كون « التنظيم الحركي ليس في المستوى المطلوب وأن العضو لا يتحلى بثقافة ثورية تؤهله أن يكون في أعلى مستوى من الوعي ، وهذا في الحقيقة ليس تقصيرا من جانب قيادة الحركة ولكن حتمية المرحلة السابقة فرضت ذلك » .

براءة للقيادة .. اتهام للقاعدة !!!

وماذا عن العلاج ؟

حددت النشرة ملامح العلاج الذي قررت القيادة اعتماده لمواجهة الآزمة :

ـ « خلق جهاز خاص للتثقيف الثوري يتولى مهمة النشرات والتوعية والتنظيم » .

ـ « بناء وتطوير مكتب للاتصال الخارجي ليشرف على مختلف الاتصالات بفروع الحركة » .

ـ « عزل جميع العناصر الخارجية وإقصائها » ... وهنا أوردت النشرة عبارة أن الحركة « طهرت نفسها من الدخلاء » ـ وهي اشارة سافرة الى دور قيادة اليمين في التخلص من يوسف عرابي وجبهته الثورية واحمد جبريل وجبهة تحرير فلسطين والقيادات الحركية المناوئة في فرع الكويت .

ـ « فعاد الصفاء الى الحركة » (!) .

ـ « تشكيل جهاز الرصد الثوري ـ الأمن ـ لحماية الحركة واعضائها من العملاء والخونة والاستخبارات » .

باختصار ، فقد كان الأساس الذي بنيت عليه هذه القرارات هو أن تجعل قيادة اليمين من الحركة « عشاً خاصاً بها تتحكم بشؤونه بشكل مطلق » .

وعلى هذا الأساس ، شكلت لجنة منظمة جديدة لاعادة تنظيم الأجنحة

في الكويت بما يتلاءم مع مزاج القيادة اليمينية، وقامت بتأليف لجنة استشارية للشؤون السياسية ضمت عناصر قيادية من مناطق مختلفة في البلاد العربية . وكانت الغاية من هذا القرار توسيع دور الكوادر المنتمية لجماعة « الآخوان المسلمين » في مساعدة ياسر عرفات على ضبط الأمور بما يخدم أهداف القيادة اليمينية .

١٢ ـ بعيداً عن المواجهة

في الوقت الذي كانت فيه قيادة اليمين في حركة « فتح » تقترب من امكانية التغلب على الأزمة الاولى في الحركة عام ١٩٦٦ ، كانت تجري في المنطقة تطورات ذات أهمية بالغة لا يمكن للمراقب السياسي أن يتجاهلها اذا أراد أن يخضع الاحداث لنوع من التحليل المتكامل ، خاصة اذا كانت التجربة قد أثبتت أن قيادة اليمين في « فتح » انما عبرت وتعبر عن اتجاه سياسي معين في المنطقة ، وأنها سخرت في خدمة هذا النهج منذ البداية ...

ما هي أبرز هذه التطورات ؟

انها باختصار :

١ ـ حركة ٢٣ شباط التصحيحية في القطر العربي السوري ، والتي شكلت مقدمة لانفراج العلاقة بين البعث وعبد الناصر ، حيث أطلق عبد الناصر الاشارة الأولى لهذا الانفراج في ١ أيار ١٩٦٦ . وجرى بعد ذلك استئناف العلاقات الديلوماسية وتبادل الوفود بين القطرين .

٢ ـ رجحان كفة عبد الناصر المساند للجمهوريين في الصراع بين الملكيين والجمهوريين في شمال اليمن.

٣ ـ تفاقم الأزمة الاقتصادية في الكيان الصهيوني ، وبلوغ الهجرة المعاكسة لليهود أقصى درجاتها .

٤ ـ التحركات الشعبية في الاردن، وخاصة بعد العدوان الاسرائيلي على السموع ، ودخول الحركة الوطنية الاردنية مرحلة المد من جديد بعد الجزر الذي عانت منه أثر الضربة التي وجهت لها عام ١٩٥٧ .

ان الاستنتاج المنطقي الذي يمكن أن يصل اليه المرء من ملاحظة تضافر هذه العوامل في وقت واحد خلال العام ١٩٦٦ ، هو أن حركة فدائية مناضلة من أجل تحرير فلسطين كان لا بد لقيادتها من أن ترتب دورها ونشاطها على أساس تعزيز التحالف مع البعث وعبد الناصر ، وتصعيد المقاومة •

لكن السلوك العملي للقيادة اليمينية في حركة فتح كان مخالفاً تماماً لهذا الاستنتاج . ان ما أوردناه في مقالاتنا السابقة حول ملابسات أزمة الحركة وعلاقاتها بالقوى الاخرى عام ١٩٦٦ يدلل على ذلك ... فبدلًا من تعزيز التحالف مع البعث وعبد الناصر سلكت السبيل المعاكس ، وبينما وجهت لقيادة اليمين في الحركة منذ انطلاقتها عام ١٩٦٥ اتهامات مْن البعض تربط بين دورها وبين محاولة ابعاد عبد الناصر عن اليمن لصالح الرجعية ، فان أدبياتِ قيادة اليمين في الحركة ـ وبحجة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ـ لم تتضمن كلمة واحدة تعبر عن انحيازها للجمهوريين في حرب اليمن !

ففي عدد صحيفة « الجريدة » الصادر في ١٩٦٥/١/١٩ ورد خبر يقول أن أوساط منظمة التحرير وجهت الاتهام الى حركة فتح بأن أغلب اعضائها من « الاخوان المسلمين » وأنهم يعملون لتوريط عبد الناصر في حرب مكشوفة مع « اسرائيل » .

وجريدة « الأحد » اللبنانية ، قالت في عددها الصادر يوم ١٩٦٥/٦/٢٠ أن المعلومات التي توفرت لديها تؤكد أن العاصفة مرتبطة بالاخوان المسلمين بالفعل ، بدليل أن أبرز قادتها العسكريين من عناصر الاخوان المسلمين ومن كبارهم، وللمثال لا أكثر ذكرت كامل الشريف ـوهو مصري أصلاًـ ووصفته بأنه المستشار العسكري لمنظمة العاصفة، كما

ذكرت اسم ياسر عرفات وأضافت أن هناك دليلاً ثالثاً على اخوانية العاصفة يرتبط بجريدة ـ فلسطيننا ـ الاخوانية التي تصدرها المنظمة الأم فتح.

وفي تلك الايام كتب شفيق الحوت متهماً القيادة اليمينية في فتح بأنها مرتبطة بحلف السنتو ! والواقع أن قيادة اليمين في فتح وعبر التجربة العملية لم تقدم ما يبدد مثل هذه الاتهامات والشكوك .. وقد أحجمت احياناً حتى عن التظاهر اللفظي بما يبدد هذه الاتهامات والشكوك .

وكان من بين الوقائع الملفتة للنظر مقارنة بما اتخذته قيادة اليمين في «فتح» من مواقف متناقضة بعد ذلك موقفها من الأحداث التي وقعت في الأردن عقب العدوان الاسرائيلي على السموع أواخر عام ١٩٦٦ .

فعقب العدوان على السموع، عمت المظاهرات مختلف أنحاء الأردن، ونشطت بعض الفصائل الفدائية ومنها جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية التي كان يقودها طاهر دبلان «كتائب النصر لاحقاً» بتنفيذ بعض أعمال العنف، وقد تداعت في ذلك الحين بعض القوى الوطنية الأردنية والفصائل الفدائية لعقد اجتماع لممثليها لتدارس خطة مشتركة للعمل من أجل مساندة الانتفاضة الشعبية، فماذا كان موقف قيادة اليمين في «فتح»؟

لقد رفضت هذه الدعوة، وإعتصمت بشعار «عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية». هذا الشعار الذي أهملته كلياً كلما اتصل الأمر بعلاقتها مع الأنظمة التقدمية. وفي الوقت الذي رفضت فيه عملياً مساندة الانتفاضة الشعبية في الأردن فقد عمدت إلى إصدار بيان سياسي تخدع به قواعدها وجماهير شعبنا الفلسطيني، ويمثل في الوقت ذاته نموذجاً لطبيعة العقلية اليمينية في الحركة وأهدافها..

البيان المشار اليه صدر في ١٩٦٦/١٢/١٠ . وهي في مقدمته تورد العدوان على السموع كواحد من الأحداث «الدامية» التي شهدتها المنطقة، داعية الى الوقوف عند هذه الأحداث «وفهم طبيعتها وتحليلها

بمنطق يرتفع الى مستواها بعيدا عن العاطفة والانفعال » !
متجاهلة الحديث عن الانتفاضة الشعبية التي كانت قائمة فعلا في الضفتين ، وكأنما هي تطالب الجماهير بالابتعاد عن « العاطفة والانفعال » !

ان هذه الأحداث الدامية في نظرها ، ومع بعض الاختصار للنص هي :
- نشاط متصاعد لأعمال قوات العاصفة ..
- تزايد ظهور الشعب الفلسطيني على مسرح العمل الايجابي ..
- تأييد منظمة التحرير للعمل الفدائي الفلسطيني الفوري ..
- « الموقف النضالي البطولي الرائع الذي وقفته الجماهير الفلسطينية في مناطق خطوط الهدنة تجاه العدو الصهيوني على قرية «السموع» البطلة ومطالبتها بالسلاح للثأر ومواجهة العدوان » .
- احتضان الجماهير الفلسطينية والعربية لفكرة العمل الفدائي الفوري ..
- « محاولة القاء تبعة العمل الفدائي الذي تقوم به قوات العاصفة على سورية العربية امعاناً من الصهيونية والاستعمار في طمس كفاح الشعب الفلسطيني الذاتي وانكار وجود الارادة الفلسطينية الحرة ، هذا الى جانب تحقيق مآرب استعمارية عدوانية تدبر في الخفاء ضد سوريا » .
- انتشار الهلع والذعر داخل الأرض المحتلة من نشاط الفدائيين الفلسطينيين مما دفع الصهاينة الى عدوانهم ومحاولة الربط بين العدوان والاستراتيجية الجديدة التي تقضي بالانتقام من المدنيين الفلسطينيين والعرب ...
- المظاهرة العسكرية التي حاول « الأسطول السادس » الأمريكي والاسطول البريطاني من خلالها أن يؤكدا وجودهما وتأييدهما لدولة العصابات الصهيونية .

- انتقال القضية الفلسطينية في المحافل الدولية من قضية لاجئين وقضايا حدود وإغاثة وتعويض وتوطين الى قضية تحرير وتقرير مصير

« مجلس الامن الدولي وبحثه أعمال الفدائيين الفلسطينيين والاقتراح الامريكى البريطانى بتحميل الفتح مسؤولية هذه الاعمال » .

وواضح من ايراد هذه النصوص ، وهي كل ما أورده البيان حول الأحداث الجارية الدامية :

١ ـ محاولة قيادة اليمين تضخيم صورة الدور الفتحوي دعائيا وجعله محور الأحداث والتطورات .

٢ ـ تجاهل وجود معارضة شعبية في الأردن وإعتبار ما يجري مجرد تظاهرات تأييد للعمل الفدائي .

٣ ـ تزوير حقيقة الأهداف التي دعت الي استعراض الاسطولين الامريكي والبريطاني في المنطقة .

ومن الطبيعي بعد ذلك أن يخرج بيان الحركة بمجرد طرح أهداف مطلبية يناشد الحكم في الاردن تحقيقها كتحصين قرى الحدود وانشاء فرق المقاومة الشعبية والدفاع المدني .

ومن الطبيعي ايضا ـ وهنا بيت القصيد ـ أن يصل البيان في ختامه الى ملاحظة من أجلها صيغ البيان بكامله ، والنص كما يلي : « الملاحظة الثانية ... تتعلق بشجب أي محاولة لاستغلال العمل الفدائي لتحقيق أغراض سياسية آنية لا تتصل بالايمان بجدوى الكفاح المسلح الفوري كمنطلق للتحرير ولضرب العمل الفدائي القائم الذي ثبت تأييد شعبنا له واصراره على تطويره والاستمرار فيه كطريق وحيد للعودة وطرد المحتل من أرضنا » .

ولا يستطيع من يقرأ هذه الملاحظة ، ويعرف الموقف العملي من الدعوة لتنسيق جهود القوى الوطنية لدعم الانتفاضة الشعبية في الاردن آنذاك ، غير أن يخلص الى استنتاج واحد ، وهو أن قيادة اليمين في فتح اعتبرت العمل على اقامة حكم وطني في الأردن في ذلك الحين « أغراضا سياسية آنية » ، وأن هذه الأغراض السياسية الآنية « لا تتصل بالايمان بجدوى الكفاح المسلح الفوري » .

فأين انتهى موقفها من جدوى الكفاح المسلح الفوري؟

لقد حل محله شعار «الحل السياسي الفوري» . ولكن هل هو صحيح أن شعار «الحل السياسي الفوري» هو شعار جديد؟

الواقع أنه ما أن وقعت نكسة حزيران ١٩٦٧ حتى طرحت قيادة اليمين شعار « الحل السياسي الفوري » ، وكان ذلك سبباً في انفجار أزمة جديدة داخل الحركة وهذا ما سنتناوله في المقال القادم ، على أن نعود لمعالجة موضوع العلاقة مع النظام الأردني بتفاصيلها في وقت لاحق .

١٣ ـ ١٨ عاماً على طريق تنفيذ خطة دايان ـ عرفات قيادة اليمين لعبت دور الترويض والإغواء والتسلط بهدف تطبيق اتفاق تحددت أبعاده في أيلول / ١٩٦٧

مثلما رفعت قيادة اليمين الفلسطيني شعار « الكفاح المسلح الفوري » في وجه تيار الوحدة اولًا ، وفي وجه تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ثانياً ، وفي وجه الانتفاضة الشعبية في الأردن عام ١٩٦٦ ثالثاً ، فقد رفعت شعار « الحل السياسي الفوري » ولكن كحصاد لنكسة حزيران ١٩٦٧ ★ ! وشاركت في رفع هذا الشعار ، وضمن المضمون الذي حدده له آنذاك ، جنرال اسرائيل الأعور موشيه دايان !!

حكاية تبدو غريبة ... وأغرب من الخيال مثل الحكايات العديدة التي أوردناها من قبل ... ولكن ، هذا هو نمط سياسة وممارسات قيادة اليمين الفلسطيني ...

لنتوقف عند ملامح هذه الحكاية ...

في أواخر عام ١٩٦٧ ، أي بعد عدوان حزيران بشهور قليلة توترت العلاقات مجدداً بين قيادة فرع الكويت وبين قيادة ياسر عرفات ... وكان السبب المباشر لعودة الأزمة الى الانفجار هذه المرة أن الكتلة المعارضة

لنهج قيادة اليمين علمت بأن اللجنة المركزية لحركة فتح في دمشق أقرت بيانا على شكل منهاج مرحلي يتضمن الموافقة على انشاء كيان فلسطيني سياسي في الضفة الغربية وقطاع غزة ... ولكن هذا البيان لم يعمم على جميع أعضاء الحركة أو على سائر قياداتها ، وانما اقتصر توزيعه على بعض العناصر المضمونة الولاء لخالد الحسن .

ولما استوضح المعارضون ، وكان ثلاثة منهم من أعضاء قيادة أقليم الكويت ـ ولعل بعضهم قد دس على المعارضة أو كلف من ياسر عرفات بهذا الدور ـ وهم محمود الوزير وموسى قنيبة وفتحي عرفات القدوة « شقيق ياسر عرفات » عن هذا البيان من خالد الحسن بصفته ضابط الاتصال ، أفادهم أن البيان سري ولذلك لم يطلعهم عليه ، فأوفدوا واحداً منهم الى دمشق للاستفسار ولكن عناصر القيادة اليمينية في دمشق أنكرت وجود البيان اصلًا . الا أن المعارضين استطاعوا الحصول على نسخة من البيان المذكور ، فبدأوا يتحركون لادانة اللجنة المركزية مركزين على خالد الحسن وفاروق القدومي « الذي وصفوه بالانتهازية » وعصام السرطاوي ، ولم يشككوا بياسر عرفات أو خليل الوزير (!) ولكن لم يكونوا يطمئنون الى مواقفهم حيال الخلاف والصراع الداخلي في الحركة ! « ملاحظة : مصدر التحليل في هذه الفقرة هو الرفيق زهير محسن رحمه الله في تقرير أعده عن أزمة الحركة في ذلك الحين » .

ونتيجة الضغط المتزايد لعناصر المعارضة ، ذهب ياسر عرفات الى الكويت في تشرين الأول ١٩٦٧ « من الضروري وضع خط عريض تحت هذا التاريخ لأنه يعني أن تبني الحل السياسي بالصيغة التي تضمنها البيان المشار اليه تم غالباً في أيلول » ، مزوداً بصلاحيات تامة من القيادة العليا ، فحل قيادة الأقليم وعين قيادة جديدة إستبعد منها العناصر الثلاثة السابقة الذكر (!)

لا نريد الاستطراد الآن في سرد وقائع هذه الأزمة ، فلهذا الاستطراد مكان آخر ... وما أردناه هنا هو فقط ، وفي غياب نص البيان الذي كان مصدر اثارة الأزمة باعتباره الوثيقة الأساسية على الانحراف السياسي لقيادة اليمين ، وعلى تواطؤ اعضاء هذه القيادة في الانحراف ، ان نثبت

الواقعة ونحدد تاريخها الزمني ، ونقارنها بالموقف الاسرانيلي في حينه ، حيث سنكتشف أن معلما واحداً يقف وراء القيادتين اليمينيتين الفلسطينية والاسرانيلية !

لقد صدرت الاشارة الضونية الأولى حول الفكرة الاسرانيلية للحل الفلسطيني في ايلول ١٩٦٧ - متزامنة مع بيان قادة اليمين في فتح - حيث ذكرت مصادر العدو أنه يجري بحث مشروع لاستقرار وتطوير الأراضي المحتلة في لجنة وزارية برئاسة الدكتور رعنان فايتس- وأن من مهمات اللجنة اعداد مشاريع لتوطين اللاجئين الفلسطينيين واقامة مستوطنات يهودية .

وعقبت صحيفة الغارديان ١٩٦٧/٩/٢٨ على الخطة المذكورة قائلة :

« ... غير أن للمستعمرات الاسرانيلية دورا هاما ستلعبه اذا قررت اسرائيل الاصرار على خلق كيان فلسطيني مستقل . ومن المحتمل أن تنال هذه الفكرة التأييد ، اما بسبب البغض الذي سببه فشل العسكرية الاردنية في الضفة الغربية من الاردن ، أو لأن الفلسطينيين لم يكونوا ابدا رعايا قانعين للمملكة الهاشمية ، أو لأن الارتباط باسرائيل ، سيوفر فوائد اقتصادية جوهرية » .

وأوضحت الغارديان : « أن وجهة النظر الاسرائيلية السائدة تكمن في أن قيام كيان فلسطيني مستقل لا بد وأن يرتبط « باسرائيل » الى درجة ما اقتصاديا وعسكريا ، فوحدة اقتصادية بين « اسرائيل » وفلسطين مثلًا تستطيع تمهيد السبيل الى تخفيض موانع التجارة والحواجز الاخرى مع الأردن ولبنان » . وكان ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل قد اقترح يوم ٢٧ أيلول ١٩٦٧ في استراسبورغ اقامة اتحاد اقتصادي بين « اسرائيل » ولبنان والأردن قائلا بأن هذا الاتحاد هو حل بناء يمكن تحقيقه فعلًا اذا وجدت الرغبة بتحقيق سلام وازدهار في الشرق الأوسط » .

لقد نسبت فكرة « الحل الفلسطيني » هذه في حينه الى موشيه دايان ، وقيل أنه « صاحب الاقتراح بانشاء جمهورية فلسطينية في الضفة الغربية باجراء استفتاء فيها » « الفيغارو - ١٩٦٧/١١/١٣ » . وأكدت صحيفة الجويش كرونيكل أن مدرسة في الحكومة الاسرائيلية « هي

الاكثر اتساعا » تحمل رأيا يقول : « ان على اسرائيل أن تشجع وبلطف الضفة الغربية لاقامة نظامها الخاص في دولة شبه عربية تدير شؤونها الخاصة ما عدا الدفاع والسياسة الخارجية ، وتعيش بتعاون كامل مع اسرائيل » (١٩٦٧/١١/١٧) .

وكتبت الصنداي تلغراف اللندنية تقول « ان أفضل فرصة تكمن في اقامة دولة فلسطينية تربط اسرائيل بمملكة الاردن ، وتستطيع في النهاية اقرار مستقبلها بنفسها ، وان امكانيات مثل هذا الحل تناقش حاليا في دوائر الحكومة الاسرائيلية » (١٩٦٧/١١/١٩) . بل أكثر من ذلك فان الاسرائيليين ، أخذوا يناقشون بين أخذ ورد كل أنواع الافكار الغامضة « من أجل تحويل الضفة الغربية مع الضفة الشرقية للاردن اذا كان ذلك ممكنا ، الى فلسطين جديدة ، حيث يمكن للاجئين أن يستقروا في النهاية والى الأبد ، ويتلقوا معونات اقتصادية كبيرة من المجتمع الدولي ومن اسرائيل» (الغارديان ٢٧ / ١١ / ١٩٦٨) .

وقد بارك المليونير الصهيوني روتشيلد - الموجه الحقيقي للسياسة الاسرائيلية - في حينه فكرة « الحل الفلسطينى » هذه ، فقد نسب اليه أنه أدلى بتصريح قال فيه بأن جده اشترى أغلب اراضى فلسطين التي تحتلها اليوم « اسرائيل » ، وأنه يؤيد موشيه دايان في ضرورة عزل العرب ، وأنه يرى أن يكون هذا العزل في نطاق دولتين أحداهما في غرب الأردن ، والثانية في غزة ، على أن تسيطر « اسرائيل » على السياسة الخارجية والدفاع في هاتين الدولتين التابعتين . (الجمهورية القاهرية ١٩٦٧/١٢/٤) .

وفي ضوء هذه المعطيات فان المعنى الوحيد للبيان البرنامج الذي تبنته قيادة اليمين في حركة فتح في ايلول ١٩٦٧ هو أنه كان جواباً بالموافقة على الاقتراح الاسرائيلي .. وليس هناك من معنى آخر ..

قد يتساءل البعض : اذا كان الامر كذلك ، فلماذا لم توضع مثل هذه التسوية موضع التنفيذ في حينه ؟!

ونجيب أن مثل هذه التسوية ما كان يمكن أن توضع موضع التنفيذ

في حينه لاعتبارات كثيرة .

اولاً : ان قيادة اليمين لم تكن آنذاك مهيمنة على العمل الفلسطيني .. فكان لا بد من أن تسعى الى تحقيق الهيمنة وحتى داخل فتح لم يكن ياسر عرفات قد اعتمد بعد ناطقا باسم الحركة .

ثانيا : ان بالون الاختبار الذي أطلقته قيادة اليمين في حينه لسبر غور حركة فتح نفسها ، قد أثار في وجهها زوبعة احتاجت بضعة أشهر للتغلب عليها ، ولعلها أطلقت بالون اختبارها هذا أساسا وفق خطة مدروسة ترمي الى تهيئة أرضية في الحركة تقبل التعامل بمنطق « الحل السياسي الفوري » وتعتمد عليها في متابعة تنفيذ برنامج ترويض الشعب الفلسطيني .

ثالثاً : لم يكن بوسع قيادة اليمين أن تجاهر بمثل هذه الموافقة وبمثل هذا الحل أمام واقع شعبي مجمع على المعارضة وأمام لاءات مؤتمر الخرطوم الثلاث .

ومن هنا ، فقد كانت المهمات التي يقتضيها تطبيق مشروع دايان - عرفات طويلة ومعقدة وهي في الشق الأول منها تقتضي :

١ : الهيمنة على قواعد حركة فتح « الاسراع في تضخيم حجم الحركة التي كانت حتى ذلك الحين صغيرة ».

٢ - الهيمنة على الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية .

٣ - تصفية التواجد المسلح وقوى الحركة الوطنية في الأردن وتعريض الفلسطينيين للمجازر .

٤ - التواجد المسلح في لبنان وتصفية التواجد المسلح وقوى الحركة الوطنية في لبنان وتعريض الفلسطينيين للمجازر .

٥ - التصادم مع سوريا بأي ثمن .

وفي الشق الثاني منها تقتضي :

- اجراء الاتصالات الفلسطينيية - الاسرائيلية لتأكيد مبدأ التعايش .

- الانتقال الى منطق القبول بالحل القائم على التعاون الاقليمي

(مشروع ابا ايبان السابق الاشارة اليه) من خلال القبول بمشروع الكونفدرالية الفلسطينية - الاردنية وتطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني .

والغرض من هذا كله :

- عزل الفلسطينيين عن محيطهم العربي نفسيا .

- فرض منطق التعايش وتطويره الى مستوى التعاون مع الاسرائيليين .

-ترتيب البيت « الاسرائيلي » ، الفلسطيني ، الأردني ، اللبناني . من خلال تسوية سياسية متفاوض عليها ، وتصفية القضية الفلسطينية تحت مظلة شعار « استقلالية القرار الفلسطيني » .

وقد جرى ما تحقق في كامب ديفيد بين السادات والصهاينة ليساعد فى محاولة تنفيذ هذا المخطط القديم المستمر المتجدد بركنيه المتوفي موشيه دايان والحى ياسر عرفات ، فياسر عرفات وقيادته اليمينية أسبق من السادات في تبني منهج التسوية التصفوية ، بل اننا لا نشك لحظة واحدة في أن التاريخ سيكشف ذات يوم أن ياسر عرفات وقيادته اليمينية قد لعبوا دور الاغواء السياسى سواء بالنسبة للسادات أو لملوك ورؤساء اخرين في الوطن العربى وفي العالم خادمين لمخطط اسرائيل في بعديه : الفلسطيني والاقليمى . الداياني - العرفاتي ، اولا والابا ايباني ثانيا !! وسنأتي في وقت لاحق على ذكر بعض وقائع الاتصالات التي كانت قائمة بين عرفات من جهة ودايان وايغال آلون من جهة ثانية .

واذا كان عرفات يشعر الآن ازاء سورية بشعور الموتور الحاقد فلأن صبر سورية على الأذى .. تحملها للقذى .. صمودها في وجه المخطط الجهنمي ، جعل ياسر عرفات وقيادته اليمينية يخسرون في تنفيذهم للمخطط على عدة جبهات .

على الجبهة السورية حيث فشلوا في الايقاع بين المواطن العربي السوري والمواطن الفلسطيني .. وبين سورية والجسم الأساسي للثورة الفلسطينية .

- على الجبهة اللبنانية حيث فشل اتفاق شولتز وحيث اضطر الصهاينة للانسحاب أمام ضربات المقاومة الوطنية اللبنانية . وحيث تحولت القوى

الوطنية اللبنانية الى قوى عملاقة .
- على الجبهة الاردنية ، حيث الاجماع الشعبي على ادانة نهج عرفات .
- على جبهة الأرض المحتلة ، حيث استمر المارد الفلسطيني المقاوم رغم كل ممارسات التخريب العرفاتية .

ومع ذلك فان أصحاب خطة دايان - عرفات يحاولون استجماع قواهم الآن لتنفيذ هذه الخطة ، والا فإنهم يقدرون بأن فشلهم في تنفيذها يعني سقوطها الى الابد وسقوطهم معها .. وهذا هو السر وراء قول أحدهم أنهم باختيارهم الكونفدرالية وإتفاق عمان يكونون قد وقفوا عراة وظهورهم الى الجدار ، واميركا فقط هي التي تستطيع أن تنقذهم .

★ ونحن نشير إلى نكسة حزيران ١٩٦٧ ، لا بد وأن نحاول الإجابة على سؤال محدد : لقد حصدت قيادة اليمين في فتح ثمار هزيمة العرب في حزيران ١٩٦٧ ولكن كم من الناس توقفوا عند السؤال عن حجم مساهمة هذه القيادة في مواجهة عدوان ١٩٦٧ وفي الحروب اللاحقة مع العدو ؟

إن كشف شهداء فتح يبين أن خسائرها في عدوان حزيران انحصرت في ثلاث شهداء ، سقط اثنان منهم في غارة جوية يوم ٥ حزيران على الجبهة السورية والثالث يوم ٦ حزيران في منطقة القنيطرة ، والاستنتاج الاولي لقراءة هذه المعلومة هو أنها أحجمت عن زج مقاتليها ، - مهما كان عددهم آنذاك - في مهمة الدفاع بمواجهة العدوان ، أو العمل خلف خطوط العدو لارباك عدوانه .

إن هذا الموقف قد تكرر في حرب تشرين حين أصدر أبو المعتصم أحمد عفانة عضو اللجنة المركزية بتوجيه من عرفات تعليماته إلى قوات وكوادر الحركة بأنها غير ملزمة بالدفاع عن دمشق حين وقع الخرق الاسرائيلي في شمال الجبهة آخر أيام الحرب ، وبات هناك احتمال بإدارة الحرب ضد العدو من داخل مدينة دمشق .

كما تكرر هذا الموقف في مواجهة غزو لبنان حزيران ١٩٨٢ حين أعطيت التعليمات للحاج اسماعيل وأبو هاجم وغيرهما بالانسحاب من الجنوب دون قتال :

وقد استخدمت قيادة اليمين التكتيك الهروبي ذاته في معارك الأحراش وجرش وعجلون في الأردن عام ١٩٧١ وفي المعارك مع الكتائب وحلفائها في لبنان كانون الاول ١٩٧٥ كانون الثاني ١٩٧٦ وفي مواجهة العديد من الاعتداءات الصهيونية على جنوب لبنان ومن بينها ذلك العدوان الذي احتلت اسرائيل بنتيجته الشريط الحدودي عقب عملية الشهيدة دلال المغربي حيث قال هاني الحسن أمام المجلس الوطني

الفلسطيني نحن أجبرنا اسرائيل على احتلال الجنوب ، وحيث نقل السيد هاشم علي محسن عن العقيد ابو موسى شهادته عن رد فعل خليل الوزير حين أبلغ على جهاز اللاسلكي بتجاوز الاسرائيليين حداً معينا في الهجوم حين انفعل وصرخ بأن هذا مخالف لما هو متفق عليه ، الطريف أن إذاعة عرفات التي كانت قائمة في درعا انذاك قد استغلت العدوان في إدارة حملة شانتاج حامية بهدف إثارة الاضطراب في سورية ..

١٤ ـكيف صار عرفات ناطقاً رسمياً؟
بدايات الخطة اليمينية للهيمنة على فتح وتطويعها

قلنا أنه لكي توضع خطة دايان ـ عرفات موضع التنفيذ ، كان لا بد من شوط طويل وقلنا أن البند الأول من ذلك الشوط كان محاولة ترتيب البيت الفتحوي على أساس سبر ردود الفعل فيه لدى اطلاق بالون الاختبار بصدد فكرة الكيان الفلسطيني ... وهكذا وقعت الأزمة الثانية في حركة فتح وامتدت من أيلول ١٩٦٧ لتبلغ أوجها في نيسان ١٩٦٨ .

وفي هذه الأزمة ايضاً كانت قيادة فرع الكويت هي الطرف الأساسي في مواجهة عرفات ومن معه ، ولكنها اعتمدت في هذه المرة على امتداد لكتلتها في الأردن .

فمنذ وقوع أزمة عام ١٩٦٦ ، بدأت تتضح في حركة فتح معالم كتلتين تتبادلان مشاعر الارتياب وعدم الثقة . وأخذت الكتلة المعارضة تتصرف وكأنها تنظيم داخل التنظيم ، حيث يقتطع قادتها بعض الأموال ويخفونها عن قيادة الحركة ، كما أن أحد قادة الحركة وهو محمود المسودة « ابو عبيدة » استطاع أن يشكل جهازاً من الفدائيين يرفض الكشف عنه لقيادة الحركة ويكتفي منها بقبض النفقات اللازمة ، اضافة الى أن الكتلة

المعارضة تمده خفية ببعض المبالغ .

وهذا الوضع يكشف عن استمرار اختلال الثقة بين الطرفين رغم تجميد الصراع عام ١٩٦٦ .

اختلال الثقة

والسبب في اختلال الثقة كما يوضح الرفيق الراحل زهير محسن في تحليله للوضع في الحركة آنذاك أن قيادة فرع الكويت التي طرحت كواجهة للثقة لم تكن كلها من جماعة الاخوان المسلمين ، وانما كانت تعود بأصولها التنظيمية الى أحزاب متعددة ، منها التحرير الاسلامي والشيوعي والبعثي والمستقل ... كما أنها لم تكن من العناصر الغنية والمتنفذة والتي تدور الشكوك حول ولائها الوطني كما هو الحال بالنسبة لبعض قياديي الحركة الآخرين المتنفذين في الكويت والذين ينتمي معظمهم الى جماعة الاخوان المسلمين ويشكلون السند لقيادة الحركة ومصدر التمويل لها ...

وكان من بين العناصر القيادية في الكويت التي تثار ضدها الحملات والاعتراضات خالد الحسن وعلي الحسن وهاني القدومي ويحيى غنام ...

كانوا يشيعون عن خالد الحسن ، مثلا ، أنه على ارتباط قديم بالمخابرات البريطانية ، وأنه انتمى الى جماعة الاخوان المسلمين ، وعمل في الجيش البريطاني في ليبيا في اوائل الخمسينات ثم انتقل الى الكويت ، ورغم أنه لا يحمل الشهادة المتوسطة ، فقد صعد بسرعة ليصبح من أكبر موظفي الدولة ، ونال الجنسية الكويتية بسرعة كذلك ، مما هيأ له فرصة الاثراء عن طريق المشاركة في أعمال تجارية عديدة ، بالاضافة الى استمراره في الوظيفة ، حيث كان عام ١٩٦٨ أمين سر المجلس البلدي ، أي أعلى موظف اداري في البلدية « باعتبار أن رئيس المجلس وإعضاءه غير موظفين » . وقد أشيع عنه عام ١٩٦٦ ، أن ولاءه مزدوج بين حركة فتح وحركة القوميين العرب !!

أما علي الحسن ، شقيق خالد الحسن ، فقد قيل عنه انه من جماعة الاخوان المسلمين ، وأن ولاءه موزع بين حركة فتح والهيئة العربية العليا التي كانت صلتها بفتح مجهولة بالنسبة لكوادر الحركة !

وكان هاني القدومي موظفاً كبيراً ، يعمل سكرتيراً خاصاً للشيخ عبد

الله المبارك الذي انتهى خلافه مع العائلة الحاكمة بمغادرته البلاد ، والذي كان يمثل الارتباط المباشر بالانكليز . وكان هانى القدومى حاصلا على الجنسية الكويتية ايضاً ، وعلى درجة كبيرة من الثراء ...

وكان يحيى غنام موظفا فلسطينيا كبيرا فى الكويت ، اثرى بشكل مريب ، وله صداقاته الوطيدة . وقد تقلب يحيى غنام بين انتماءات سياسية متعددة .

وضمن هذه المجموعة من الممولين والمتنفذين فى الحركة ، كان هناك موسى حمدان مدير شركة كندا دراي ، وخالدالزيد الخالد وهو كويتي من ممولي التنظيم اضافة الى الشيخ عبد الله المبارك الذي دفع مبالغ كبيرة للحركة .

ازاء هذا الوضع ساد الشعور لدى قيادة اقليم الكويت بأنها مجرد واجهة محلية لحركة تسيطر عليها جماعات أكبر وتسيرها فى اتجاه معين يخالف الاتجاه الذي يتحكم بالواجهة .

وقد تبلور هذا الشعور منذ عام ١٩٦٦ ، ونجم عنه تكتل قيادة فرع الكويت مع قياديين اخرين في تنظيم ذاخل التنظيم ، شعورا منهم بأن الصدام مع القيادة المتنفذة لا بد ات ، وجاء مبرر الصدام حين علمت المعارضة بأمر البيان الذي تضمن منهاجاً للتسوية ، والذي أطلقنا عليه اسم « خطة دايان ـ عرفات » . وما تبع ذلك من مناورات مارستها قيادة اليمين لضرب المعارضة .

النزاع يتجذر

فبعد قيام ياسر عرفات بحل قيادة اقليم الكويت ، تركزت مطالب المعارضة على شعار دعوة مجلس الاقليم لبحث الخلافات . وأضافوا الى موضوع البيان انتقاد تصرفات بعض المسؤولين في قيادة الحركة وعلاقات بعضهم بالمخابرات الأردنية والمصرية ، كما أبدوا اعتراضهم على النهج العام للحركة بعد الخامس من حزيران ، وشجبوا فرض فاروق القدومي عضواً في اللجنة المركزية .

ونتيجة نشاط العناصر المعارضة طلبت قيادة الحركة من قيادة اقليم

الكويت تجميد نشاط الحركة في الكويت بكامله ، وصدر تعميم يتضمن هذا القرار ، فأصدر المعارضون على الاثر تعميماً مضاداً صادرا عن مجلس الاقليم يعتبر قرار القيادة باطلًا وغير شرعي لأن السلطة الوحيدة التي تملك حق تجميد الحركة هو المجلس . وتأزم الموقف ، وبدأ الطرفان يتربصان ببعضهما البعض ، ويستعدان لما كان يبدو جولة فاصلة . وكان التهديد بالقتل والتصفية الجسدية يتخلل نشاط الطرفين .

وارسل صلاح خلف من قبل اللجنة المركزية في دمشق مكلفاً ببحث الأزمة والتصرف ، لكنه لم يجرؤ على اتخاذ أية قرارات نتيجة تهديد الطرف المعارض .

في أثناء ذلك صدر قرار اللجنة المركزية بفصل محمود مسودة «أبو عبيدة » مما زاد من حدة الأزمة في الكويت ، علماً بأن عناصر المعارضة في الكويت ظلت باستمرار على اتصال مع ابي عبيدة الموجود على رأس قواته في غور الأردن .

بعد ذلك أوفدت اللجنة المركزية الى الكويت السيد حسن الصباريني « ابو حلمي » من قادة ج . ت . ف بقصد استقطاب عناصر المعارضة ، وحين وجد آن الازمة حادة جدا ، واعتقد أنها ستدمر فتح نهائياً ، وأن ذلك رغم شكوكه واعتراضاته ومآخذه الكثيرة على قيادة الحركة ، يعتبر خسارة كبيرة للنضال الفلسطيني ، فقد حاول من خلال علاقاته الشخصية مع أشخاص من الطرفين التوسط لتسوية الخلاف ، فلم يحرز أي نتيجة ، وسافر على الاثر وقام بسحب عناصر ج . ت . ف من الغور حيث كانت تعمل بالتنسيق مع فتح وتحت قيادتها ، وتبلورت لديه الرغبة في الاستقلال عن فتح والبحث عن طريق لتأمين مستلزمات قواته غير طريق قيادة فتح .

وفي نيسان ١٩٦٨ ، قررت قيادة فتح حسم الخلاف نهائياً ، والبطش بالعناصر المعارضة .

وقد استغلت قيادة عرفات في تحقيق هذه الخطوة المناخ الدعائي الذي أشاعته عقب معركة الكرامة والذي حاولت فيه الادعاء بأن الصمود في الكرامة كان صمودا فتحويا منفردا ، وحاولت فيه ابراز صورة ياسر عرفات كبطل . وعززت هذه الحملة بالادعاء أن قواتها هاجمت موكب موشيه دايان يوم ١٩٦٨/٣/٢٠ على طريق تل أبيب يازور قرب حولون واصابته بجراح . وكان العدو قد أعلن أن دايان أصيب برضوض اثناء التنقيب عن الاثار !

فوسط جو من الدعاية المكثفة عن عمليات عسكرية يومية ، أشاعت قيادة اليمين تمهيداً للانقضاض على المعارضة ، أن الكتلة المعارضة تنتمي الى حزب التحرير الاسلامي ، وأنهم يحاولون اجراء تغيير في قيادة الحركة عن طريقين ، هما :

١ ـ اذاعة بيان في الكويت بتسمية محمود مسودة « أبو عبيدة » قائداً عاماً للعاصفة والناطق الرسمي باسمها .

٢ ـ اغتيال عدد من قادة التنظيم منهم ياسر عرفات وابو علي اياد وممدوح صيدم «أبو صبري» واعتقال خليل الوزير ومحمد يوسف النجار ومختار البعباع .

وادعت قيادة اليمين أن هذه الفئة لديها ٨٠ ألف دينار كويتي من تبرعات الكويت للحركة ، اضافة الى ٢٠ ألف دينار وصلتها مؤخراً ، وأنها ستستغلها فى تنفيذ الانقلاب داخل الحركة (!) .

وحاولت قيادة اليمين كسب التأييد العربي لها في الخطوات التي قررت اتخاذها ضد المعارضين ... فقالت للجانب السوري آنذاك أن المعارضين هم كتلة التحرير الاسلامي ، وأنهم يتهمون قيادة فتح بأنها عميلة لحزب البعث العربي الاشتراكي ، وقالت للأردنيين : ان المعارضة يريدون توريط فتح في صدام مع الأردن ، وأن هذا هو سبب الخلاف .

قرارات اليمين

وفي ١٤ نيسان ١٩٦٨ اتخذت قيادة اليمين قراراتها الهادفة الى تصفية المعارضة ، وكانت هذه القرارات كما يلي :

١ ـ اعلان تسمية ياسر عرفات ناطقاً رسمياً باسم الحركة ، وممثلاً

رسميا لها على كافة المستويات الرسمية والشعبية والتنظيمية والاعلامية والمالية .

٢ - اعتقال كل من عبد السلام الحموري ومحمود مسودة وغالب بركات ووليد ابو شعبان الموجودين في الأردن والتحقيق معهم .

٣ - اعلان فصل الباقين منهم والموجودين في الكويت .

وقد اتخذ تنفيذ هذه القرارات طابع المناورة المحسوبة . فقد جرى الاعلان اولًا عن تسمية ياسر عرفات ناطقاً رسمياً باسم الحركة قبل أن تعلن المجموعة المعارضة قراراً باعتبار نفسها السلطة الشرعية . وبادر السيدان خالد الحسن وعلي الحسن الى دعوة القواعد الخالية الذهن في الكويت حتى مستوى رئيس خلية الى اجتماعات واسعة تطرح فيها المشكلة من خلال وجهة نظرهم الخاصة ، ويجري فيها تكذيب اتهامات المعارضين ، واثارة الخوف على مصير الحركة ومصير النضال الفلسطيني نفسه .

وكان ذلك كله يبدو تمهيداً لاصدار قرارات بفصل العناصر المعارضة ، لكن حبل المناورة بالنسبة لقيادة اليمين كان أطول من ذلك ، فقد ذهب ياسر عرفات الى الكويت ، وأخذ يفاوض العناصر المعارضة ، وأمكن في النهاية الوصول الى حل مؤقت له طابع التهدئة ، حيث تقرر ما يلي :

١ - الموافقة على إلغاء قرارات الفصل والتجميد بحق أبي عبيدة وغيره .

٢ - الموافقة على دعوة المجلس الثوري للحركة للنظر في مواضيع الخلاف ومحاسبة القيادة ومناقشة أعمالها .

٣ - أن تنبثق القيادة العليا للحركة عن امؤتمر بطريق الانتخاب .

٤ - أن تتم دعوة المؤتمر في شهر تموز ١٩٦٨ .

ورغم التوصل الى هذا الاتفاق فقد ظل الشعور لدى المعارضة قائما بأن التصفية قادمة بشكل أو بآخر قبل انعقاد المؤتمر ، الا اذا كان بامكان القيادة أن تؤمن لنفسها أغلبية تضمن لها الاستمرار في الهيمنة على الحركة ، بل وقدر البعض أنه حتى في هذه الحالة لا يتوقعون أن تدعو القيادة الى مؤتمر تثار فيه الاتهامات ضد أبرز عناصرها ، خاصة وأن

المستمسكات لا تنقص عناصر المعارضة الذين استمروا يتهمون القيادة بالارتباط بأجهزة مشبوهة ومخططات تصفية القضية .

وبالفعل ، فقد تم في ظل هذا الاتفاق التخلص من العناصر المعارضة وفى مقدمتها ابو عبيدة الذي نقل الى السودان ، ثم وشت به قيادة الحركة الى المخابرات المصرية اثناء وجوده في القاهرة بمهمة فلسطينية ، فقامت باعتقاله واخضاعه للتعذيب ، مما أدى الى اصابته بانهيار عصبى .

وقد اتبعت قيادة اليمين باستمرار مثل هذا الأسلوب في الايقاع بمعارضيها من خلال تلفيق تهم باطلة لهم وتحريض أجهزة الأمن العربية على اعتقالهم وتعذيبهم .

ورافق هذه الاجراءات استدعاء عدد من قياديى جماعة الاخوان المسلمين لتسلم المواقع القيادية في الحركة وإدارة أجهزتها تكريساً لهيمنة الاخوان المسلمين عليها .

وقد اعتقدت قيادة اليمين أنها وقد نجحت في تصفية المعارضة داخل الحركة بات بوسعها تحويل جسم الحركة الى جرثومة تتبنى برنامجها المرحلي « خطة دايان ـ عرفات » ، فطرحت هذا البرنامج على مؤتمر الحركة الثاني في الزبداني عام ١٩٦٨ ، مما أثار عاصفة من الاحتجاج داخل المؤتمر فرض على قيادة اليمين التظاهر بالتراجع ... وطي هذا المشروع ... مؤقتا . لكن قيادة اليمين لم تتخل عمليا عن خطتها كما أن مظاهر الانتفاضة لم تختف من صفوف حركة فتح ...

١٥ ـ قتل القتيل والسير في جنازته منهج للإعلام ومنهج للهيمنة

في الوقت الذي أدارت فيه قيادة اليمين عام ١٩٦٨ معركتها للتخلص من الكتلة الاساسية في حركة فتح المعارضة لنهج التسوية ، و لو بتأجيل المعركة مع بعض المعارضين الآخرين ، فقد كانت تدير سلسلة من معارك الهيمنة الاخرى :

- كانت تدير معركة لاغتصاب عقول الجماهير العربية والفلسطينية .
- وكانت تدير معركة الهيمنة على منظمة التحرير الفلسطينية .
- وكانت تدير معركة لتصفية بعض المنظمات التي ترى في استمرار وجودها خطرا عليها .

.. وبعد ان كانت تزعم في مذكراتها الى الملوك والرؤساء العرب أنها لا تهتم بالاعلام ولا تجيد تنميق الكلمات ، فقد تحولت الى ترتيب أوسع نشاط اعلامي لمساندة خطتها في الهيمنة ، مستخدمة في ممارستها لحملتها الاعلامية أساليب لا يمكن أن تخطر لعقل بشري .. فهي لم تكتفِ فقط بتطبيق مبدأ غوبلز المعروف في الدعاية إكذب .. إكذب .. حتى يصدقك الناس » ، لكنها ذهبت الى أبعد من ذلك بحيث يمكننا القول انها جعلت من

مبدأ قتل القتيل والسير في جنازته، أحد مبادىء ممارستها العملية والاعلامية .

لقد قمت في وقت من الأوقات بوضع كتاب بعنوان «خسائر العدو البشرية وأكاذيب الناطق العسكري الاسرائيلي» ، وقد تم نشر هذا الكتاب من قبل الاعلام المركزي في حركة فتح عام ١٩٧١ . ورغم القرائن والأدلة والاثباتات التي استعملتها في محاولة تقدير الحجم الحقيقي لخسائر العدو بما يثبت كذب ناطقه العسكري ، فقد ظل هناك جانب عجزت عن مجرد الاقتراب منه ومسه من قريب أو بعيد وهو مقارنة الاستنتاجات التي توصلت اليها ببلاغات قيادة اليمين العسكري التي ملأت الجدران وشغلت كل أجهزة الاعلام .. فاذا كان الناطق العسكري الاسرائيلي يقسم الأرقام الحقيقية على ٥ فقد كانت هي تضرب الأرقام الحقيقية في ١٠ والمحصلة أن أي دارس لبلاغاتها لا بد وأن يستنتج أن اسرائيل قد انهارت عسكريا ! وحين تعمد قيادة ما الى ممارسة الكذب على شعبها وأمتها على هذا النحو من أجل اغتصاب عقول الجماهير ، فان أبسط ما يمكن قوله هو أنها تغامر بمصير هذا الشعب وبمصير الأمة ..

على أن الكذب في الاعلام كان وجها من وجوه المشكلة ... أما الوجه الثاني فكان الاستعداد لقتل القتيل فعلاً وتنظيم جنازة تليق به تتحشد فيها الجماهير وتتحول إلى مظاهرة إعلامية : جنازة -بيانات -ملصقات- ريبورتاجات صحفية - تسجيلات اذاعية حية .. الخ .

لقد عادوا في عام ١٩٦٨ لتكرار فعلتهم التى مارسوها ضد يوسف عرابي ولكن بدوافع أكثر سوءاً ، فاذا كان انتماء يوسف عرابي السياسي المتناقض مع انتمائهم السياسي جعلهم يزيحونه من طريقهم ، فان مبرر قتلهم للبعض عام ١٩٦٨ والاعوام التالية وسيرهم فى جنازاتهم كان في بعض أبعاده يتمثل فقط في اغتصاب عقول الجماهير وجمع التبرعات .

في العام ١٩٦٩ ، التقيت في منزل أحد الأصدقاء ، باثنين من قادة المجموعات في قوات العاصفة :

وكانت لكل واحد منهم شكايته الخاصة .. ومشكلته الخاصة ..

الأول ، كان فلسطينياً ، وكانت مشكلته أن قيادة عرفات تلاحقه

بتهمة اشتراكه في اغتيال المناضل صبحي ياسين ، مع انه - وفق ما قاله - يعرف القاتل .. والقاتل فى سجن عرفات .. وقد قام القاتل بفعلته بأمر خطي من عرفات ! وهناك اخرون اكدوا لى صحة هذه المعلومات حول ظروف اغتيال المناضل صبحي ياسين .

الثاني كان سودانياً .. وكان قد حضر لتوه من قاعدته في الأغوار قرب السلط .. كان لا يزال يرتجف ..

○ ما بك يا أخي ؟

- رأيته بعيني !

○ من ؟

- الثعبان !

○ أي ثعبان ؟

- رفعت البطانية التي أنام عليها فاذا به يتلوى !!

○ وهل يخيفك الثعبان الى هذا الحد ؟!

- انه الثعبان الذي قتل الفرنسى روجيه كودوا و آخرين ؟

○ أقتل الفرنسي بلدغة ثعبان ؟!

-لغم ضد الافراد تحت البطانية .. يتلوى كالافعى بانتظار الضحية .. كنت أتوقع أن يفعلوا بي هذا منذ فعلوه بالفرنسي .. كانوا يستعدون لشحن جثتي الى الخرطوم والمتاجرة بي .. لقد جئت لاستشهد من أجل فلسطين لا ليتاجروا بي باسم فلسطين ؟!

وفهمت من الأخ السوداني أنه كان شاهداً على حادثة اغتيال روجيه كودوا .

وحادثة اغتيال روجيه كودوا تستوجب التوقف .

لقد صدر بيان باستشهاده .. ولكن لا يوجد بلاغ عسكري يبين العملية التي استشهد بها .. قيل في البيان أن هذا الشهيد مهندس فرنسي ، ولد في مدينة فورمسيت ببلجيكا .. وعاش في فرنسا .. وعمل في المنطقة العربية في الشركات بين الكويت وبيروت ثم التحق بفتح .. وحمل اسماً حركياً هو « صالح » .. وأنه استشهد وعمره ٣٣ عاماً .

○ لماذا اغتالوه ؟

- أمن أجل الاتجار بجثته في اوروبا الغربية أم لسبب آخر ؟! .

ومن اغتاله ؟!

وأطرح هذا السؤال الأخير لأن هناك من يتساءل : هل اسمه حقا هو « كودوا أم « القدوة » ؟!

وهل لهذا الاسم علاقة بالرواية التي يقول البعض فيها إن الأصل القديم لياسر عرفات القدوة المصري هو قرية « قدوة » المغربية ؟! .

لا اجابة لدي على اسئلة كهذه .. ولست أكيداً من وجود قرية على خريطة المغرب اسمها « قدوة » ، ولكن تبقى قضية روجيه كودوا او القدوة موضع تساؤل !! لقد أكد لي بعض كوادر فتح أن روجيه كان مرافقا لياسر عرفات شخصياً ، وأن روجيه كان يهودياً ! فمن قتل روجيه كودوا أو القدوة- اليهودي- المرافق الشخصي لياسر عرفات والذي كان يتولى قيادة سيارته أحياناً ؟!

واقعة الفرنسي الذي مات والسوداني الذي نجا جعلتني أفكر في وقائع اخرى ..

كثير من الهمس دار في فتح وخارجها حول ظروف القائد والمهندس عبد الفتاح عيسى حمود .

صحيح أن عبد الفتاح كان من جماعة الاخوان المسلمين وأنه قتل في حادث سيارة .. ولكنهم يقولون ان الحادث كان مدبراً .. وأن عبد الفتاح كان معارضاً لعرفات مثلما كان كمال عدوان والذي يعود بانتمائه لجماعة الاخوان المسلمين معارضاً ، واغتيل مع محمد يوسف النجار وكمال ناصر بدوره !!

اياد طه .. عراقي .. قالوا أنه استشهد يوم ١٩٦٨/٣/٤ .. زف في بغداد في جنازة هائلة لم تشهد لها بغداد مثيلا بحثت عن البلاغ العسكري الذي يتضمن واقعة استشهاده ... البلاغ غير موجود ! فهل صرعه الثعبان الذي جعل الاخ السوداني يرتعد ؟! .

خليل عز الدين الجمل ... أول شهيد لبناني .. استشهد وفق كشف الشهداء في ٤/١٠ ... ووفق البلاغ الذي يبدو أنه غير مقنع في تفاصيله يوم ٤/١٥ .. هل كان ايضاً ضحية اللعبة لتشهد بيروت أضخم جنازة ؟! .

المناضلون الليبيون الذين بعث بهم العقيد معمر القذافي بعد ثورة

الفاتح ليشاركوا في الثورة الفلسطينية كان حظهم أكثر قسوة .. لقد شحن منهم الى ليبيا احد عشر شهيداً سقطوا في جنوب لبنان في يوم واحد ؟! احد الفتحويين الخبراء بسياسة عرفات وأساليبه عقب على تلك الواقعة بما يفيد أن قيادة اليمين قصدت الحاق هذه الضربة بهم !! .

خالد اليشرطي .. أكان حقاً ضحية سقالة ؟! من اغتال ندى اليشرطي اذن ؟! .

ان حديث الظنون طويل .. والحق أن القضايا التي أثرناها وقضايا اخرى عديدة تفتقد الجهة التي تحقق بها وتكشف الحقائق الكامنة خلفها .

من هذه القضايا :

- اغتيال كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار .
- اغتيال غسان كنفاني .
- اغتيال زهير محسن .
- اغتيال نعيم خضر .
- اغتيال ماجد أبو شرار .
- اغتيال العقيد سعد صايل .

بالنسبة لنعيم خضر وماجد ابو شرار هناك اعتراف دونه اوري افنيري نقلاً عن عصام السرطاوي الذي باح لصديقه الصهيوني بسر الجريمة : « لقد أعدما لعلاقتهما بصبري البنا - ابو نضال » .

في معظم هذه القضايا قيل ان الموساد كانت وراء الاغتيال ولكن من خلال من ؟! ومن سهل للموساد المهمة ؟! أو من قام بارتكاب الجريمة واراد التغطية على ما فعل بالمسارعة الى اتهام الموساد ؟! .

للأسف ليست هناك نيابة عامة .. ليست هناك جهة لها المصلحة وأتيح لها أن تكشف الحقائق حول ظروف اغتيال هؤلاء وسواهم ..

واقعة واحدة حدثت عام ١٩٦٨ ، وفيها اقترفت قيادة اليمين الفلسطيني جريمة تسهيل اعدام قائد ومناضل فلسطينى من خلال محاولة تلويث صورته أمام الجماهير وتبرير اعدامه .

وثائق هذه الواقعة متوفرة ومكشوفة .. تلك هى واقعة التخلص من منظمة كتائب النصر ومن قائدها طاهر دبلان .

١٦ ـ هل كان طاهر دبلان بطلاً أم عميلاً ؟

مأساة حقيقية أن نجد أنفسنا مضطرين لطرح مثل هذا السؤال : هل كان فلان بطلًا أم عميلًا ؟

وطاهر دبلان ـ وان لم يكن الوحيد في الساحة الفلسطينية الذي يطرح بصدده مثل هذا السؤال ـ الا أن مأساته كانت أقسى من مآسي الجميع ... فهناك عدة حالات قتل فيها أشخاص لأن البعض في هذه الساحة اتهمهم ، لكنهم وجدوا في هذه الساحة من يصر على وطنيتهم ويحسن تكريمهم بعد موتهم .. الا طاهر دبلان .. فقد ديس وسط شماتة العدو وتخلى الصديق أو من يفترض أنهم أصدقاء ... وهكذا ، فقد كانت مأساته فريدة من نوعها ...

عرفت طاهر دبلان في اواخر العام ١٩٦٦ ، كان وقتها قائدا في جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية ... وكان نصيرا في حزب البعث العربي الاشتراكي ... وحين افتتح أول معسكر تدريبي لمنظمة الحزب الفدائية اوائل عام ١٩٦٧ كانت عناصر جبهة التحرير الفلسطينية تتلقى تدريبها في هذا المعسكر . وكنت واحدا من الرفاق الذين تولوا مهمة التوجيه السياسي لهذه القوات .

وما لاحظته في غضون ذلك أن طاهر دبلان كان منشغلا باستمرار بالنضال في الساحة الاردنية ... وقد اتحدت الجبهة مع طلائع حرب التحرير ومنظمة الجليل الأعلى في اوائل العام ١٩٦٨ ضمن منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية قوات الصاعقة ، لكن طاهر دبلان ولأسباب لم أتمكن من معرفتها انفصل باطار تنظيمي خاص حمل اسم « كتائب النصر » وكانت هذه هي الغلطة الكبيرة التي جعلته يفقد حياته وتعرض منظمته للتصفية السريعة ...

فمن المؤكد أن رأس الرجل كان مطلوبا للسلطات الأردنية ، وأن وجوده في الصاعقة كان يشكل له حماية مؤقتة بقياسات الوضع عام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ وحتى مجازر أيلول ، لكن استقلاله ضمن « كتائب النصر » جعله لقمة سهلة ، خاصة وأن القيادة اليمينية في الساحة الفلسطينية قد تعمدت في لحظة الحرج التخلي عنه . وعمدت وهي تتخلى عنه الى اتهامه بالعمالة للمخابرات الأردنية لتبرر تخليها عنه أمام الجماهير من جهة ، وتحالفها مع السلطة ضده من جهة ثانية ..

والمثير أن الجماهير كانت قد التفت آنذاك حول طاهر دبلان على نحو لم يتحقق لياسر عرفات من بعد .... وأن ياسر عرفات لعب دون خجل دور الكابح لانتفاضة الجماهير ، والمقدم لأحد قادة المقاومة ليكون كبش فداء من أجل حفظ هيبة السلطة ، وأن البيانات الصادرة عن قيادة اليمين في حركة فتح في حينه تشكل وثائق ادانة سافرة لقيادة اليمين ...

على أننا قبل أن نعرض هذه الوثائق نجد من الضروري أن نمهد لها بوضوح حول ما ثار في تلك المرحلة من اتهامات حول قيادة اليمين . وعلاقاتها .

لقد وقعت عملية تصفية طاهر دبلان ومنظمة كتائب النصر خلال الأيام الأولى من تشرين الثاني ١٩٦٨ ، وكان تشرين الأول قد شهد انضمام « منظمة أحرار فلسطين » وهي منظمة تابعة للمخابرات الأردنية الى حركة فتح . فمنظمة أحرار فلسطين شكلت في الأردن بمساعدة المخابرات الأردنية ، وقيل أن غازي عربيات كان وراء تشكيلها ووراء ضمها الى حركة فتح لتكون عيناً للمخابرات الأردنية داخل الحركة وداخل

حركة المقاومة بشكل عام .

وفي الفترة ذاتها قبلت قيادة اليمين في فتح انضمام عدد كبير من الضباط الأردنيين المسرحين والمعروفين بارتباطهم بالسلطات الأردنية ، وبات هؤلاء مهيمنين على قواعد الحركة ، مما جعل قواعد الحركة تفسر هذا التطور بأنه تأكيد لأسباب الخلاف بين جماعة ابو عبيدة وبين قيادة عرفات ، وتعتقد أن هؤلاء الضباط سيكون لهم دورهم في السيطرة على ردود الفعل عند القبول بالحل السلمي الذي كان يتردد آنذاك أنه على وشك التحقيق خلال شهرين . وعمق من هذا الشعور ترتيب شبكة للاتصال اللاسلكي المباشر بين قيادة فتح والسلطة الأردنية (ما زال ابو الزعيم وابو هاجم وأمثالهما دليلًا على صحة تلك التوقعات) .

فهل كانت تصفية طاهر دبلان وجماعته بالون اختبار ثان أطلقته قيادة اليمين بالتواطؤ مع السلطة الأردنية لتأكيد القدرة على ضبط وتصفية المشاغبين ؟

لندع الجواب للوثائق ...

ماذا تقول الوثائق

الوثيقة الأولى نشرت في كتاب فتح السنوي لعام ١٩٦٨ (الصفحة ١٦١) تحت عنوان « بيان فتح عن محاولة الفتنة المفتعلة وتطوراتها في الأردن » وجاء فيه :

١ ـ قامت يوم السبت ١٩٦٨/١١/٢ مسيرات شعبية بمناسبة وعد بلفور ، اندس في صفوفها عدد من رجال المخابرات الأردنية في محاولة تخريبية ، إلا أن المسيرات سارت بشكل حسن (!!!)

٢ ـ لم تشترك أي عناصر لفتح ومؤيديها في هذه المسيرة ، حتى لا يكون هناك أي ذريعة لافتعال اصطدام مع رجال الأمن ، وأمرت جميع كوادر الحركة بالتزام البيوت (!!!)

٣ ـ استدعي الاخوة (المقصود هنا بعض قادة فتح) الى الأركان العامة يوم الأحد الساعة العاشرة صباحاً ، وكان اللقاء مع رئيس الأركان عامر خماش ونائبه مشهور حديثة ، وتركز الحديث حول اعتقال طاهر دبلان ورغبة الحكومة في استتباب الأمن (!!!) .

« ٤ ـ اعتقلت سلطات الأمن طاهر دبلان يوم الأحد » .

... نتوقف هنا قليلَا ، لنقول : ان المعنى واضح فقد استأذنت السلطة الأردنية من قيادة اليمين في فتح باعتقال طاهر دبلان ، فأذنت لها ، فتم الاعتقال .

... ونتابع نص البيان ـالوثيقة :

« ٥ ـ في الساعة الثالثة والنصف صباح الاثنين دعي الاخوة لمقابلة في الأركان العامة الأردنية ، وقيل لهم ان جماعة من الفدائيين التابعين لطاهر دبلان (كتائب النصر) قد أطلقت الرصاص على سيارة عسكرية واحتجزت من فيها .
« ٦ ـ خلال تلك الفترة نزلت قوات الحرس الملكي الى الشوارع واحتلت مفارق الطرق .
« ٧ ـ قامت على اثر ذلك مظاهرات صاخبة كانت تهتف هتافات متعددة ، لوحظ أن كثيراً من رجال المخابرات الأردنية قد اندسوا فيها .
« ٨ ـ بدأ الحرس في اطلاق النار ، ووقع عدد كبير من الشهداء ، كما أطلقت صفارات الانذار في محاولة لايهام الشعب أن هناك غارة جوية .
« ٩ ـ على الاثر دعت الحركة كافة المنظمات للتشاور في الأمر فتقرر اذاعة بيان على الشعب لتهدئة الخواطر » .
... مرة ثانية نتوقف هنا ... ان انتفاضة شعبية كما هو واضح من البيان قد وقعت ، وذلك رغم محاولات الدس الرخيص الواضحة التي تضمنها البيان ، ومهمة قيادة اليمين تحددت في مشاركة السلطة في تطويق الانتفاضة بعد أن شاركتها في اتخاذ قرار اعتقال طاهر دبلان ، وبعد أن رفضت مشاركة الشعب في التظاهر ضد وعد بلفور !!!
انه موقف مماثل تماماً لموقف قيادة اليمين من الانتفاضة عقب معركة السموع قبل عامين من هذه الحادثة .
ويستمر البيان في سرد الاجراءات والتحركات على ابواب رئيس

الوزراء والوزراء ورئيس الأركان ونائبه الى أن يقول :

« ١٣ - وفي هذه الاثناء كانت قوات الحرس الملكي تطلق النار لارهاب الشعب وخلق جو من الذعر والرعب .

« ١٤ - اتجهت عشرات الدبابات والمصفحات الى مخيمي الوحدات والحسين وشنلر ، وطوقتها وبدأت تطلق الرصاص في محاولة لاستفزاز الجماهير ، مما ادى الى سقوط عدد من القتلى والجرحى من الطرفين ... ولم تتمكن قوات الحرس الملكي ورجال الأمن من اقتحام المخيمات ، فقد اعتصم الشعب خلف المتاريس .

«١٥ - كانت تعليمات قد اعطيت الى الفدائيين تقضي بالتزام الهدوء ...

«١٦ - عند الظهر قامت قوات الحرس الملكي بقيادة زيد بن شاكر بضرب مخزن التموين والفرن التابع لحركة فتح فاستشهد لنا ثلاثة اخوة ، ورغم ذلك التزمت العناصر الفدائية الهدوء ، وطلبت من السلطات الاردنية ايقاف الرماية التي أودت بحياة العشرات .

« ١٧ - رفض الاخوة الذهاب الى المخيمات لتهدئة الخواطر ، لأن هذا سيؤدي الى اشتباك مع قوات الحرس الملكي المعبأ ضد الشعب والفدائيين .

« ١٨ - حضر اللواء مشهور حديثة والعقيد حسن النقيب ، وخرج معهم الاخوة الى المخيمات لغرض التهدئة الا أنه كان من العسير دخول المخيمات فالمدافع عيار ١٠٦ مصوبة الى مخيمي الحسين والوحدات وقوات الحرس الملكي محيطة بهما من كل الجهات .

« ١٩ - طلب من اللواء مشهور حديثة أن تخفف هذه الاجراءات لأن وجود الحرس الملكي هو استفزاز للشعب .

« ٢٠ - في الساعة الثامنة والنصف مساء حضر اللواء مشهور يحمل رسالة من مجلس الحرب مفادها أن على المنظمات الفدائية أن تسحب الأسلحة التي وزعتها على الشعب وتسلمها للجيش أو أن تتحمل مسؤولية العواقب التي ستحدث .

« ٢١ - اعتبر الاخوة هذه الرسالة رسالة تهديد ورفضوها رفضاً قاطعاً وحملوا مصدر الرسالة مسؤولية كل النتائج المترتبة على ذلك ، ثم توجه

جميع الاخوة الى منطقة الأغوار ، وجرى استنفار جميع الفدائيين تحسباً لأي طارىء »

... ولنلاحظ أن قيادة اليمين تتحدث وكأن ما حدث حتى تلك اللحظة لم يكن طارئا يستدعي المواجهة ... وانها انما خذلت الجماهير مثلما خذلت المنظمة التي استهدفت السلطة تصفيتها ، والرجل الذي استهدفت اعتقاله باذن من قيادة اليمين واعدامه !

ماذا جدث بعد ذلك ؟

يقول بيان قيادة اليمين في حركة فتح :

« ٢٢ - في الساعة العاشرة مساء حضر اللواء مشهور الى الأغوار يحمل رسالة خطية من الملك تتلخص فيما يلي :

ا - ان القضية هي اعادة هيبة الحكم .

ب - لا يمكن تخفيف الاجراءات العسكرية الا بعد ضمان عدم تكرار الحوادث .

ج - يقدر الملك للمنظمات الفدائية الرئيسية موقفها وتعاونها وحرصها على المصلحة المشتركة .

د - لا صحة لأي قول يقصد من ورائه التشكيك في نية الحكم تجاه التعاون مع الفدائيين .

ه - تجاوباً مع المنظمات الفدائية فلن يجري تفتيش على الأسلحة الموزعة على الشعب دون تمييز ، سواء في عمان أو غيرها على أن تتعاون المنظمات في تنظيم توزيع الأسلحة .

و - يجري حصر كميات الأسلحة وتبقى في أيدي المواطنين الطيبين .

ر - يرفع منع التجول من الساعة العاشرة صباحاً حتى الساعة الرابعة مساء وتكون هذه الفترة تجريبية .

ح - تبقى قوات الحرس الملكي في أماكنها حيث تترابط وتخفف حسب الظروف .

ط - يبدأ التنسيق الفوري والتعاون الكامل بين المنظمات الفدائية والجيش للقيام بالواجب الأساسي .

ي - يجري اعتقال أصحاب الفتنة رؤوس الشر ، اعتباراً من رفع

التجول ، بالتعاون مع المنظمات الفدائية » .

رد عرفات

... ماذا تظنون ياسر عرفات قائلًا لجلالة الملك رداً على هذه الشروط ؟

الجواب من واقع البيان - الوثيقة .

« ٢٣ - كان شرط المنظمات الفدائية الأساسي رفع منع التجول والغاء الاجراءات العسكرية وعدم دخول الحرس الملكي ورجال الأمن أو أي قوات عسكرية الى المخيمات أو القيام بأي حملات تفتيشية » .

أي أن قيادة اليمين وافقت على شرط الملك دون قيد أو شرط عملياً ... ولعلها فعلت ذلك -وكما جاء في البيان حرفياً «لأن موشي دايان صرح ان اسرائيل لا تعتزم التدخل في الصراع بين الفدائيين والملك » .

وهكذا حكم على طاهر دبلان بالنهاية .

ولم تكتف قيادة اليمين بالبيان السابق ، بل أصدرت بياناً ثانياً مهرته باسم « المنظمات الفدائية والتجمعات الوطنية » طلبت فيه : « من أبناء الشعب المخلصين أن لا يتأثروا باثارات مفتعلة وأن يوقفوا كل التظاهرات وذلك حرصاً على أن لا يتخذ الاضراب وسيلة لإعاقة نضالنا الوطني المسلح » . أي أنها عادت الى التذرع بشعار « الكفاح المسلح الفوري » لاجهاض الانتفاضة الشعبية المسلحة هذه المرة .

والسؤال الان : هل كان طاهر دبلان بطلًا أم عميلًا ؟

والجواب يحدده المكان الذي يقف فيه الان ياسر عرفات وأركان قيادته اليمينية .

١٧ ـ كيف وصل عرفات الى قيادة منظمة التحرير
قصة المكتب الدائم الذي لا يعرف اعضاؤه
متى انتهى دوره عمليا

كانت مهمة الهيمنة على منظمة التحرير الفلسطينية واحدة من المهمات الأساسية التي كرست قيادة اليمين في حركة فتح نفسها لتنفيذها ... وكان لا بد لتحقيق هذه الهيمنة من تكتيك يقود الى الهدف .

قبل عدوان حزيران ، كانت قيادة اليمين تدرك صعوبة تحقيق هذه الغاية ، فكان عليها أن تكتفي بطرح منطق دعائي يمهد الطريق أمام مرحلة لاحقة ..

ضمن هذا الاطار نستطيع أن ندرج مذكرة القيادة العامة لقوات العاصفة الموجهة الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية المنعقدة في القاهرة في ٢٨ أيار ١٩٦٥ .

في هذه المذكرة ، جاء ما يلي في معرض مخاطبة رئيس وأعضاء المجلس :

« ان كنتم أيها الاخوة تعتمدون مبدأ الديمقراطية كأحد مظاهر العمل في منظمة التحرير ، فأنتم مخطئون . لأن الديمقراطية القائمة على أساس الترشيح والانتخاب بالنسبة للثورات التحررية ديمقراطية زائفة ، لأنها ستبرز العناصر الانتهازية والقيادات التقليدية الفاشلة » ..

وهذا المنطق يوضح ببساطة متناهية عقلية اليمين التي تحتقر الديمقراطية ، وترفض اعتمادها ، وبالتالي تنبىء بالأسلوب الذي ستتبعه في حال وصولها الى قيادة منظمة التحرير ، وهو ما حدث بعد ذلك بالفعل ..

لقد رفضت قيادة عرفات مبدأ الحصول على الشرعية من القاعدة ... من الشعب ... من الجماهير .. ليس باعتبار أنه مستحيل أو صعب التنفيذ بسبب ظروف شعب فلسطين ، ولكن بسبب رفضها له من حيث المبدا ، واعتقادها أنه لا يليق بحركة ثورية .. بمنظمة ثورية ! ..

في المذكرة ذاتها ، قالت قيادة عرفات « ان كنا صادقين في جعل منظمة التحرير تمثل الوحدة الوطنية لشعبنا العائد ، فلابد أن نعمل من وحى هذا الصدق فنبتعد عن كل ما يضر بالوحدة الوطنية من أعمال أو تصريحات ، وأن نقوم بدفع عجلة التاريخ بعنف حتى تتسارع في حركتها للوصول الى الهدف المنشود ، تاركين وراءنا أصحاب المواقف المتخاذلة » .

كلام يمكننا أن نردده اليوم بحرفيته في مواجهة قيادة عرفات ... فقد نسي تماماً أنها بدأت بمخاطبة الشقيري بهذا القول فاتهمته بما لم يكن فيه وبما كانت تنوي أن تنتهي اليه !! . فهي الان من تتخذ « المواقف المتخاذلة » وجبهة الانقاذ هي التي تحاول دفع عجلة التاريخ بعنف .

في المذكرة ذاتها ، قالت قيادة اليمين : « ان الاعباء الملقاة على عاتق اللجنة التنفيذية تستوجب أن تتألف هذه اللجنة من عناصر قوية منسجمة متماسكة في ظل القيادة الجماعية التي نص عليها الميثاق الوطني » .. وحين وصل ياسر عرفات الى موقع قيادة م . ت . ف . عمل بعكس هذا القول ، وبزّ الشقيري في فرديته . .

وقالت المذكرة انه « لما كانت الحقيقة التي آمن بها شعبنا تتجسد في الايمان المطلق بأن الكفاح المسلح على أرضنا المحتلة هو الطريق الوحيد لتحرير أرضنا وسحق الوجود الصهيوني فان ذلك يتطلب أن ترتبط اللجنة التنفيذية وأجهزتها بمفهوم الكفاح المسلح تخطيطاً وتنفيذاً ... قولاً وعملاً. وحين وصل ياسر عرفات إلى القيادة ، وبات في موقع الهيمنة عمل

بعكس هذا القول ..

وقالت المذكرة أنه « من خلال ما جاء أعلاه لا بد من أن يتشكل المجلس الوطني القادم من قيادات التنظيم الشعبي الفلسطيني ذي التوجه العسكري المقاتل بنسبة الثلثين على الأقل على ألا يزيد عدد اعضاء المجلس الوطني القادم عن خمسين عضواً » . وحين وصل عرفات الى قيادة المنظمة عمل بعكس هذا المنطلق فوصل بعدد اعضاء المجلس الى عشرة امثال هذا الرقم وأغرقه بالارستقراطية الفلسطينية .

وقالت المذكرة إنه «بالإضافة إلى وجوب الشجب العميق لسياسة المراحل وأنصاف الحلول لا بد من العمل لدى الأوساط العربية للكف عن المناداة بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة على الصعيد الدولي والاعلان صراحة بأنه من حق الشعب العربي الفلسطيني استعمال القوة لاستعادة أرضه » ... وحين وصل عرفات الى موقع القيادة في م . ت . ف تحول الى عراب لمنطق التسوية وأنصاف الحلول .

وجاء في المذكرة القول « قامت في الآونة الاخيرة دعوة مشبوهة أسماها أصحابها بالدعوة الجديدة للواقعية السياسية ، وطالب دعاتها بحل قضية فلسطين على أساس الأمر الواقع . انها دعوة انتهازية لأنها تقوم على أساس المنفعة من القوى التي تساند عدونا على حساب تصفية القضية الفلسطينية .. ان هذه الدعوة التخاذلية ضرب لارادة الأمة العربية المصممة على تحرير فلسطين وابطال لدورها الفعال في معركة العودة » .. ولكن اين ياسر عرفات اليوم ؟! . إنه في أحضان أصحاب هذه الدعوة ! .

وقالت المذكرة « ان المزالق كثيرة أمام المخلصين من شعبنا وأمتنا ، وأنه لا يجوز في هذه المرحلة أن نستعمل العنف المسلح مع كل من انزلق في خطئه ، أما الخونة والمنحرفون فلهم حساب عسير لا يقبل التأجيل أو المماطلة » . ونحاول أن نفهم مغزى هذا الكلام ، ولكن عبثاً .. فقيادة اليمين جعلت من الانحراف والخيانة وجهة نظر ومن ثم عملت على ابطال حرية الرفض الشعبي للمواقف المنحرفة والخيانية ، فكأنما هي حين ميزت بين المنزلقين وبين المنحرفين والخونة كانت تعي تماماً الى أين هي تتجه في المستقبل .

وباختصار شديد ، فان من يقرأ تلك المذكرة القديمة ويقارنها بما فعلته قيادة اليمين على صعيد التطبيق العملي يخلص الى الاستنتاج بأن « القول قول ملائكة والفعل فعل شياطين » . وقد جاء وقت لاحق بات فيه القول والفعل معاً شيطانين ..

كانت قيادة اليمين اذن ومن خلال المناداة بأن يكون لمنظمات الكفاح المسلح ثلثا المجلس الوطني تطمع منذ عام ١٩٦٥ في الوصول الى موقع الهيمنة على منظمة التحرير . وجاءت حرب حزيران ، فبدأت تمارس نشاطاً مكثفاً باتجاه تحقيق هذا الهدف وسندع جانباً تلك المعطيات المتعلقة بممارسات الدس والافساد وشراء الذمم واثارة الخلافات داخل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وفي مؤسساتها ، ونقتصر هنا على حكاية « المكتب الدائم » الذي لم يدم عملياً الّا شهوراً فكان بالنتيجة أكثر من مؤقت ! ...

مقررات مؤتمر القاهرة

فبدعوة من قيادة اليمين في حركة « فتح » عقد مؤتمر المنظمات الفدائية ـ باستثناء الجبهة الشعبية ـ في القاهرة في الفترة ما بين ١٧ ـ ١٩ كانون الثاني « يناير » ١٩٦٨ .. وقرر المؤتمر ما يلى :

اولًا : تشكيل مجلس عسكري للمنظمات المجتمعة مهمته الاشراف على جميع الشؤون العسكرية تخطيطاً وتنسيقا .

ثانياً : اتفق على أن تتوحد مرحليا كل من الفرق العسكرية التالية :

- الجناح العسكري في جبهة تحرير فلسطين « ج . ت . ف » .
- الجناح العسكري في حركة الشباب الثوري الفلسطيني !
- الجناح العسكري للهيئة العاملة لدعم الثورة .. !
- الجناح العسكري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح »

وتصدر كل البلاغات العسكرية باسم « قوات العاصفة » .

كما اتفق على أن تتحد مرحلياً الفرق العسكرية التالية :

- طلائع حرب التحرير الشعبية

- جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية .

تحت اسم قوات الصاعقة وتصدر البلاغات باسمها .

واتفق أن تصدر البلاغات العسكرية مرحلياً لمنظمة طلائع الفداء تحت اسم فرقة ابن الوليد .

وتعتبر هذه الخطوة مقدمة لتوحيد كل الفرق تحت اسم واحد » .

ومن الناحية السياسية :

تقرر تكوين أمانة تنفيذية عامة ينبثق عنها مكتب دائم لمباشرة المهام الموكلة اليه » .

.. وأقر المؤتمر ميثاقاً ، جاء فيه إن «الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ، ورفض كل الحلول السياسية كبديل عن تصفية الكيان الصهيوني المحتل » . و « التأكيد على كون الكفاح المسلح استراتيجية وليس تكتيكا » .

وهذا كله جميل ..

واتخذ المؤتمر قراراً بصدد منظمة التحرير والمجلس الوطني - وهنا مربط الفرس بالنسبة لموضوع بحثنا - فماذا كان قراره ؟! .

« أولاً - تتكون لجنة تحضيرية متساوية من اعضاء كل المنظمات المشتركة في المؤتمر واعضاء اللجنة التنفيذية والنقابات الفلسطينية لاختيار مجلس وطني فلسطيني يمثل الشعب الفلسطيني بكل تجمعاته .. « لنلاحظ أن المؤتمرين نسوا الجبهة الشعبية كلياً وكانت الجبهة آنذاك تضم ما عرفت لاحقاً باسم الجبهة الشعبية - القيادة العامة ، كما لم تكن الجبهة الديمقراطية قد انفصلت عنها بعد .. كما جرى تجاهل جبهة النضال الشعبي » ..

ثانياً - مسؤوليات المجلس القادم الرئيسية وضع خطة عمل تنسجم مع الثورة الشعبية المسلحة وتصعيدها وشمولها ، مع التخلي عن أسلوب الاسراف المالي بتخفيض رواتب كبار العاملين فيها وإقفال المكاتب الفرعية لتوفير الامكانات المادية للكفاح المسلح .. « جاء عرفات فبذخ انفاقاً وأقام مكاتب جديدة شكلت عشرات أضعاف ما كان قائماً » .

ثالثاً - يجب أن تبتعد المنظمة عن تكوين تكتلات جانبية بين جماهير

عرب فلسطين حتى لا تغرق ساحة العمل بالمزيد من الانقسامات .

رابعاً - يتوجه المؤتمرون الى جيش التحرير الفلسطيني رفيق السلاح بالعمل على تكوين لجنة للتنسيق فوراً مع المجلس العسكري المنبثق عن المؤتمر » .

خامسا - يأسف المؤتمرون لعدم تلبية اللجنة التنفيذية لدعوة « فتح » لحضور المؤتمر ويعربون عن ألمهم العميق لتحوير معنى المبادرة الايجابية وتفسيرها تفسيراً خاطئاً » .

لقد أعلن هذا الميثاق ، وأعلنت هذه القرارات يوم ١٩٦٨/١/٢٠ .

وفي يوم ١٩٦٨/١/٢٥ ، وفي الساعة الخامسة مساء ، تم اجتماع بين مكتب الامانة التنفيذية المنبثق عن المنظمات التي اجتمعت في القاهرة وبين اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بناء على طلب اللجنة التنفيذية .. وقد عقد الاجتماع في منزل السيد يوسف عبد الرحيم عضو اللجنة التنفيذية .. كان من بين الحضور عن الامانة التنفيذية : صلاح خلف ، محمد ابو ميزر ، طاهر دبلان ، « الذي اتهمته قيادة اليمين بعد ذلك بأشهر بأنه عميل للمخابرات الاردنية » -أبو حلمي الصباريني .. وعن منظمة التحرير حضر يحيى حمودة وبهجت ابو غريبة ونمر المصري ويوسف عبد الرحيم .

وقد عرض السيد بهجت ابو غريبة أهداف منظمة التحرير من اللقاءات ، فقال انها تتلخص في التالي :

١ - تشكيل قيادة عسكرية من منظمة التحرير والجبهة الشعبية والأمانة التنفيذية .

٢ - التشاور بشأن المجلس الوطني الفلسطيني والمشاركة في اختيار الأعضاء المرشحين لذلك .

والواقع أن الأمانة التنفيذية كانت قد اجتمعت الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم ، واتفقت على نقاط محددة تطرحها في الاجتماع وتطلب تحديد موقف اللجنة التنفيذية منها . وكانت تلك النقاط هي :

١ - أن تكون الجلسة رسمية . « الغاية المباشرة لهذا المطلب هي

التعامل معاملة الند للند ـ أمانة تنفيذية مقابل اللجنة التنفيذية ـ والتفسير القانوني لهذا المنطق رفض الاعتراف ب « م . ت . ف » ممثلا شرعيا ووحيداً للشعب الفلسطيني ما لم تصل قيادة اليمين الى غايتها في الهيمنة على قيادة المنظمة » .

٢ ـ تحديد موقف اللجنة التنفيذية من الكفاح المسلح بشكله الحالي ومستقبله وتصورهم لذلك .

٣ ـ اعتبار الجبهة الوطنية هي الأساس لتصفية الوجود الصهيوني « أي رفض اعتبار منظمة التحرير هي الأساس » .

٤ ـ الموقف من الحلول السياسية والسلمية المطروحة ، وموقفهم منها ، مع تحديد كامل لأرض المعركة في فلسطين .

٥ ـ اعتبار الميثاق الأول للمنظمة غير قائم ويبحث ميثاق جديد في حالة انعقاد المؤتمر .

« ملاحظة : وضع هذا البند لأن بعض مواد الميثاق الوطني تنص على أنه ليس لمنظمة التحرير الحق في الاشراف على الضفة الغربية وغزة ومنطقة الحمة .

فقد كانت قيادة اليمين واعية لطبيعة التسوية التي تريدها فكانت تسعى للتحلل من هذا النص في الميثاق الوطني لتتحلل بالمقابل من المطالبة بتحرير الجزء المحتل من فلسطين منذ عام ١٩٤٨ .

٦ ـ تحديد مواصفات وشروط الاشخاص الذين يمكن أن يكونوا في المجلس الوطني القادم » .

لقد أجاب اعضاء اللجنة التنفيذية عن هذه النقاط ، وبخاصة تلك المتعلقة بالكفاح المسلح وموضوع التسوية واذاعت اللجنة التنفيذية بياناً بصدده تضمن اعتماد الكفاح المسلح والعمل على تصعيده ليصبح حرباً شعبية عربية شاملة ، ورفض كافة الحلول السلمية .

ودار الحوار حول التنسيق العسكري ، وكان موقف الأمانة التنفيذية هو رفض مشاركة الجبهة الشعبية في التنسيق العسكري رفضاً قاطعاً «!» والقول أن التنسيق مع الجبهة الشعبية يجب أن يتم من خلال الأمانة

التنفيذية « مجمع الفصائل » على أن تلتزم الجبهة بمقررات مؤتمر المنظمات ..

من الطريف أن نطالع تقييماً لموقف اللجنة التنفيذية في ذلك الحين يقول أنها كانت تقوم بمناورة لربط المنظمات الفدائية بجيش التحرير ، وأن تمسكها بأن تتم دعوة المجلس الوطني بواسطتها مع الموافقة على كل من ترشحه الأمانة التنفيذية هو مناورة لكسب الشرعية ، وان اللجنة التنفيذية كانت تحاول حل قيادة قوات التحرير الشعبية المؤلفة من المقدم عثمان حداد والمقدم محمد الشاعر والمقدم حسام طهبوب وتسريحهم واستبدالهم بسمير الخطيب وعبد العزيز الوجيه وعبد الزراق اليحيى الذين وصفوا آنذاك بأنه تسيرهم حركة القوميين العرب وهي تصورات لمواقع الرجال ما أنزل الله بها من سلطان ، وانما كانت الغاية منها تمزيق جيش التحرير بأي ثمن .

ويتواصل الحوار بين الأمانة التنفيذية واللجنة التنفيذية استعداداً لعقد المجلس الوطني الفلسطيني « تموز ١٩٦٨ » .

ولكن ، ماذا على صعيد تنفيذ خطوات الوحدة الوطنية في اطار الامانة التنفذية ؟! .

ستعود الأمانة التنفيذية للاجتماع في ايار ١٩٦٨ .

وترفع « ج . ت . ف » مذكرة الى الأمانة التنفيذية مؤرخة في ١٩٦٨/٥/٧ تطالب بتأليف قيادة ثورية واحدة ، وتشكيل مجلس استشاري من قادة المنظمات الفلسطينية ، وايجاد شعار واحد تنطوي تحته جميع المنظمات وتعيين ناطق رسمي باسم الشعار !! وترى الجبهة أن كل من يتخلف عن هذا الركب خارج عن ارادة الأمة العربية جمعاء » .

عصام السرطاوي.. قائد الهيئة العاملة «!» اقترح ما يلي:

١ ـ اذابة الكيانات المختلفة للفصائل التي اشتركت في مؤتمر المنظمات بالقاهرة في حركة « فتح » على أن يبقى اسم المؤتمر كصفة رسمية .

٢ ـ تدعى الجبهة المتحدة الى الانضمام للمؤتمر .

٣ ـ تدعى الجبهة الشعبية من خلال قواعدها المخلصة الى نبذ قياداتها من خلال بيان عام تصدره وتعلن فيه التقاءها مع المؤتمر .

٤ ـ يعقد اجتماع مشترك مع الصندوق القومي وبعض المستقلين

«جعلوا للصندوق صولة ودولة» وتقدم مذكرة إلى اللجنة التنفيذية لتشكيل المجلس الوطني في خلال عشرة أيام.. وفي حالة الرفض يقوم المجتمعون بتسمية أعضاء هذا المجلس وأعضاء اللجنة التنفيذية «دعوة إلى الانقلاب والقيادة البديلة».

السيد عبد المحسن قطان كان بتاريخ ١٩٦٨/٤/٢٩ قد طرح اقتراحا مماثلا لما ورد في البند ٤ من اقتراحات السرطاوي.

السيد صبحي ياسين ممثل منظمة طلائع الفداء قال ان قرارات مؤتمر القاهرة ما زالت بحاجة الى التطبيق، وحتى نرغم اللجنة التنفيذية على التنفيذ فقد اقترح التالي:

١ - دعوة ممثلين عن الجبهة الشعبية للاشتراك في عضوية المؤتمر واحد عن شباب الثأر والثاني عن جبهة التحرير الوطنى الفلسطينية «جبريل» وبذلك يتم تمثيل القوى الفلسطينية العاملة كلها. وفى حالة الرفض يصبح من مسؤوليات المؤتمر توضيح الرفض للجماهير العربية كلها لتحدد موقفها الأدبى من الجبهة الشعبية.

٢ - دعوة ممثل عن الجبهة الوطنية المتحدة العاملة فى قطاع غزة.. وبذلك يصبح عدد الأعضاء ١١ عضوا يمثلون جميع المنظمات الفلسطينية.

٣ - لا يجوز اعتبار اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير منظمة مستقلة لأن المنظمة اطار عام للشعب الفلسطيني كله.. وما تقرره المنظمات يفرض على اللجنة التنفيذية.

٤ - يشترك ممثل أو اكثر من اللجنة التنفيذية فى مشاورات تشكيل المجلس الوطني الذي سيكون من اعضائه كفاءات قيادية من الاتحادات الفلسطينية.

٥ - يحدد لقاء خلال اسبوع واحد مع اللجنة التنفيذية وابلاغها قرارات المؤتمر وتحميلها مسؤولية عدم التعاون ووضع العراقيل في طريق وحدة قيادة الثورة الفلسطينية.

٦ - اذا رفضت اللجنة التنفيذية التقيد بقرارات الأكثرية يبادر المؤتمر الى تشكيل المجلس الوطني وتحديد تاريخ انعقاده.

٧ ـ قد يكون اخر هذا الشهر الوقت المناسب لعقد المجلس الوطني » .

اجتماع الأمانة العامة

لقد رفعت الاقتراحات والمذكرات الى الأمانة التنفيذية التي اجتمعت في دمشق بتاريخ ١٩٦٨/٥/٧ . وقد مثل حركة فتح فيها كل من فاروق القدومي ومحمد ابو ميزر ، وكان من حضورها صبحي ياسين ، رحمه الله ، وابو حلمي الصباريني ومحمود ابو غليون وعصام السرطاوي .

وفي ذلك الاجتماع كان التركيز على مختلف الفصائل أن تندمج في فتح ، وأن حركة فتح هي الثورة الفلسطينية .. وجرت محاولة لتبرير عدم دعوة المكتب العسكري للاجتماع الا مؤخراً حيث عقد في السلط قبل اجتماع الامانة التنفيذية مما يوضح الطبيعة غير الجدية لما اتخذ في مؤتمر القاهرة من مقررات باستثناء تنفيذ الانقلاب على اللجنة التنفيذية لـ « م . ت . ف » .

ماذا قررت الأمانة التنفيذية في اجتماعها ؟!

لقد قررت التالي ننشره لأنه يمثل سابقة ياسر عرفات التاريخية في اقرار صيغة الانقلاب على اللجنة التنفيذية لـ « م . ت . ف » وتشكيل قيادة بديلة :

١ـ توافق الأمانة التنفيذية العامة لمؤتمر المنظمات الفلسطينية على الاقتراح المقدم من الصندوق القومي حول تشكيل المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية ..

٢ ـ في حالة فشل الصندوق القومي ترى الأمانة التنفيذية العامة أن تمثل المنظمات المؤتمر بـ ٥٠٪ من اعضاء المجلس الوطني .

٣ ـ في حالة فشل المشروعين السابقين تتحمل الأمانة العامة لمؤتمر المنظمات الفلسطينية مسؤولية اختيار اعضاء المجلس الوطني ممن تنطبق عليهم الشروط الواردة في المذكرة التي رفعتها الأمانة التنفيذية العامة لنائب رئيس واعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

بتاريخ ١٩٦٨/١/٢٦ وتحدد موعد ومكان عقد الاجتماع الأول للمجلس الوطني وتضع جدول أعماله » .

لقد أخذ قرار « الانقلاب » مجراه حين وجد الطرف الآخر نفسه محشوراً في الزاوية ، لكن القرار الثاني الذي اتخذته الأمانة التنفيذية في ذلك الاجتماع الى جانب قرار الانقلاب لم ير النور مطلقاً في مجال التنفيذ .. فقد كان القرار الثاني ينص على « وضع استراتيجية شاملة للعمل الفلسطيني » و « الدعوة لعقد مؤتمر لمنظمات المؤتمر لمناقشة الاستراتيجية واقرارها » وتطوير المكاتب المتفرعة عن المؤتمر الى أن يتم التوحيد » .

وصدقت على قيادة اليمين كلمة ابو حلمي الصباريني « كل من يتخلف عن هذا الركب خارج عن ارادة الأمة العربية جمعاء » .

فبانعقاد المجلس الوطني ووصول قيادة عرفات إلى ماربها منه ، مات المكتب الدائم ، وماتت الأمانة التنفيذية ، وماتت إمكانية تحقيق الوحدة الوطنية ، وبدأت معركة عرفات الأساسية : معركة التهيئة للحل التصفوي .

فكيف كانت بدايات هذه المعركة ؟! ... وأي شعار اختاره العرفاتيون لدخول ساحتها ؟! ...

١٨ ـ من شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية إلى شعار الأرض مقابل السلام والآتي .. إطاعة أولي الأمر !!

في ٧ أيار ١٩٦٨ ، أي في اليوم الذي عقدت فيه الأمانة التنفيذية اجتماعها لتتخذ قرار « الانقلاب » على قيادة م . ت . ف آنذاك ، والقت فيه قيادة اليمين في حركة فتح بكل ثقلها باتجاه اتخاذ هذا القرار نشرت صحيفة الديلي تلغراف البريطانية مقالا بقلم فيليب كلاينمان من الملائم أن نقف عنده الآن ، فنقرأه من جديد .

لقد بدأ كلاينمان الحديث عن اقتراح الشيخ محمد علي الجعبري بـ « إيجاد دولة عربية لفلسطين مستقلة عن اسرائيل والأردن ولكنها تعيش بسلام مع كلتيهما » . ثم قال انه استنادا الى أحد التقارير (!) فان اجتماعا سريا لمناقشة الموضوع قد عقد في جنيف في السنة الماضية ضم مسؤولين اسرائيليين وممثلين عن عرب فلسطين ، ومن بينهم يحيى حمودة الرئيس الجديد لمنظمة التحرير الفلسطينية (!) .

وقال كلاينمان « ان فكرة وجوب اجراء المفاوضات مع فتح تكسب التأييد بين بعض الاسرائيليين ، فهم يبررون ذلك بأن الفلسطينيين المتطرفين وحدهم يستطيعون التعامل مع اسرائيل دون الخوف من استنكار شعبهم - أو حدوث اغتيالات » .

كما تحدث كلاينمان عن دعاة فكرة اقامة اتحاد فيدرالي فلسطيني - اسرائيلي . وفي ٩ أيار ١٩٦٨ ، كتب اندريه شماما في لوموند عن اجتماعات تتم بين اشكول وبعض الوجهاء العرب في الضفة الغربية ، ومنهم حكمت المصري .

عملياً .. لقد انتهى ياسر عرفات الآن الى القبول بما هو دون ما طالب به الجعبري . والشوط التنازلي الذي سارته قيادة اليمين بدأ من المطالبة بالتحرير من النهر الى البحر ومن رأس الناقورة الى رفح لينتهي بالقبول بحكم ذاتي متصالح مع اسرائيل في نطاق كونفدرالية مع الأردن ، بينما طالب الجعبري بدولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع ! واذا كنا قد أوردنا قبلا ما يؤكد تجاوب قيادة اليمين مع مشروع دايان لحل القضية الفلسطينية بعد عدوان حزيران ، فان هذا لا يعفينا من السؤال : كيف سارت قيادة اليمين شوطها التنازلي متفادية ردود الفعل الشعبية الرافضة لمثل هذا التفريط ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال يحسن بنا العودة الى قراءة ما كتبه عام ١٩٧٠ أحد أعمدة النهج اليميني ومنظريه ، وهو الدكتور هشام شرابي . ففي كتابه « الفدائيون الفلسطينيون : صدقهم وفاعليتهم » ، وتحت عنوان « خطة السلم الفلسطينية » كتب هشام شرابي يقول :

« بينما تعد القيادة الفلسطينية لحرب شاملة، تسعى في الوقت نفسه لايجاد أساس دائم للسلم » .

علينا بعد ١٥ عاما من التجربة أن نشطب الشطر الأول من عبارة شرابي ونقرأ العبارة مجردة من الغطاء .

يضيف شرابي :

« انهم يعترفون أن التصريحات التي صدرت حتى الآن فيما يختص بفلسطين علمانية ديمقراطية ، يعيش فيها اليهود والعرب عيشة مساواة وسلام ، لا تكفي » !

ويقول :

« يبذل المتخصصون بمختلف الحقول ، في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - حيث سميه د . نبيل شعث - وبين المحللين

المسؤولين ... جهودا جادة منظمة لوضع خطة يمكن لحركة المقاومة أن تتخذها أساساً للسلم في المستقبل » .

وقبل أن يتحدث شرابي عن المدارس التي تكونت حول شعار الدولة الديمقراطية ، فانه يلخص ما يراد من وراء هذا البحث بالقول « قد تكون مشكلة الفلسطينيين أن عليهم بينما ينصرفون الى تحرير فلسطين ، أن يثبتوا في الوقت نفسه أنهم بالقضاء على الدولة الصهيونية انما يضعون الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه التعايش العربي اليهودي في فلسطين والوجود اليهودي في العالم العربي » .

ولكن أين انتهى شعار الدولة الديمقراطية ؟

متى ولماذا سبقت قيادة اليمين الجميع الى طرح هذا الشعار ؟

ومتى ولماذا تخلت قيادة اليمين دون ابداء الأسباب عن طرح هذا الشعار ؟

لقد تبنت حركة « فتح » شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية » لأول مرة في المؤتمر الثاني لنصرة الشعوب العربية الذي عقد في القاهرة من ٢٥ ـ ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٩ ، فقد أعلنت في ذلك المؤتمر ـ ولأول مرة ـ أنها تقاتل « في سبيل اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم ... مسلمين ومسيحيين ويهوداً في مجتمع ديمقراطي تقدمي ، ويمارسون عباداتهم وأعمالهم مثلما يتمتعون بحقوق متساوية » .

ويقول الدكتور محمد رشيد « نبيل شعث » في تفسير أسباب تبني هذا الشعار أنه بعد معركة الكرامة وغيرها من الانتصارات التي حققتها الثورة الفلسطينية ، أخذت تتكون نظرة جديدة الى العدو ، وأصبح هناك معنى للتمييز بين الصهيوني واليهودي . كما أدى الادراك بأن الثأر ليس سببا كافيا لشن حرب تحريرية الى مزيد من تمحيص الأهداف النهائية للثورة ، وان العشرات من المثقفين الليبراليين اليهود الذين يتوافدون من سائر أنحاء العالم لفتح حوار مع الثورة ، أسهموا في احداث المزيد من اعادة النظر والتفكير . ويقول ان القادة الثوريين (!) عكفوا على البحث والدرس الجدي في الموضوع ، وبرز تعلم الحقائق القديمة من جديد . فاليهود

ذاقوا الاضطهاد على أيدي المجرمين العنصريين تحت حكم النازية ، وهذا ما حل بنا نحن في ظل الصهيونية . ولقد جرى اكتشاف العديد من المقارنات التي توحي بوجود التشابه والتوازي (!) . ويتابع د . نبيل شعث « محمد رشيد » شروحه واستكشافاته التي جعلت الثائر الفلسطيني « يحرر نفسه من معظم تعصباته القديمة ورواسبه الماضية » . وان الفلسطينيين « يعتبرون الهدف الرامي الى اقامة فلسطين جديدة تضمهم الى جانب المستوطنين اليهود الحاليين من الأهداف المرغوبة جدا » !

لا نريد الدخول في مناقشة تفصيلية للمغالطات التى ينطوي عليها ما كتبه نبيل شعث عن الدولة الفلسطينية الديمقراطية . نريد هنا فقط أن نشير الى ما استطرد شعث في الحديث عنه وهو تغيير صورة اليهودي فى ذهنية المقاتل والانسان الفلسطيني بهدف التمهيد للتعايش ، والتوقيت لهذا الهدف بعد انتصارات موهومة كبرتها آلة الدعاية اليمينية لتجعل من حملة غسيل الدماغ مبررة ، ولتمهد بذلك لتفاعلها مع مشاريع التسوية من جهة ، ولاجراء الاتصالات الفلسطينية - الاسرائيلية من جهة ثانية .

وتغيير هذه الصورة في الذهنية الفلسطينية هي التي تقود الى امكانية تطبيق فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية بالمفهوم الذي طرحه ياسر عرفات حين سأله أحد الصحفيين الغربيين عن طبيعة هذه الدولة ، فقال أنه يريدها مجتمعاً مفتوحاً ، وحين سئل عن معنى المجتمع المفتوح قال « مفتوح وبس ! فلسنا معنيين بذكر كل التفاصيل الآن » !

على أن الشيخ هاشم الخزندار معلم اخوان ياسر عرفات ووسيط إتصاله بالقادة الاسرائيليين ، يكشف جانبا من الحقيقة .

ففي يوم ١٩٧٢/١١/١٦ ، نقلت وكالة رويتر نبأ من فلسطين المحتلة ، ننشر فيما يلي نصه ، كما ورد في عدد جريدة الحياة رقم ٨٣٤٧ الصادر يوم ١٩٨٢/١١/١٧ :

« قال الشيخ هاشم الخزندار إمام غزة أن السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أبلغه أنه لن يعترض على هجرة اليهود الى دولة اسرائيلية - فلسطينية مشتركة .

« وادعى الشيخ هاشم الذي قال انه قابل السيد عرفات وغيره من الزعماء الفدائيين الفلسطينيين في دمشق قبل حوالى شهر لمراسل راديو اسرائيل أمس أنه كان قد تعرض للانتقاد بسبب آرائه التي أيدت اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية المحتلة من الاردن وقطاع غزة المحتل الى جانب اسرائيل .

« وقال أن السيد عرفات شرح له أفكاره بشأن قيام دولة واحدة يعيش فيها الفلسطينيون والشعب اليهودي جنباً الى جنب .

« وأضاف يقول أن السيد عرفات أبلغه أن قيام دولتين منفصلتين لن يؤدي الا الى استمرار النزاع .

« وادعى الشيخ هاشم أن السيد عرفات أبلغه أنه لن يعترض على هجرة اليهود الى الدولة الواحدة المشتركة اذ أن تلك الدولة ستضم حوالى ١٥ مليون نسمة من السكان .

« وقال الشيخ هاشم أنه وجد خلال زيارته للبنان وسورية ومصر أن معظم السكان في البلاد العربية يعتقدون أن حل أزمة الشرق الاوسط هو الآن بين أيدي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي » .

والحقيقة أن الشيخ هاشم الخزندار كان قد قام بهذه الجولة ، وأنه اجتمع خلالها مرات عديدة مع ياسر عرفات في بيروت وفي دمشق .

والحقيقة ايضا أن عرفات بمثل هذه الفكرة يبسط الامور تماما : هل نسمي الدولة القائمة على حدود فلسطين الجغرافية فلسطين أم اسرائيل ؟! أم هل هذه الدولة عربية أم غير عربية فلا يهم !!

والحقيقة ايضا أنه راح يطرح مثل هذا التخريف ، ويبرز بعد ذلك عوائق تحقيق « الدولة الفلسطينية الديمقراطية » لتبرير القبول بالحل الممكن وهو قيام دولة فلسطينية مستقلة الى جانب اسرائيل ... وهو الشعار الذي تبناه مباشرة عقب حرب تشرين التحريرية ...

وهكذا سار في عملية العد التنازلي وصولًا الى اتفاق عمان الأخير الذي تخلى فيه حتى عن شعار « الدولة الفلسطينية المستقلة » على جزء من فلسطين ...

وبالطبع فاننا لن نستغرب بعد كل هذه التقلبات اذا خرجت علينا

قيادة اليمين بأحد حلين تطرحهما على الفلسطينيين :

الأول - أن يدبر كل فلسطيني نفسه وينفذ بجلده .

والثاني - اعلان الطاعة والولاء لأولي الأمر الحاليين في البلاد المقدسة .

بل اننا لا نستبعد من قيادة اليمين أن تذهب الى ما هو أبعد من ذلك .. واذا كان عصام السرطاوي قد حظي بتمثال يخلده في « اسرائيل » فلماذا لا يحظى آخرون بالتمجيد احياء أو بالتماثيل التي تخلدهم بعد الوفاة كما حظي السرطاوي ؟

١٩ ـ التطابق بين معطيات الخطة الاسرائيلية والممارسة اليمينية
المجازر من مستلزمات تنفيذ خطة التسوية

في العام ١٩٧٤ ، ومع ظهور البوادر الأولى لتحرك اليمين الفلسطيني ، باتجاه استغلال نتائج حرب تشرين للترويج لتسوية تصفوية للقضية الفلسطينية ، عكفت على دراسة منطق « الحل الفلسطيني » في استراتيجية العدو الصهيوني .

لقد وضعت أمامي في ذلك الحين ركاماً من المواد الأرشيفية :

رصد اذاعة العدو ـ ما نشرته الصحف العربية والعبرية ـ ما نشرته الصحف الأجنبية وعبر ستة أشهر من العمل اليومي المتصل خرجت بكتابي « الدولة الفلسطينية في الاستراتيجية الصهيونية » الذي نشر في دمشق عام ١٩٧٤ ، وكانت المعطيات التي توصلت اليها في حينه حول انحراف قيادة اليمين مذهلة ، لكن المعطيات التي نصل اليها الان بعد مقارنة ما وصلت إليه قيادة اليمين مع ما كان يخطط له العدو أكثر من مذهلة .

فتحت عنوان « مداخل المخطط الصهيوني لتكريس النزعة الاقليمية الفلسطينية » وصلت في عام ١٩٧٤ الى أن أبرز عناصر المخطط

الصهيوني بهذا الصدد تمثلت بالمداخل التالية :

١ ـ التركيز على العجز العربى المطلق عن مجابهة الكيان الصهيونى ، وعلى التخلى العربى عن الشعب الفلسطيني ، وعدم اهتمام الامة العربية بمصلحة الفلسطينيين وقضيتهم ، واتجارها بدم ابنائهم .

٢ ـ تشجيع النزعة الاقليمية في الساحة الاردنية ـ الفلسطينية ، بين فلسطينى وأردنى .

٣ ـ محاولة اعطاء تصور قومي وهمى لقومية فلسطينية قائمة بذاتها ، وادخال هذا التصور بشتى السبل والوسائل الى اذهان العرب الفلسطينيين .

٤ ـ تصوير فكرة « الدولة الفلسطينية » العميلة على انها المنقذ للفلسطينيين من فناء محقق » .

وحين نسأل أنفسنا اليوم : هل خرجت قيادة اليمين في ممارساتها العملية عن اطار خدمة مثل هذا المخطط بحذافيره ، فاننا سنجد الجواب أمامنا واضحا كل الوضوح .

معارك جانبية مفتعلة ـ مجازر ـ فتح خطوط اتصال مع العدو واثارة أحقاد على العرب ، وفي غضون ذلك طرح شعار انقاذ ما يمكن إنقاذه من خلال الاعتماد على الحل الأمريكي : كل ذلك بهدف ترويض الانسان الفلسطيني ليقبل بالحل المرسوم مسبقا ، أو لتنفيذ المبدأ الاسرائيلي القائل « ان تغيير العقليات لا يزال أفضل ضمان لنا من اتفاقيات السلام » (النوفيل اوبسرفاتور ـ ١٩٧٢/٤/٢٧) .

والغاية النهائية من تغيير العقليات ، ما هي ؟

لقد وصلت في عام ١٩٧٤ ومن خلال دراسة مختلف النماذج الاسرائيلية للحل السلمي الى الاستنتاج المبسط التالي :

« ان النماذج المتعددة نماذج آلون ، ودايان ، وبيرس ، انما تعبر في حقيقة الأمر عن خطة واحدة ، حتى تلك النماذج الجانبية الاخرى ، لا تختلف مع مضمون الخطة المرسومة ، التي يجري تنفيذها على الصعيد الواقعي ..

فهناك ، سياسة عملية ، أمنية وسياسية واقتصادية ، يجري تنفيذها في الاراضي المحتلة .

وهناك سياسة محددة ، يجري تطبيقها ازاء الأردن ترمي الى جعله في النهاية جزءا من « سوق مشتركة » مع العدو وكذلك الامر مع لبنان .

في الشق الاول ، الكيان الفلسطيني الخاضع التابع هو في صميم الخطة ..

وفي الشق الثاني من المستحسن أن يترافق قيام هذا الكيان مع اخضاع الأردن لمقتضيات الخطة ، ومن هنا فان رفض الدولة الثالثة « الدولة الفلسطينية » في الضفة الغربية كقبولها يمثلان جزءا من المناورة » .

ولأن الخطة كانت تستهدف هذا ، ولأن الخطة على هذا النحو كانت متبلورة بكل أبعادها منذ عام ١٩٦٩ فقد أقرها رجال المال اليهود بتفاصيلها في مؤتمرهم الاقتصادي بالقدس في حزيران ١٩٦٩ ونشرت صحيفة الجمهورية القاهرية تقريراً خاصا عنها في عددها الصادر يوم ٢٥/١١/١٩٦٩ وقد تطلب تنفيذ الخطة :

١ ـ تجميد حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس (الأمر الذي تكفل به مشروع روجرز) .

٢ ـ تصفية المقاومة في الأردن عبر مجازر واسعة (أيلول ١٩٧٠ ـ تموز ١٩٧١)

٣ ـ تفجير الأزمة اللبنانية (نيسان ١٩٧٥) وغزو لبنان حزيران ١٩٨٢ .

٤ ـ افتعال الصدام بين المقاومة وسوريا اذار ١٩٧٦ في لبنان وشن حملة شانتاج واسعة ضد سوريا .

٥ ـ الانتقال بالاتصالات الفلسطينية ـ الاسرائيلية من مرحلة السرية الى مرحلة العلن .

٦ ـ اعادة جميع الأوراق المبعثرة للانتقال الى مرحلة التنفيذ (اتفاق ١١ شباط) .

وإذا كان تنفيذ الخطة الاسرائيلية قد تطلب كل هذا الوقت ، فلأن حرب تشرين جاءت مفاجئة فعرقلت نتائجها المخطط المرسوم .. بل وكادت تسقطه الا أن انحراف السادات وخيانته قد أعادت اليه الحياة من جديد .

دور قيادة اليمين

وقد كان أحد الجوانب الأساسية من الخطة الاسرائيلية قد كشف عنه ابا ايبان عام ١٩٧٠ حين قال : « لقد قلنا للزعماء الفلسطينيين أنهم اذا أرادوا أن ينظموا أنفسهم بحيث يصبحون واسطة اتصال بين اسرائيل والعالم العربي فنحن مستعدون لتشجيعهم في طريق الحوار »

(لوموند ـ ١٩٧٠/٢/٢٥) .

وقد قامت قيادة اليمين بهذا الدور وشجعت السادات والحسن الثاني ، على اللقاء مع الزعماء الصهاينة واختراق الحاجز النفسي القائم بين العرب واسرائيل مثلما عمدت هي الى اختراق هذا الحاجز النفسي .

لقد فسر ليوبا الياف سكرتير حزب الماباي دور قيادة اليمين حين قال بأن الآكثرية الصامتة في حزب الماباي تدعم معتقداته التي تتضمن الاعتراف بدولة فلسطينية والتعايش معها ، ولكنه أضاف أنه لا يوجد أي عربي يوافق على هذه السياسة في الوقت الحاضر. (نيو ستيتسمان- ٣٠ / ١ / ١٩٧٠) فقد كان على قيادة اليمين أن تحظى بكل السبل بما فيها التواطؤ في تدبير المجازر والهزائم على الموافقة العربية على هذا الحل، وكما قالت النيو ستيتسمان في تفسير التكتيك المرسوم «إن سكوت اسرائيل إزاء احتمالات التسوية مع الفلسطينيين لا يرجع إلى الرغبة في امتصاص الفلسطينيين وأراضيهم كلها ، بل إلى الاعتقاد القائل إن المبادرة نحو التسوية يجب أن تظهر بين الفلسطينيين أنفسهم» (نفس المصدر) .

ولكي تظهر مبادرة التسوية بين الفلسطينيين أنفسهم كان لا بد من مجازر أولاً ، ومن تبني منطق التسوية ثانياً .

سنؤجل اليوم حديث مجازر أيلول وما بعدها من مجازر ومعارك جانبية وموقعها في استراتيجية وتكتيك قيادة اليمين الفلسطيني ونكتفي بالوقوف عند مهمة بعثة فيشر وموقف قيادة اليمين منها .

بعد مجازر أيلول مباشرة قالت غولدا مائير ، ان الحوار مع

الفلسطينيين (أمر ممكن ومرغوب فيه) ، واعترفت بوجود كيان فلسطيني ، وقالت بامكانية قيام دولة فلسطينية تشمل الأردن (وأكثرية سكانه من الفلسطينيين) وقسماً من الضفة الغربية (لوموند دبلوماتيك - تشرين الثاني ١٩٧٠) .

- قالت غولدا مائير هذا في ١٩٧٠/١٠/٢ ، وجاء الناطق بلسان الخارجية الأمريكية بعدها ليقول أنه لا يمكن التفكير بأي حل للنزاع العربي الاسرائيلي الا اذا أخذت فيه المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني بعين الاعتبار .

ثم جاءت بعثة فيشر (شباط ١٩٧١) لتقابل ياسر عرفات وزعماء آخرين ، قدمت بعثة فيشر نفسها من خلال الوثائق على أنها جماعة من الدارسين الأمريكيين المتخصصين في المنازعات الدولية والمهتمين باحلال السلام في العالم تحقيقاً لرسالة « الكويكرز » وتتكون البعثة من :

١ - البروفسور روجر فيشر ، عقل المجموعة ، وهو استاذ القانون في جامعة هارفرد واختصاصي في المنازعات الدولية ، ويقول طلال سلمان أن فيشر يضيف في تعريف نفسه أنه .. صديق شخصي للمستر هنري كيسنجر ، مستشار الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون لشؤون الأمن القومي ، وأحد كبار معاونيه في موضوع الشرق الأوسط » .

٢ - لاندروم بولينغ ، رئيس كلية ارلهام في ريتشموند بولاية انديانا الأمريكية ، وأحد المساهمين الرئيسيين في تأليف كتاب البحث عن السلام في الشرق الأوسط الذي يعتبر بمثابة الأرضية الفكرية والسياسية لمهمة البعثة .

٣ - بول جانسون وزوجته جين ، ممثلي جماعة الكويكرز في الشرق الأوسط وقبرص .

٤ - جورج فرايتون الابن ، وهو محام يعمل كمساعد لفيشر .

٥ - جو تليب ، وهو يهودي ولكنه يدعي أنه غير صهيوني .

.. وقد حرصت البعثة على التأكيد بأن هدفها الآني هو « اشراك الصوت الفلسطيني ، بصورة من الصور ، في الحوار الدولي الدائر حول أزمة الشرق الأوسط ، وأنها تريد أن تعرف ما هو الحد الأدنى الذي تقبل به الثورة

الفلسطينية كبديل عن الكفاح المسلح » .

وتزعم البعثة أنها وصلت الى الاستنتاج التالى :

« تعتقد البعثة أن الحد الأدنى الذي تقبل به الثورة يتمثل في اقامة دولة فلسطينية في الضفتين الغربية والشرقية لنهر الاردن وقطاع غزة ، ومن الضروري أن نعثر على وسيلة تتمكن معها الثورة من المشاركة فيما يجري من مباحثات دولية ، كممثلة للشعب الفلسطيني ، حول هذا الموضوع .

(الصياد ١٨ ـ ٢٥ شباط ١٩٧١) .

وتذكر البعثة أنها اتصلت بالعديد من الشخصيات الفلسطينية المعروفة .

لنلاحظ أن الاستنتاج الذي وصلت اليه البعثة متطابق مع عرض غولدا مائير السابق الاشارة اليه « دولة فلسطينية فى الضفتين » مع ذلك فان قيادة اليمين التي تعاملت مع البعثة لم تنف استنتاج البعثة ، بل اعتبرت قدوم البعثة انتصارا من سلسلة انتصاراتها(١) .

لقد ترجم هذا الانتصار عملياً في تموز ١٩٧١ حين انقضتا القوات الاردنية على قواعد المقاومة في جرش وعجلون والأحراش والأغوار ، واربد وقامت بتصفيتها لمنع قيام الدولة الفلسطينية البديلة ، وعندئذ بدأت قيادة اليمين تتحدث عن الغاء قرارات مؤتمر أريحا ، وعن الدولة الفلسطينية المستقلة وعن حكومة المنفى .

ان انتهاء الطعم الأمريكي بانزال ضربة ساحقة بالمقاومة في الأردن ، لم يثن قيادة اليمين عن نهجها المتواكب مع المناورة التكتيكية المعادية الهادفة الى تصفية المقاومة ، بل باتت تجد في كوارث المقاومة تجارتها لمتابعة اللهاث وراء الدولة الحلم التي تحولت الى هدف معلن لها .

في كانون الأول ١٩٧٠ ، نشرت صحيفة الحياة تقريراً دبلوماسياً سرياً خاصا قالت فيه أن مرجعاً لبنانياً كبيراً قد تلقاه من احدى العواصم الأوروبية تحدثت فيه عن خطة لتبديل خريطة الشرق الأوسط ، والى توقع اضطراب على الحدود اللبنانية الجنوبية في المستقبل القريب ، وذلك ضمن

خطة تبديل خريطة المنطقة ... وحذر التقرير في هذا المجال من العودة الى ربط قسم من جنوب لبنان في هذا المشروع وقال ان بعض القيادات الفلسطينية على علم بهذا المشروع ، ونشرت صحيفة لبنانية اخرى تقريراً نسب الى أحد معاوني كيسنجر ، ينص بالنسبة لفلسطين على اتحاد فيدرالي مؤلف من دولة عربية ودولة يهودية مع منح فلسطينيي الأردن حق تقرير المصير .

فكيف تصرفت قيادة اليمين ؟

لقد مهد ياسر عرفات الى قافلة مروجي المشاريع وكشف بدوره عن اقتراحات تقدمت بها عدة شخصيات من الضفة الغربية وعرضتها على قيادة المقاومة ، وتقضي بفصل الضفة الغربية ، وانشاء دولة فلسطينية فيها ، بعقد مؤتمر في الأرض المحتلة من أجل بحث هذا الموضوع ، مؤكدين أن المؤتمر سيتم بموافقة اسرائيل ، (الراية - ١٣/١١/١٩٧٠) .

وكشف فيكتور سيجلمان ان « تطورا معينا يطرأ الآن على العقلية الفلسطينية ، وبصورة خاصة في الأوساط القريبة من السيد ياسر عرفات - وقد سرت اشاعات لم تكذب تكذيبا صريحاً بأن السيد عرفات سيجتمع بالدكتور غولدمان .

وجاءت جريدة الأهرام لتذكر أن المجلس الوطني سيبحث في شباط ١٩٧١ مشروع خلق دولة فلسطينية وكان واضحاً أن قيادة اليمين وراء تسريب الخبر .

وفي ٢٦ أيار ١٩٧١ ، كتبت صحيفة النهار عن قرار بعض الأوساط الفلسطينية القيادية تأليف حكومة فلسطينية في المنفى ، قد يكون مقرها الجزائر .

لقد نفى صلاح خلف « ابو اياد » آنذاك هذا النبأ من خلال اذاعة صوت العاصفة ، لكنه في الوقت ذاته - وكانت القوات الأردنية تنقض على قواعد المقاومة لتصفيتها - دعا الى اسقاط النظام الأردني وكأنما هو يؤلب النظام أو يعطيه المبررات لاكمال مهمة الاجهاز على المقاومة وحين اطمأن أبو إياد إلى إنتهاء قواعد المقاومة في الأردن . راح يدعو إلى إلغاء قرارات مؤتمر اريحا ، ولم يعد يدعو لاسقاط النظام !؟

على أن فكرة حكومة المنفى ظلت تراود قيادة اليمين الى اليوم ، وما زالت احدى الأوراق التي تلوح بها بين الحين والآخر .

هامش :

(١) من الوقائع الطريفة أن أحد كوادر فتح في القاهرة عهد اليه ترجمة وثائق البعثة ، فقام بما طلب منه ، وعقب بالتحذير من الاستجابة لها ، فطرد من الحركة .

٢٠ ـكيف حاولت قيادة اليمين عرقلة حرب تشرين ماذا قال الرئيس الأسد للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ؟

خلال الدورة ١٦ للمجلس الوطني الفلسطيني التي انعقدت في الجزائر ، استطرد صلاح خلف في حديث الذكريات ... فذكر أن الرئيس السادات كان قد دعاه وبعض اخوانه الى ملاقاته في الاسكندرية حيث أعلمهم بالنية في خوض حرب ضد اسرائيل بالاتفاق مع سوريا ، وأن السادات قد حدثهم عن أهدافه من خوض هذه الحرب في تحريك عملية السلام ...

كان حديثه بهذا الصدد عادياً بالنسبة لمعظم اعضاء المجلس الوطني الا بالنسبة للقلة القليلة التي تعرف سراً لم يذع الى اليوم ـ وقد كنت واحداً من هذه القلة ـ فما هو هذا السر ؟

لقد كان الموعد المحدد لتنفيذ « عملية بدر » منذ الأساس هو اوائل صيف عام ١٩٧٣ وليس خريف ذلك العام ... وقد جرى تأجيل الموعد حتى الخريف ، وكان السبب الأساسي الذي استدعى هذا التأجيل هو افشاء السادات بسر هذه الحرب الى « قادة » الثورة الفلسطينية الميامين من أركان اليمين الفلسطيني .

ان افشاءه بالسر لهم ، جعلهم يهرعون الى الاجتماع في بيروت واتخاذ اجراءاتهم العاجلة :

١ ـ ارسال قوة أمنية من كوادرهم الى مصر لتكون جاهزة للانتقال الى قطاع غزة للامساك بزمام السلطة اذا نجح المصريون فى استرداد القطاع !

٢ ـ تكليف مطبعة في سويسرا بطباعة جوازات سفر الدولة الفلسطينية العتيدة لتكون جاهزة للتداول بمجرد إعلانها .

٣ ـ عرقلة الحرب بتفجير الوضع الامني في بيروت (نيسان ١٩٧٣) واثارة حملة دعانية واسعة مالبثت أن طالت القطر السوري حين عمد الى اغلاق حدوده مع لبنان للضغط من أجل انهاء الازمة مبكرا فاتهمته قيادة اليمين بأن اجراءه يعني محاصرة المقاومة لتسهيل ضربها في لبنان .

ـ تأجيل موعد الحرب ـ

لقد شعر الجانب السوري أن ما حدث في بيروت يعني أن سر الحرب قد أفشي ، فجرى تأجيل ساعة الصفر ، وتم الاتفاق في لقاء بلودان على اخفاء ساعة الصفر حتى عن القيادات العسكرية الأساسية المطلوب منها خوض الحرب ، وحجب المعلومات المتصلة بالحرب عن أي طرف كان وعدم الاعتداد بحسن نوايا أحد ...

وهكذا أجلت الحرب الى ٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ وكان اليمين الفلسطيني هو سبب التأجيل .

وحين تحدث أبو اياد عن لقاء الاسكندرية مع السادات كان يعترف عملياً بأن قيادة اليمين عملت عن سابق عمد وتصميم على منع حرب تشرين أو عرقلتها أو اجهاضها ...

وحين تروى هذه الواقعة بالذات ، فاننا نجد أنفسنا أمام مقارنة منطقية بين أنور السادات وقيادة اليمين ...

ان احتفاظ السادات بسر حرب تشرين ... بعنصر المفاجأة ... بعد أن جرى تصحيح خطيئته الأولى بافشائه السر لقيادة اليمين يثبت صحة التحليل القائل أنه كان مريضا نفسياً وليس عميلا وظيفياً ... وأن الذين حرفوا خطواته الى حد الخيانة انما استغلوا مرضه النفسي ...

ولكن ما الحكم الذي يمكن أن يصدره التاريخ على قيادة اليمين ؟ كيف

نفسر لجوءها الى افتعال فتنة في بيروت لعرقلة شن حرب مصرية ـ سورية شاملة ضد اسرائيل ؟ وكيف نفسر تقاعسها عن تعبئة قوات الثورة الفلسطينية للمشاركة فى هذه الحرب وامتناعها عمليا عن المشاركة في هذه الحرب حين وقعت ؟ وبماذا نفسر مبادرتها لاعداد شرطتها وجوازات سفرها لتضمن الهيمنة على السلطة في الأرض الفلسطينية التي يمكن أن يحررها العرب الاخرون في الحرب اذا وقعت كاجراء احتياطي ؟!

ان المسألة كما هو واضح تتجاوز البعد الانتهازي في تفكير قيادة اليمين . فالانتهاز ثابت ولكن عرقلة حرب ضد اسرائيل لا تندرج تحت بند الانتهازية !

لقد وقعت حرب تشرين رغم ارادة اليمين الفلسطينى ...

وحاول اليمين الفلسطيني فورا ركوب الموجة ، بل حاول ركوبها قبل صدور قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ !!!

ادعى كذبا أنه فتح جبهة ثالثة ...

وراح يتحدث عن مطالبه في التسوية ...

وراح يزور القصص عن رسائل سوفياتية تترى ...

وراح يحدد مطالبه في الضفة والقطاع وعوجا حفير والحمة ولسان كعوش !!

واجتمعت الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في دمشق . لعل الاجتماع كان تحديداً يوم ١٩٧٣/١٠/٢٧ .

تدارسنا ما يطرحه اليمين في سوق المقاومة ... وأصدرنا بياناً كان شرارة الرفض لمنهج اليمين في الساحة الفلسطينية ...

كان المجتمعون في ذلك اليوم على ما أذكر ناجي علوش ـ يوسف الخطيب ـ بسام ابو شريف ـ عبد الرحمن غنيم ـ محمد كتمتو ـ خالد ابو خالد ـ حنا مقبل .

وتم الاجتماع في مقر « دار فلسطين » في شارع الصالحية ...

وقررنا في الاجتماع دعم بياننا بتحرك سياسي ... وطلبنا مقابلة الرئيس حافظ الأسد ... واستقبلنا الرئيس الأسد ...

سمعنا منه قصة حرب تشرين ... أطربنا تواضعه في وصف انجازات

الابطال ، لكن بالنا كان مشغولًا في محاولة اغتيال هذه البطولات ...

وللامانة وللتاريخ أجد من واجبي أن أسجل أبرز ما قيل في ذلك اليوم ، ففيه تفسير للكثير مما حدث بعد ذلك ...

سألناه عما قيل عن رسائل وردت من السوفييت للقيادة الفلسطينية تطالبها بتحديد المطالب الفلسطينية من المؤتمر الدولي للسلام بشكل فوري ؟!

قال : عجيب ! لا علم لي بشيء من هذا وأين هو المؤتمر اصلا ؟

قلنا له : يقال أن الثورة الفلسطينية الآن أمام موقف عصيب فإما تختار المذبحة العسكرية أو المذبحة السياسية . فهناك تصميم على التسوية والا فالتصفية ... وان من الخير للثورة ان تحدد مطالبها بقيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع والحمة والعوجا حفير ولسان كعوش والاعتراف بالعدو ... والا .

وتساءل الرئيس الأسد :

○ من يقول هذا ؟

.. لجمنا الحياء وربما الانضباط أن نقول ياسر عرفات ومن معه ...

فقلنا : بعض قادة الثورة الفلسطينية ...

.. قال :

○ عجيب ... انني لا أتصور أنه يمكنني أن أفعل هذا وأعترف باسرائيل دون أن يعمد ابني إلى إطلاق النار علي قبل ارتكاب هذه الخيانة .

ـ فمن يمكن أن يفكر على هذا النحو ويفرط بحقوق شعب فلسطين؟!

... تنفسنا الصعداء ...

.. عدنا نتجاذب مع الرئيس الأسد أطراف الحديث ونحن على ثقة أن ما يقال لكوادر ثورتنا عن الخيار بين المذبحتين العسكرية والسياسية هو أكذوبة ...

وودعنا الرئيس الأسد لتبدأ المعركة مع ياسر عرفات وقيادته

اليمينية ...

لقد وجه ياسر عرفات منذ ذلك اليوم التهمة الى ناجي علوش بأنه يحاول ضرب قيادته ...

وخطط ياسر عرفات منذ ذلك اليوم للتخلص من كل من وقعوا أول بيان لرفض منهجه من دمشق وقابلوا الرئيس الأسد، نجح في إقصاء الجميع عن الأمانة العامة للاتحاد.

انني أورد هذه الواقعة لأدلل على حقيقة أساسية ، وهي مركزية فكرة التسوية في نهج قيادة اليمين وسيطرتها على مجمل سلوكها منذ سنوات طويلة ...

المنطق الانتهازي

أما البعد الانتهازي في تفكير قيادة اليمين فقد كشفه أحد أركان هذه القيادة حين دعا الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة اعضاء المؤتمر العام الثاني لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذي انعقد في تونس بعد أسوأ فصول أزمة لبنان مباشرة ، لتناول الغداء على مائدته في قصر قرطاج . فقد وقف يتكلم بمنطق لا استطيع استعادة عباراته الا أن ما فهمته منه أن قادة اليمين أذكياء في استغلال الشرق والغرب وتضحيات الجنود السوريين والمصريين ليصلوا الى هدفهم في اقامة الدولة الفلسطينية !! وأنهم مطمئنون الى قدرتهم في توظيف كل ذلك في خدمة هدفهم .

قد يكون منطق اليمين في هذا منطقاً بورجوازياً بحتاً وفق التحليل الطبقي ، وقد يكون منطقاً تبريرياً لسلوك شاذ منحرف عميل ... لكن المحصلة واحدة ... ؟! ان وطناً ـ منقوصاً ـ يتم على حساب خداع الأشقاء وهدر دمهم بالمجان ليس الوطن الذي يضحي من أجله شعبنا ... وليس الوطن الفلسطيني الذي نذرنا أنفسنا من أجله !!

أين هؤلاء الذين يدعون الانتماء لفلسطين ، فيبدون استعدادهم للتفريط بمعظمها من أجل نيل شلو كسيح تابع خانع خاضع منها ، من حافظ الأسد الذي يؤمن بأن ، من حق ابنه أن يطلق النار عليه ويرديه قتيلًا اذا هو فرط بشبر منها ؟ من هو الفلسطيني ومن هو الخارج على فلسطينيته المنتحل زوراً للشخصية الفلسطينية ؟!

ان الجواب أكثر من واضح ... ان الحذاء المتواضع الذي ارتدته سناء المحيدلي يوم استشهادها لأشرف مليار مرة بل لأشرف بشكل مطلق من كل أولئك الذين حولوا فلسطينيتهم إلى تجارة ، وتحولوا إلى سماسرة في سوق النخاسة على حساب دم شعبنا الذي هدر دون حساب من أجل أن تبقى رؤوسنا مرفوعة الى الأبد حتى ولو ضاعت فلسطيننا التي نقدس الى الأبد ... فيكفي أن يقول عنا التاريخ أننا الشعب الذي قاتل دفاعاً عن وطنه حتى آخر نفس و آخر قطرة دم .

وإذا كان الرئيس الأسد قد تمنى أثناء حصار بيروت أن يقف عرفات ومن معه موقف عز ورجولة كموقف سناء وابتسام ومريم على ألا يخنعوا لفيليب حبيب ، ولأن الاستشهاد هو طريق النصر وليس الاستسلام والخنوع

.. ولأن فلسطين العربية يجب أن تبقى فلسطين العربية ، فهي ليست رهينة لحسابات عرفات الذاتية أو للحسابات الذاتية لأية فئة أو جماعة ... إنها شرف العرب ... من شرق الوطن إلى مغربه ... وإذا فني من في الشرق دون تحريرها يتوجب على الموريتانيين أن يأتوا ليحرروها .

٢١ ـ قيادة اليمين تعمدت إثارة المعارك الجانبية للاتجار بالضحايا

من الاردن الى لبنان .. أدار اليمين المنحرف معركة تبديد القوى والأرواح في خدمة نهج « التسوية »

لا نعتقد أن هناك من يخالفنا الاستنتاج بان عدد من استشهدوا من المقاتلين الفلسطينيين في المعارك الجانبية فاق بكثير عدد من استشهدوا اثناء القتال ضد العدو الصهيوني . بل ان حصاد المعارك الجانبية كان مرّاً الى الحد الذي مرت فيه كثير من الأيام كانت فيها المقاومة تخسر في اليوم الواحد عدداً من الضحايا يفوق ما قدمته من الشهداء خلال عام كامل من أعوام اندفاعة العمل الفدائي ضد العدو ..

وطبيعي أن يطرح ازاء مثل هذه الظاهرة السؤال من المفتري ؟ ومن المسؤول ؟ والمسؤولون عن الدم الذي هدر كثر .. والمفترون كثر .. ولكن هل كان لأسلوب اليمين الفلسطيني في قيادته للساحة الفلسطينية ، وادارته للصراع ، دور في هدر الدم وتبديد أرواح المقاتلين أم كان بريئاً ؟

قد لا يختلف الناس حول تحميل النظام الأردني مسؤولية ما حدث في ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ في الأردن ، ولكن هل كانت قيادة اليمين الفلسطيني شريكة في المسؤولية أم لم تكن ؟

سؤال خطير وخطير جداً .. واذا أردنا أن نتوسع في ايراد المعلومات والوثائق المتعلقة بالإجابة عليه، فان الحديث سيطول.. ويطول جداً.. وليس هنا مقام مثل هذا الاطناب ..

لذا سنكتفي هنا بتلخيص بعض المعطيات الأساسية ، مسجلين في الوقت ذاته ملاحظتنا بأن جهداً موثقاً وحثيثاً يجب أن يبذل في تقصي هذه المشكلة وسبر أغوارها بالتفصيل .

اننا نعتقد أن قيادة اليمين الفلسطيني :

○ تعمدت هدر وتبديد الطاقات المقاتلة لشعبنا .

○ تعمدت تعريضه للمجازر المتكررة ساعية من وراء ذلك الى نيل عطف الآخرين .

○ تعمدت تبديد طاقات حركات التحرر العربية والعالمية التي زجت بمناضليها في معركة شعبنا ضد أعدائه .

○ حين ننظر الى تجربة المقاومة في الاردن بمختلف تفاصيلها ، فإننا سنجد أنفسنا أمام ملاحظتين أساسيتين :

○ قبل أيلول ١٩٧٠ مباشرة غيرت قيادة اليمين من منهجها السابق الذي تتهرب فيه من المواجهة العسكرية للنظام لترفض بذل أي جهد نحو منع وقوع الصدام . وبعض المعلومات التي ترددت آنذاك تضمنت توجيه الاتهام لقيادة اليمين بأنها تواطأت مع النظام بهدف اخراج الفصائل اليسارية من الاردن !

○ اثناء مجزرة أيلول ، كان بالوسع ملاحظة أمرين :

١ ـ تقصير قيادة اليمين المتعمد في المجابهة العسكرية للنظام .

٢ ـ لجوؤها الى الاستنجاد المستمر مطالبة بوقف المجزرة ومنذ الساعات الأولى للقتال .

○ اضافة الى الملاحظتين السابقتين، فان علينا أن نضع واقعة وقوع .. صلاح خلف « ابو اياد » في ايدي قوات السلطة ، والنداء الذي وجهه عبر اذاعة وتلفزيون عمان مطالباً الفدائيين بالقاء السلاح من زاوية تنسجم مع المجرى العام لنهج اليمين وسلوكه . فسلوكه آنذاك لم يكن مجرد « جبن » يعيب صاحبه ، بل كان دوراً مرسوماً .

○ رغم أن مجرى الأحداث على أرض الصراع يقول : ان المقاومة لم تهزم عسكريا في عمان ، بل صمدت ، وأن قواعد المقاومة في الأغوار وجرش وعجلون والأحراش أبقيت خارج المعركة (!) وأن شمال الأردن حرر بفضل الاسناد السوري للمقاومة وتدخل جيش التحرير الفلسطيني ، فقد هرع ياسر عرفات الى قمة القاهرة ليقبل باتفاق القاهرة بمجرد طرح بنوده عليه ، ودون أن يكلف نفسه عناء التفكير في مضمون الاتفاق ، مما جعل محمد حسنين هيكل يروي قصة استغراب الرئيس عبد الناصر لقبول ياسر عرفات بتلك الصيغة دون مناقشة .. اذ كان واضحا أنها صيغة تعني تعريض المقاومة للتصفية عاجلا أو آجلا !

○ وجاء بروتوكول عمان ليشكل تعميقاً للهزيمة المفروضة على المقاومة من خلال الاتفاق ، وليس من خلال الصراع .

وانتهى شوط من التصفية ليبدأ شوط آخر في صيف ١٩٧١ . فبعد أن تم تسليم أسلحة الميليشيا وتسليم المدن ، بدأت معركة الأحراش والأغوار وجرش وعجلون .

قيادة اليمين خلال هذه المعركة راحت تنادي بشعار « اسقاط النظام الأردني » بينما تعطي التعليمات الى القوات التابعة لها بعدم القتال ، والى العناصر المتواجدة في الأغوار باللجوء الى الضفة الغربية اذا ما هوجمت ..

وسجل ابو علي إياد مأثرته في رفض أوامر اليمين ، وقاتل حتى الاستشهاد .. والواقع أن النظام أبقى في داخل الأردن بعض القوات التابعة لقيادة اليمين بعد خروج المقاومة من الأردن ، مما يرجح ما قيل عن اتفاق مسبق مبرم بين قيادة اليمين وبين النظام لاخراج الفصائل الاخرى . وقد توضعت تلك القوات لفترة طويلة في منطقة الزرقاء .. ولكن شبه مجردة من السلاح ..

وانتهى الفصل الأردني ، وبدأ الفصل اللبناني .. وكان مما يؤثر عن الشهيد كمال ناصر - رحمه الله - أنه كلما تحدث عن احتمالات الوضع في لبنان بالنسبة للمقاومة ، قال ان ايلول لبنان سيكون غير أيلول الأردن ..

بمعنى أنه سيكون أكثر قسوة وضراوة ..

وفي أيلول لبنان ، وجدنا قيادة اليمين ايضاً تكرر ما فعلته في الأردن .. لقد كانت باستمرار تحجم عن دفع قواتها الى القتال حين يتوجب الاقدام ، ولا تقدم الا حين يكون قد توجب الاحجام ..

ويومها جاء المرحوم زهير محسن الى دمشق .. جاء يبحث عن حل يغض فيه النظر عن قيادة اليمين وعن القوات التى تتحكم بها بعد أن بات مقتنعاً بأنها لا تريد للمقاومة أن تنتصر وإنما تريد للمقاومة أن تهزم ..

لقد أوردت تفاصيل ما حدث آنذاك ، ووثائق ما جرى بعد ذلك في كتاب لي بعنوان « المقاومة الفلسطينية والأزمة اللبنانية » نشر فى دمشق عام ١٩٧٧ ومما أوردته تفاصيل الترتيب الذي اتفق عليه الرفيق زهير محسن واللواء مصباح البديري في مقر رئاسة أركان جيش التحرير الفلسطيني ، وكنت شاهداً على ذلك الاتفاق الخطة العسكرية التي قلبت عناصر الموقف بعد أن ساهمت سوريا بتعزيزها خلال أيام قليلة .

لقد وضع زهير محسن ومصباح البديري خطة العملية العسكرية الشاملة للمواجهة يوم ١٩٧٦/١/١٠ ، وفي يوم ١٩٧٦/١/٢١ ، تم الاتفاق العسكري والسياسي الذي كان يمكن وكان يجب أن يكون النهاية للأزمة اللبنانية لولا الدور التآمري لقيادة اليمين الفلسطيني التي عمدت في اذار ١٩٧٦ الى اعادة تفجير الأزمة تحت شعار « الحسم العسكري » بعد أن أحضرت قوات عين جالوت من مصر بالتواطؤ مع السادات ، وبعد أن عبأت كل ما استطاعت تعبئته من القوات والقوى ، وبعد أن استزلمت كل من استطاعت استزلامه للحيلولة دون استقرار الوضع في لبنان .

ولأن هذا الفصل من فصول الانحراف العرفاتي هو أكثر الفصول خطورة، ولأنه ترتبط بهذا الفصل أبشع جريمة تقترفها قيادة بحق شعبها ، فاننا سنعمد الى معالجتها بشيء من التوثيق والتحديد الدقيق لأبعاد الجريمة المروعة التي قادت الى جعل لبنان يعيش مأساته الدامية حتى الان ، حيث تعاملت معه قيادة اليمين كرهينة بهدف الضغط لتحقيق التسوية الاستسلامية للقضية الفلسطينية ، بينما تعاملت مع شعبنا كأكباش فداء تستثير من خلال التضحية بها عطف العالم !!

٢٢ ـكيف كذبت القيادة اليمينية على جميع العرب لتتمكن من إعادة تفجير أزمة لبنان عام ١٩٧٦ ؟

○ لماذا قال هاني الحسن : نحن أجبرنا اسرائيل على احتلال جنوب لبنان !

اثناء انعقاد دورة المجلس الوطني في القاهرة عام ١٩٧٧ ، وكانت اخر دورة عقدت في القاهرة ، انبرى شاب فتحوي من ممثلي الاتحاد العام لطلبة فلسطين ـ مبتدىء في السياسة ـ ليسأل ياسر عرفات : اذا كان هذا الذي تقوله للمجلس مبرئا سوريا صحيحا فما معنى كل ما عبأتمونا لاشاعته حول موقف سوريا من أزمة لبنان من اتهامات ؟

ولعل ياسر عرفات لم يحرج في حياته مثلما أحرج أمام ذلك السؤال .. فالواقع أنه لو كانت اتهامات ياسر عرفات لسوريا عام ١٩٧٦ صحيحة ، وخاصة بصدد تل الزعتر ، لما كان عليه أن يصافح مسؤولا سورياً بعد ذلك ، والا فهو مجرم ... فكيف به يدافع بحرارة عن سوريا .. واذا كانت اتهاماته غير صحيحة فهو مجرم ايضا لأن الأكاذيب التي أطلقها نقشت في صدر كل انسان فلسطيني وسوري وعربي جرحا ! .

لقد كان الاتفاق بيننا وبين ياسر عرفات قائما مسبقا في ألّا نرد نحن ـ الصاعقة ـ على أي تحامل تتعرض له سوريا في المجلس وأن يتولى

عرفات بنفسه مهمة الرد !! .

وهكذا أتيح لنا أن نمضي معظم الوقت متفرجين على حوار فتحوي - فتحوي حول هذه المسألة .. ينتهي باصدار صكوك براءة لمتهم بريء هي في الوقت ذاته صك ادانة لمتهم لم يوجه اليه أحد الاتهام .

وكان من غرائب تلك الدورة أن اضطر المجلس الوطني الفلسطيني أن يشطب من محضر جلساته عبارة زل بها لسان هاني الحسن ، فشعر ازاءها الجميع بالخزي والعار ، حين قال بملء فيه اثناء حديثه « نحن أجبرنا اسرائيل على احتلال جنوب لبنان » . وفهمنا نحن كيف ولماذا حدث هذا وصلة هذا الذي حدث بمأساة تلك الزعتر ، لكن الكثيرين لم يفهموا وسط حديث هاني الحسن عن الشمال (الكتائب أو سواها) وعن الجنوب (اسرائيل) ماذا يعني بالضبط ، غير أنهم قدروا أن اعترافه كان كارثة فقرروا شطبه بالاجماع ..

وفي تلك الدورة للمجلس كان هناك عجائب وغرائب اخرى ، ولكننا لسنا الان بصدد الحديث عنها ، وان كنا سنعود اليها لاحقا ، انما نريد أن نقتصر الحديث على تل الزعتر .. نعم .. تل الزعتر ..

المأساة التي فجرها عرفات

وحدها مأساة تل الزعتر كان يجب أن تنهي دور قيادة اليمين .. لو أن تلك القيادة سارت على الصراط المستقيم طوال الوقت ولم تقترف الا ما اقترفته بحق تل الزعتر ، وما حاولت الحاقه بسوريا من اتهام ، لكان يتوجب محاسبتها عليه بتجريدها من كل مسؤولية قيادية .. لكن من اختلطت عليهم الأوراق في أزمة لبنان كانوا كثيرين .. ومن اخطأوا بسبب اختلاط الأوراق ورواسب الماضي وحساب السياسات وخداع النفس كانوا كثيرين .. وهكذا ذهبت أكبر مأساة تعرض لها شعبنا في الغسيل !! وظل في صدور الناس شك .. وفي أحسن الحالات ظلوا معلقين بين الشك واليقين ...

عبارة هاني الحسن التي شطبها المجلس الوطني من محاضر جلساته كانت تتعلق في حقيقتها العملية بمسيرة تل الزعتر .. وبخطة قيادة

اليمين للتغطية على مسيرة تل الزعتر حتى يوقفوها أو يغطوا عليها اعلاميا ..

لقد أراد أهالي تل الزعتر وهم الذين يعرفون براءة سوريا من التهمة التي وجهها عرفات وأجهزته لها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، أن يعلنوا عن هذه الحقيقة .. فأرادت قيادة اليمين طمسها ، فكان أن رتبت عملية دلال المغربي لا بغرض احياء العمليات الاستشهادية بل بغرض اعطاء مبرر لاحتلال اسرائيل للجنوب .. هكذا أقر هاني الحسن بملء فيه وأمام كل اعضاء المجلس الوطني حين تحدث عن الخطر المحدق في الشمال الذي يلجم باستثارة الخطر المحدق في الجنوب تفسيرا لعبارته الصريحة « نحن أجبرنا اسرائيل على احتلال جنوب لبنان » . فخطر الشمال المحدق لم يكن سوى مسيرة تل الزعتر .

ورغم ذلك ، ورغم طيران العدو المحلق في سماء بيروت ، وخطر قصف المسيرة ، فقد نفذ أهالي تل الزعتر المسيرة ، وجاءوا الى دمشق ، وقدموا تحيتهم للرئيس حافظ الأسد ، الا أن الحدث العظيم طمسه في ذلك الحين اجتياح اسرائيل للجنوب .

فماذا عن تل الزعتر ؟

تعالوا نستذكر التاريخ ...

- ١٩٧٥/١٢/٦ : ارتكب الانعزاليون مجزرة السبت الأسود .
- ١١ / ١٢ / ١٩٧٥ : احتل الانعزاليون حارة الغوارنة .
- ١٩٧٥/١٢/١٦ : احتل الانعزاليون قرية سبينة .
- ١٩٧٦/١/٤ : جاصر الانعزاليون تل الزعتر وجسر الباشا رسميا .
- ١٩٧٦/١/١٤ : احتل الانعزاليون مخيم الضبية .
- ١٩٧٦/١/١٦ : احتل الانعزاليون حوش الامراء .
- ١٩٧٦/١/١٩ : احتل الانعزاليون الكرنتينا والمسلخ .

وكل موقع احتلوه وقعت فيه مجزرة .

ماذا فعل ياسر عرفات ليحمي هذه المواقع وليواجه هجمات الانعزاليين ؟ .

حتى يوم ١٩٧٦/١/٥ لم يكن عرفات قد بادر الى عمل شيء .. وفي

ذلك اليوم كان الوضع كما وصفته « وكالة أنباء الشرق الأوسط » المصرية كما يلي :

« حافظت حالة الأمن في بيروت والضواحي على هدوئها النسبي بصفة عامة بالرغم من وقوع حوادث صغيرة انحصرت في اطلاق النيران والتراشق بالرصاص فى بعض الجبهات .. بينما لم يطرأ أي جديد على حالة الجمود التى سيطرت على الحوار بين الاطراف السياسية » .

« وتنصرف جهود المسؤولين اللبنانيين اليوم الى معالجة قضيتين على صعيد الامن أولهما قضية المخطوفين (...) أما القضية الثانية فهي فك الحصار عن مخيم تل الزعتر الفلسطيني وحي النبعة واستئناف سيارات النقل مرورها الى المخيم لتزويده بالمواد التموينية المختلفة بعد أن منعها مسلحون كتائبيون امس من ذلك . وهو ما كاد يؤدي الى مضعفات خطيرة وانهيار الموقف بأكمله خاصة بعد أن هددت القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية باختراق هذا الحصار بالقوة » .

« وتقرر عقب الاتصالات المكثفة التي جرت أمس بين قيادة المقاومة الفلسطينية والسلطات اللبنانية أن تستأنف الشحنات مرورها صباح اليوم الى مخيم تل الزعتر » .

لكن وكالة الصحافة الفرنسية قالت في اليوم نفسه :

« لا يزال مخيم تل الزعتر الفلسطيني محاصرا حتى بعد ظهر اليوم ، وهو الحصار الذي فرضته عليه الميليشيا المينية منذ اربعة أو خمسة أيام . وعلم من مصدر مطلع أن احدى قوافل الامداد المكونة من عدة سيارات نقل قد حوصرت صباح اليوم في منطقة سن الفيل (...) . ويعتبر هذا المخيم في حالة عزلة لأنه كلما نشبت المعارك في بيروت فإن سكان المخيم يجدون أنفسهم مضطرين لأن يعيشوا على المخزون الذي يعاد تكوينه خلال فترات الهدوء . وقالت مصادر موثوق بها أن هذا المخزون قد نضب وأنه رغم الهدوء النسبي الذي شهدته بيروت فان أفراد الميليشيا من الاحزاب اليمينية لم يسهلوا عملية نقل المؤن » .

وكالة الأنباء الألمانية قالت يوم ١/٦ أن القوات الانعزالية « ترفض

رفع حصارها عن تل الزعتر » ... وقالت رويتر ان حالة التأهب قد اعلنت بين وحدات المقاومة الفلسطينية » .

يوم ١٩٧٦/١/٧ قالت وكالة الأنباء العراقية ان معارك عنيفة تدور في شوارع بيروت وخاصة على محور سن الفيل - النبعة وحرش ثابت ، وعلى محور عين الرمانة-الشياح . وإن أعنف المعارك قد دارت في منطقة سن الفيل حيث اقتحم مقاتلو الحركة الوطنية حرش ثابت (الواقع أنها كانت قوات المقاومة الفلسطينية) واحتلوا بعض احيائه في محاولة لفك الحصار التمويني الذي فرضته القوى الانعزالية على مخيم تل الزعتر وعدد من احياء الضاحية الشرقية . وقد أكدت وكالة الأنباء الفرنسية النبأ .

وكالة الانباء الفرنسية تحدثت يوم ١٩٧٦/١/٩ عن معارك ذلك اليوم حول تل الزعتر ونسبت الى ضابط لبناني في عين الرمانة قوله « لا يمكنكم أن تتخيلوا كميات الذخائر التي استخدمت وكم قذيفة أطلقها هذا الجانب أو ذاك » وأضاف « بهذا المعدل فان المخزون في تل الزعتر سوف ينفذ خلال الاسبوع » .

ويصل المقاتلون الى الحازمية ، ولكن في مساء ذلك اليوم يصدر تصريح عن قيادة عرفات بمنح « الفاشيين » فرصة اخيرة كي يراجعوا موقفهم وذلك حرصا على تهدئة الموقف والسماح للعقلاء من الرجال بالتحرك وللمتطرفين باعادة النظر في موقفهم » .

لقد سحب ياسر عرفات قواته من المعركة ! .

فلماذا !؟! ا

سورية تتدخل

في ١/١٠ قالت وكالة الأنباء الفرنسية أنه في حرش ثابت تطور الموقف لصالح الكتائب خلال ليلة أمس .

وكان يمكن أن يسقط تل الزعتر خلال اسبوع من هذه الواقعة . لكنه لم يسقط ، فلماذا ؟

هل لأن ياسر عرفات قام بنجدته أم لان سوريا اضطرت للتدخل داعمة لأطراف المقاومة الفلسطينية التي قررت مواجهة الخطر وتجاوز عبث عرفات ؟

لقد انتقل زهير محسن يوم ١٠/١/١٩٧٦ الى دمشق ليرتب على عجل عملية الهجوم المعاكس ، وقد بدأ التحرك العسكري من سوريا الى لبنان يوم ١١/١٠/١٩٧٦ .

وبينما بدأ الهجوم المعاكس يوم ١٢/١/١٩٧٦ ، فقد بعث ياسر عرفات يوم ١/١٣ يبلغ صديقه السادات أن قيادته « تمارس أقصى درجات ضبط النفس » .

وفي يوم ١٧/١/١٩٧٦ ، تبدأ معطيات الموقف العسكري بالتحول كليا لصالح المقاومة المدعومة بالقوات السورية وقوامها الأساسي جيش التحرير الفلسطيني . وتبلغ سيطرة هذه القوات على الموقف أوجها في ٢٢/١/١٩٧٦ ، رغم نواح جريدة الأهرام القاهرية (١/١٧) استنادا الى برقيات عرفات حول مسؤولية الصاعقة عن تصعيد الموقف والمقامرة بمصير أهالي تل الزعتر ! .

فالمجابهة العسكرية لطغيان الانعزاليين آنذاك كانت في نظر عرفات وحلفائه مقامرة . لكن هذه المقامرة لم تحتج الى قتال صادق زاد على العشرة أيام لتنهي محنة لبنان باتفاق كان لصالح المقاومة والقوى الوطنية اللبنانية ، وكان يمكن أن يكون فصل الختام في أزمة لبنان لولا أن اليمين العرفاتي كان يخطط لغير هذه النتيجة ، ويفكر في غير هذه المحصلة ، وكما نسب لأحد أتباعه (جمال الصوراني) آنذاك فقد أزعجتهم المحصلة لأنهم كانوا يطمحون في أن تشارك فتح في تشكيل الحكومة اللبنانية !!

ان عرفات الذي تقاعس عن نجدة تل الزعتر يوم ٩/١/١٩٧٦ ، ولم يستدع قوات عين جالوت من مصر الى لبنان حتى ٢٢/١/١٩٧٦ ، دب فيه الحماس والنشاط فجأة بعد نجاح المبادرة السورية . فاذا بالطائرات المصرية تقل قوات عين جالوت الى دمشق ، لينقلها عرفات الى جبل لبنان . وفي ٢٧ شباط ١٩٧٦ دعا خالد الحسن الى عقد لقاء قمة فوري بين الاسد والسادات وعرفات محذرا من أن التلكؤ فى ذلك من شأنه أن يعرض المقاومة لمجزرة

جديدة في لبنان . وهذه الدعوة وحدها تكفى لتوضيح أن قيادة عرفات كانت تعرف ما يخطط له السادات وأنها كانت متواطئة معه فى التآمر .

لماذا تكديس السلاح ؟

لقد كنت في ذلك الحين في زيارة إلى أبو ظبي، ولاحظت أمرا غريبا يتمثل في حملة شاملة ، يقوم بها عرفات لجمع الأموال من السعودية والخليج .. لقد شملت الحملة الحكومات كما تضمنت اقتطاع رواتب من جميع العاملين دون استثناء ... وكانت الارقام كبيرة ومثيرة ، والتقيت مع السيد أحمد خليفة السويدي ، وتطرق حديثنا الى موضوع التبرعات ، وحجم الشهداء والاسرى وهل يتطلب هذه الأرقام التى وصفها السويدي بأنهم دفعوا الكثير ... الكثير .. وعلمت في وقت لاحق نقلا عن أوساط جزائرية أن عرفات ذهب الى بومدين فطلب منه سلاحا كثيرا وخطط عمليات جيش التحرير الوطني الجزائري للاستفادة منها نظرا لقرار المقاومة بنقل الثورة الفلسطينية كليا الى داخل فلسطين المحتلة ! وصدق بومدين الادعاء ليكتشف بعد ذلك هو وسواه أن ما جمع من مال وسلاح ورجال كانت غايته اعادة تفجير الأزمة اللبنانية وتحويلها الى حرب أهلية طائفية . حتى السوريون لم يسلموا في ذلك الحين من منطق الاستغلال العرفاتى لهم من أجل طعنهم بيدهم ... فقد جاء الى المسؤولين السوريين يتحدث عن مخاوفه من أن يعود الانعزاليون الى تفجير الأزمة والحاجة الى تعزيز قوة التحالف الذي يضم المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية بما يجعل الانعزاليين يكفون عن التفكير باعادة تفجير الأزمة ويقبلون بواقع انهزام خططهم للتقسيم ، ولم يبخل السوريون عليه وعلى القوى الوطنية اللبنانية بالعطاء .. ولم يتوقعوا أن قيادة اليمين تخطط لطعنهم بسلاحهم ..

حين حسمت الأزمة اللبنانية في كانون الثاني ١٩٧٦ ، كان حجم الميليشيات الانعزالية لا يتجاوز الستة عشر ألف مقاتل، وكان هؤلاء يتوزعون على عدة فئات منها: النمور الشمعونية وعددها

محدود .. بينما كان عدد المنتمين الى ميليشيا الكتائب هو الأكبر ولكن خبرته القتالية محدودة ، وكان حراس الأرز يمثلون العصابة الأكثر تطرفا وميلا الى الارهاب .. ولقد تعرضت هذه الميليشيات للعزلة والتمزق عقب نجاح المبادرة السورية في ١٩٧٦/١/٢٢ ، وكان يمكن لدورها أن ينتهي تماما لو استمر تنفيذ الاتفاق الذي أبرم في حينه لانهاء أزمة لبنان ..

بالمقابل لم تكن القوى الوطنية اللبنانية حتى انفجار الأزمة اللبنانية في نيسان ١٩٧٥ تملك ميليشياتها المدربة والتسليح الملائم .. وقد تولى السوريون بشكل أساسي تدريب وتسليح تلك القوى لموازنة الموقف ومنع التقسيم .... وبوسع القوى الوطنية أن تروي أغرب الفصول عن مصادرات ياسر عرفات للأسلحة التي كانت تحصل عليها بعض تلك القوى من ليبيا . فقد كانت خطته باستمرار تقضي بأن يهيمن على كافة القوى وأن يدير المساومات من خلال هذه الهيمنة .. فلم يشأ ترك المجال أمامها واسعا لتنمو .

وفي ١١ آذار ١٩٧٦ ، حملت عناصر فتح التي كان يقودها علي حسن سلامة العميد عزيز الأحدب الى الاذاعة ليعلن الانقلاب على الرئيس فرنجية وحكومته ، مدخلا لتفجير الأزمة اللبنانية من جديد .. وكانت هذه الخطوة هي النذير باعادة الوحدة والتلاحم الى قوى اليمين واستقطابه لعشرات الآلاف من المقاتلين حتى زاد عددهم على ٦٠ الفا .

كان جيش التحرير الفلسطيني هو المكلف بالاشراف على أمن بيروت . وكان للسوريين كتيبة قرب مطار بيروت ، وعناصر من الدفاع الجوي في المخيمات للمساهمة في الدفاع ضد الغارات الجوية الاسرائيلية .. وكان الضباط السوريون طرفا في اللجنة الأمنية المشتركة في العاصمة اللبنانية المكلفة بمتابعة تنفيذ المبادرة السورية من الناحية الأمنية .. وكان هؤلاء الضباط يتولون ايصال احتياجات تل الزعتر ليس فقط من المؤن وانما ايضا من السلاح والذخيرة .. وقد استمروا في امداد تل الزعتر باحتياجاته حتى بعد قيام عرفات ومن معه بإعادة تفجير الأزمة .. الى أن اختلق عرفات الظروف والذرائع ، وقال بملء فمه : « لا نريد السوريين » .. فكان يقول عمليا لا نريد من يمكن تل الزعتر من الصمود ..

وكأنما كان في كل ما يفعله ينتقم من القوى التي أنقذت تل الزعتر في كانون الثاني ١٩٧٦ .

فكيف أدار اليمين جريمته بهذا المنحى؟

٢٣-كيف هدر عرفات دماء الاف المقاتلين وهو ينتقل من شعار إلى شعار معاكس

متى بدأت رحلة الاتصالات مع الصهاينة تأخذ طابعاً علنياً ؟

كان شعار « الحسم العسكري » مغريا ... فخدع به الكثيرون ...

لكن قيادة اليمين كانت تعلم بكل تأكيد أنها كانت تطرح شعارا خادعا وأنها كانت عاجزة عن الحسم ... وأن غايتها لم تكن هي الحسم ...

لقد رد ياسر عرفات بنفسه على شعار الحسم العسكري الذي طرحه بعد آذار ١٩٧٦ ، وقاد الى مأساة تل الزعتر وإطالة أمد مأساة لبنان الى اليوم ، وذلك في الدورة ١٣ للمجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٧٧ في القاهرة ، فقال بالحرف الواحد :

« واحد تاني قال انه لولا الدبابات السورية لأصبحت لبنان دولة تقدمية - صح النوم - ما هذا ؟ المهم يا اخوان أن نفهم أنه كيف جاء لبنان .. لبنان حكمته اتفاقية سايكس بيكو .. لا يمكن السماح بتغييره ... ومن هنا اخواننا في الحركة الوطنية كانوا واعين لهذه النقطة في برنامجهم ، فلم يطالبوا الا باصلاحات ... باصلاحات راديكالية لا أكثر ولا أقل ... احنا بدنا نعمل اساتذة على كمال جنبلاط الله يرحمه وبدنا نعمل اساتذة على هؤلاء

اللبنانيين بكل جاهزية العقل فيهم ... لا لازم نعمل دولة العمال والفلاحين ... ليش هذا ؟! ما هو يا اخوان هذا ايش المقصود فيه ؟ المقصود فيه تحميل الثورة الفلسطينية حمل عشان يبرك الجمل ما يقدرش يمشي ... ما هذا المطلوب ... مطلوب أن الجمل ما يمشيش ... جمل المحامل ... هذا ... الثورة الفلسطينية ... حامل الصليب وماشي في طريق الجلجلة انه ما يمشيش ..... نحمله كل الاوزار حتى نزود عليه السهام ... نزود عليه الحرب ... هذا هيك بكل بساطة ... بكل بساطة ... بكل بساطة مش قادر يفهم إنه فيه أشياء خطيرة وهامة ولا يمكن السماح بها فييجي يحطها بظهر ايه ؟ الدبابات السورية » ...

هذا كلام ياسر عرفات أمام المجلس ... ولكن لماذا تصرف هو خلال عام ١٩٧٦ بعكس هذا الكلام ؟ وما معنى ما فعل غير أنه أراد واعيا تعريض المقاومة للدمار ؟! وتعريض لبنان للهلاك ؟! ونحن نطرح هذا السؤال مع غض النظر عن مناقشة رأي عرفات في حتمية الخضوع لاتفاق سايكس بيكو .

لقد خاض عرفات بعد انقلاب الأحدب الذي دبرته قيادته اليمينية حربا على اربعة محاور :

- معركة الفنادق في بيروت .
- مهاجمة الكحالة .
- مهاجمة المتن في جبل لبنان تحت شعار أن الطريق الى فلسطين يمر من جونيه .
- تفجير القتال على جبهة طرابلس -زغرتا .
- فماذا فعل عسكرياً على هذه الجبهات؟
- احتل منطقة الفنادق بعمق ٥٠٠ متر فقط ثم استحال عليه التقدم...
- تقدم في الجبل حتى عينطورة التي دفع الفين من الضحايا للاستيلاء عليها ، ثم عجز عن حسم معركة المروج - بولونيا والتقدم الى بكفيا - وخسر في أواسط نيسان ١٩٧٦ كلا من قريتي بيت شباب وظهور الشوير .
- قدم مئات الضحايا على جبهة الكحالة دون أن يستطيع التقدم شبرا واحدا ، وعجز عن تحقيق الاتصال مع تل الزعتر وجسر الباشا وكمب طراد

والنبعة وبرج حمود لانقاذها من الحصار لأنه شتت قواته في جبهات الهجوم الاخرى وخاصة باتجاه صنين بدلا من التركيز على انقاذ هذه المناطق المحاصرة .

ـ ظل عاجزا عن اقتحام زغرتا .

... ومع ذلك ، فقد ادعى أن السوريين تدخلوا لمنعه من حسم المعركة عسكريا ...

ولو رصدنا قصة ظروف التدخل السوري آنذاك لتبين لنا من أمر تآمر عرفات ما تشيب لهوله سود النواصي .

لقد تواجدت قوة سورية محدودة في المصنع يوم ٩ نيسان عام ١٩٧٦ .. بناء على الحاح عرفات في طلبها من أجل التدخل لوقف القتال في ظهور الشوير المهددة بالسقوط في أيدي الكتائب ... وحين تقدمت طليعتها يوم ١٤ نيسان لاستطلاع الموقف فوجئت بكمين لجماعة عرفات في ظهر البيدر يطلب منها التوقف والا اطلق عليها النار بناء على أوامر عرفات ... وفي ذلك اليوم سقطت ظهور الشوير في أيدي الكتائب ... أي أن عرفات اعترض النجدة السورية لظهور الشوير وساهم في اسقاطها باتفاق أبرمه مع الكتائب يقضي بأن ينسحب المسلحون الوطنيون من القرية وأن يسلموا أسلحتهم للكتائب .

عادت القوة السورية يومها الى المصنع وبقي السوريون يراقبون الموقف المتفاقم ويحاولون ايجاد حلول سياسية له كان أبرزها اتفاق ١٧ نيسان مع المقاومة والذي أبرم في دمشق ، والذي استمرت قيادة اليمين في خرقه الى أن اقترفت جريمتها الأعظم يوم ٦ حزيران ١٩٧٦ . بعد قيام السوريين برفع الحصار عن عندقت والقبيات .

ماذا حدث في ذلك اليوم ؟

من المهم أن نقف عند تفاصيل ذلك اليوم بالذات ، كواحد من أكثر الأيام سوادا في تاريخ قيادة اليمين .

يقول محمود عباس (ابو مازن) عضو قيادة اليمين في تبرير الاعتداء المباغت على الصاعقة وجيش التحرير والبعثيين والناصريين والقوة السورية الموجودة في بيروت يوم ٦ حزيران ١٩٧٦ « لو لم نتخلص

من هؤلاء الانصار والجماعات السورية لكانوا عقارب في قلوبنا يستطيعون القضاء علينا في الوقت المناسب » .

ويضيف « ان قوات الامن الخاصة بالحركة هي التي بدأت بتصفية هذه الجيوب في بيروت » ...

ويبدي أبو مازن أسفه لان مهمة الاجهاز على فصائل المقاومة والقوى الوطنية المؤيدة لسورية لم تتحمل سوى ساعات فيقول « هذا يعني مع الأسف أن السوريين كانوا يعتمدون على مجموعة من الناس لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقاتلوا الشعب الفلسطيني أو الشعب اللبناني » (!) وهذا مزعج لقيادة اليمين !! ويضيف معترفا « حين يقول السوريون أننا نحن الذين بدانا القتال ونحن الذين اعتدينا على قواتهم وأنصارهم فإنه قد يكون هذا صحيحا من الناحية النظرية ، ولكنه بالنسبة لنا كان هجوما من أجل الدفاع عن أنفسنا » !!

حين تقدم السوريون بعد ذلك الى صيدا وبيروت ، كانوا يتقدمون لوقف حمام الدم اليميني الموجه لرفاق السلاح الفلسطينيين واللبنانيين ، ومرة اخرى كانت قيادة اليمين جاهزة لاثارة الاقتتال مع السوريين وملء الدنيا بالضجيج مطالبة بوقف تقدم القوات السورية وبابدال الدور السوري في لبنان بدور جامعة الدول العربية . وكانت تطلب هذا وهي موقنة من اختلال مواقعها أمام القوات الانعزالية في جميع محاور القتال . وبأن التدخل السوري هو مركب الانقاذ الوحيد .

أما السر الكامن وراء هذه الجريمة التي قادت الى مأساة تل الزعتر ، فقد كشفه في ذلك الحين تصريحان أحدهما صدر عن صلاح خلف (ابو اياد) والثاني عن الطرف الاسرائيلي في معادلة الاتصالات الفلسطينية - الاسرائيلية التي سيبدأ افتضاح أمرها منذ ذلك الحين .

ففي يوم ١٩٧٦/٦/١٦ ، نقلت وكالة الأنباء الفرنسية خبرا من طرابلس قالت فيه أن أبو اياد ادلى بحديث مطول الى صحيفة ليبراسيون اليسارية قال فيه : « ان الهدف السوري هو تحجيم المقاومة الفلسطينية

لتحقيق الخطة الامريكية بانشاء اتحاد سوري اردني فلسطيني » (!) وان أطماعه قد لا تصل الى حد ضم لبنان ولكن سحبه تحت مظلته » !

وفي يوم ١٩٧٦/٦/٢٤ ، نقلت وكالة الأنباء الفرنسية من القدس نبأ قالت فيه ان مجلس السلام الاسرائيلي - الفلسطيني اصدر بيانا « يعارض فيه أية موافقة حتى ولو كانت غير مباشرة على مشروع سوريا الكبرى » .

وقال البيان أن المجلس يرى أن « غزو سورية للبنان لن يؤدي بأي حال من الأحوال الى أي تقدم في قضية السلام بين اسرائيل والعرب ، وأعرب عن أمانيه « في أن يكون للفلسطينيين دولة مستقلة تعيش الى جانب اسرائيل في اطار الاعتراف المتبادل وفي ظل التعايش السلمي » * .

لقد كان ابو إياد بتصريحه يجلس الحلة كما يقولون .... ووضع الصهاينة لها الغطاء ... وحقق ياسر عرفات غايته في رفع الحماية السورية عن تل الزعتر ، واعفاء السوريين من المهمة الأمنية المباشرة في بيروت . فجاء صدى انطباق الغطاء على الحلة على تهيئة الأرض للمأساة نعيبا اطلقه أبو إياد يوم ١٩٧٦/٦/٢٧ . لقد انسحب السوريون من تل الزعتر وجسر الباشا والكرنتينا والمسلخ بناء على طلب واصرار من عرفات وبدأ الهجوم الانعزالي على هذه المناطق . فاذا بهم يلمحون بمسؤولية السوريين عن الهجوم ... اذ أنه يبدو أنه كان على السوريين أن يرفضوا التخلي عن مهمتهم في بيروت ويقبلوا بقتل قواتهم هناك على أيدي العناصر الحاقدة التي عبأها اليمين المتآمر دون أن يتاح لهم تعزيزها بالنجدة وأن يعارضوا قرار الجامعة العربية بناء على طلب عرفات باحلال دورها محل الدور السوري .

ولم يكن للسوريين هناك جيشا بل ضباطا في لجنة أمنية مشتركة يراقبون الوضع .

ان قيادة اليمين تلاحق السوريين بالاتهامات والكذب سواء أقدموا أو أحجموا ... قبلوا برغبات عرفات أو رفضوا تلك الرغبات ، لكنها لا تريد أن تتحمل مسؤوليتها في انقاذ تل الزعتر بعد أن بات السوريون بعيدين عن بيروت ومخيماتها، بينما يقع تل الزعتر على مقربة من مقرات عرفات ، فتسفح

أمام كاليري سمعان دماء المئات من مقاتلي حركات التحرر الوطني في العالم في عمليات استنزاف مقصودة لهم تاركة تل الزعتر لمصيره .

ان الذين بشروا بالحسم العسكري وبقدرتهم عليه ولاموا سوريا لأنها تدعو لوقف الاقتتال كانوا بعد خمسة أيام فقط من بدء الهجوم الانعزالي على المخيم يظهرون بمظهر العجز عن عمل شيء . لقد سقط جسر الباشا ، وطلبت منهم القيادة العسكرية المحاصرة لتل الزعتر يوم ١٩٧٦/٧/٢ الموافقة على اخلاء المخيم ، فكان جوابهم « ليدخلوا المخيم اذا استطاعوا وليقتلوا ما فيه من أطفال ونساء ورجال كما فعلوا في جسر الباشا » . أما ابو الاديب (سليم الزعنون) فقال أنه لا يهم أن يسقط مخيم تل الزعتر فالكوادر السرية لفتح تتجاوز بكثير الكوادر المعلنة ، وان فتح تعلن « عدم مسؤوليتها ابتداء من اليوم عن العمليات الانتحارية والأعمال الانتقامية التي سيقوم بها فلسطينيون فرادى أو جماعات » ! .

ما كان يشغل عرفات وجماعته هو ما كشف عنه ريمون اده يوم ١٩٧٦/٧/١٠ » أي السرقات وما أثارته من استياء شعبي ، أما انقاذ تل الزعتر فلم يكن هدفاً . ان ياسر عرفات الذي عض اليد السورية يوم ١٩٧٦/٤/١٤ حين لبته لنجدة ظهور الشوير وقام بتسليم ظهور الشوير للكتائب هو القائد الذي رفض طلب النجدة السورية لتل الزعتر ، كما رفض عقد أي اتفاق مع الكتائب لانقاذ أهالي تل الزعتر على غرار ما فعل في ظهور الشوير ، وحين اتفق الأهالي مباشرة مع الكتائب اعطى الأوامر لكل مدفعيته في بيروت والجبل لاطلاق النار على المخيم من جميع الاتجاهات « لتأخير احتلال الكتائب له بضع ساعات » والاصح بهدف منع خروج أحياء من المخيم يشهدون على الجريمة . وقد خرجت اذاعاته يوم سقوط المخيم تفاخر بهذه الجريمة .

لقد كان كل هم قيادة اليمين أن يجزر المخيم ... وكان كل همهم استثمار جزره في الاساءة لسوريا وإستدرار عطف دول العالم لاشراكهم في التسوية الموعودة ، وليكون بوسعهم المشاركة في هذه التسوية رغم معارضة سوريا .

وقد أدرك أهالي تل الزعتر الذين نجوا من المجزرة هذه الحقيقة ،

فقرروا تنظيم مسيرة شاملة الى دمشق يعلنون فيها براءة سوريا من الاتهامات التي وجهتها قيادة اليمين لها .... عندئذ سارعت قيادة اليمين للبحث عن مخرج ... وفكرت على النحو الذي كشفه هاني الحسن أمام المجلس الوطني « اجبار اسرائيل على احتلال الجنوب » !!

ويبدو أنهم فكروا عام ١٩٨٢ ، على النحو ذاته : هزيمة جديدة تقود الى مزيد من العطف والى التسوية !! وهذا ما أكده قادة الانتفاضة في مجمل ما أوردوه من معلومات حول ما دار في اللجنة المركزية لفتح من حوار قبل الغزو الاسرائيلي للبنان ، والأسلوب الذي اعتمده عرفات في مواجهة هذا الغزو .

★ كان هذا أول تصريح يصدر عن المجلس الصهيوني الزاعم للرغبة في السلام، وانطباقه مع تصريح (أبو إياد) يدل على وجود اتفاق مسبق بين الجانبين على اطلاق تصريحين متماثلين بهذا الشأن كتدشين لحركة الاتصال التي استمرت بينهما بعد ذلك.

٢٤ ـ ملاحظات بالجملة على هامش أزمة صيف ١٩٧٦

لقد حاولنا فيما أوردناه حول دور قيادة اليمين الفلسطيني فيما يتصل بوقائع الأزمة اللبنانية عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ان نوجز الى اقصى الحدود ، وأن نقف فقط عند النقاط الرئيسية الجديرة بالاهتمام فيما يتصل بتطور الأحداث ... على أن ما أوردناه لا يكفي في حقيقة الأمر لاستجلاء حقيقة القضايا المتعددة الخطيرة التي برزت من خلال اثارة الأزمة اللبنانية ، ومحاولة تحويل هذه الأزمة الى حرب أهلية طائفية ، بل ان هناك مسائل عديدة جرت أو جرت محاولة تحقيقها على هامش الدور اليميني في أزمة لبنان ... والواقع أنه لم يجر في الماضي تركيز الضوء بشكل مكثف على هذه القضايا ، لذا ظلت تبدو هامشية أو غائبة عن البال رغم أهميتها البالغة ...

لقد أشرنا في مقالنا السابق الى نقطة واحدة من هذه النقاط ، باشارة عابرة ، ونقصد ما حدث على مذبح كاليري سمعان من استنزاف مقصود لمقاتلي حركات التحرر العربية والعالمية . كثير من المناضلين الصوماليين واليمنيين والعمانيين والارتيريين والأتراك والتونسيين وغيرهم جرى استنزافهم بشكل مخطط ، ضمن محور محدد هو كاليري سمعان ...

ومن ثم فان ما حدث في بيروت عام ١٩٧٦ أضعف كل هذه الحركات ، وشكل ضربة لها ، وكأن المخابرات المركزية الأمريكية أوجدت لها عند كاليري سمعان مصيدة مدروسة ، واستدرجتها الى هناك من خلال قيادة اليمين الفلسطيني ...

ان المعطيات المتوفرة لدينا حول هذه القضية محدودة ، لكننا واثقون من أنه سيأتي اليوم الذي تكشف فيه هذه الحركات عن ملابسات الخديعة ووقائع ما جرى بشيء من التفصيل ... وعندئذ سنكون أمام صورة مرعبة لمؤامرة عالمية الابعاد ...

ومن المهم ونحن نطرح هذه النقطة أن نشير بالمقابل الى أن قيادة اليمين قد حرصت طوال الوقت على تأمين « الحماية الممتازة » للسفارة الامريكية في بيروت ، والخدمة الممتازة لهذه السفارة ، فكانت العناصر التابعة لجهاز الامن الذي يقوده صلاح خلف « ابو اياد »تتولى بانتظام تامين نقل الحقيبة الدبلوماسية من السفارة الأمريكية الى مطار بيروت لتصل الى واشنطن في الحفظ والصون !! والبعض يفسرون هذا على أنه كان غزلا من أجل نيل رضى امريكا لاشراكهم في محادثات التسوية ! ربما كان هذا هو الدافع ! ولكن لو سلمنا جدلا بهذا التفسير ، فما هي حدود الغزل الممكنة ؟!!

هل كان ما جرى على مذبح كاليري سمعان جزء من حملة الغزل هذه أم كان شيئا منفصلا عنه ؟! مما لا شك فيه أن الجرة المشعورة هي جرة مشعورة ، لا يصلح أمرها مهما بذلنا من جهد لاصلاح حالها ، وقيادة اليمين كالجرة المشعورة ، قد نفكر تحت تأثير علاقاتنا العاطفية معها بحكم تجربة العمل المشترك الطويلة أن نبحث عن مبرر لنخرجها من تحت الدلف ، لنكتشف أنها تقف تحت المزراب !! وهذا ما حدث معنا على مدى سنوات وسنوات وسنوات ! وهذا ما حدث مع غيرنا ايضا !!

لقد أعادت إعادة التفجير لأزمة لبنان عام ١٩٧٦ لقيادة اليمين فرصة تاريخية هائلة ... فكثير من القوى « الطيبة » التي اساءت فهم الموقف السوري في ذلك الحين تحت تأثير اعتبارات متعددة ، أو كانت لا تزال لديها بعض الرواسب المتخلفة عن تجارب تاريخية سابقة ، وضعت

نفسها الى جانب ياسر عرفات في وضعية تحالف فهل كانت قيادة اليمين وفية لهؤلاء الحلفاء أم كانت تخطط للغدر بهم ؟!

الواقع انها كانت تخطط للغدر بهم ، وهذا ما فهمته دمشق منذ البداية وهذا ما اكتشفوه هم متأخرين بعض الشيء ... لذا فان ما توهمته قيادة اليمين من أنه مناورة تكتيكية حققت النجاح في الايقاع بين دمشق وتلك القوى ، بينما سارعت هي في اللحظة المناسبة إلى ما تصورته «استعادة مكانتها» لدى دمشق على حساب تلك القوى ، كان سرابا خادعا ...

لا نريد الخوض في تفاصيل هذه المسألة ، فهي تتصل بقوى كثيرة بات الان يضمها التحالف النضالي السوري ـ الفلسطيني ـ اللبناني ، بينما باتت قيادة اليمين منبوذة مدانة من هذا التحالف الواسع ، العريض ... لكننا سنكتفي بمثالين :

الاول ، حول قوى الرفض داخل حركة فتح ...

والثاني ، الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان ...

لقد كان على قوى الرفض داخل حركة فتح أن تمر بتجربة طويلة ومريرة قبل أن تكتشف أن التصورات التي تبني عليها سياستها تجاه التطورات هي تصورات خاطئة ... لقد اعتقدت لسنوات عديدة أن دمشق سائرة في منهج التسوية ، واعتقدت لسنوات عديدة أن بغداد تناوىء التسوية ... بينما كان اليمين يعي تماما أن الأمور هي بعكس هذا التصور ... لذا فان ما اعتقده « الرفض » في فتح فرصة للتواجد وتعزيز المواقع على الأرض اللبنانية كان بالنسبة لقيادة اليمين فخا باتجاهين : الايقاع بين « رفض » فتح وسورية من جهة والاجهاز على « الرفض » من جهة ثانية ...

ان الادراك السوري المسبق لحقيقة ما يجري قاد الى تحويل الوقيعة الى وصل ! اذ بينما انتهز عرفات أول فرصة مواتية لينفذ في كوادر الرفض المتواجدة على الأرض اللبنانية والتي تمكن من معرفتها حكم الاعدام ! وتلك هي باختصار شديد قصة ما حدث مع حركة فتح ـ المجلس الثوري ، فإن قيادة اليمين وجدت نفسها بعد ذلك مضطرة لدفع ثمن هذه الخديعة ، وثمن خروجها على مبادىء حركة فتح .

وهكذا فشل اليمين في الايقاع بين سورية وبين قوى الرفض داخل فتح ... وسر ذلك بطبيعة الحال أن سورية تصرفت عن وعي وحكمة ، وبمرونة غير محدودة في تفهم الدوافع الحقيقية وراء موقف مختلف القوى ، ولم تسمح للانفعال أن يتحكم بقراراتها . فتحملت الضيم ، وصبرت على الاذى ، في سبيل أن تصل الى القلوب التي هي موقنة أنها قلوب بيضاء ، وأن اخطاءها هي نتاج تصورات قابلة للتعديل من خلال التجربة ! وتلك هي عظمة سياسة المناضل حافظ الأسد ...

أما بالنسبة للمثال الثاني ، فانه خلافا لما يعتقده الكثيرون حتى هذه اللحظة عن موقف قيادة عرفات من الحزب التقدمي الاشتراكي ودعمه لبعض الوقت ، فان الرفاق في الحزب التقدمي الاشتراكي يعرفون عكس هذا الاعتقاد تماما ... لقد كانت دمشق هي مصدر دعمهم الأساسي ... أما قيادة اليمين العرفاتي المناورة فيكفي أن نورد بصدد أسلوب تعاملها مع الشهيد كمال جنبلاط واقعة واحدة تعرفها كل القوى الوطنية اللبنانية ، ليكون بوسعنا أن ندرك حقا ماذا كان وراء الأكمة العرفاتية ...

والواقعة تقول ان الجماهيرية الليبية قامت بارسال شحنة من الآسلحة الى السيد كمال جنبلاط على سفينة حطت في مرفأ صيدا حيث تهيمن على المرفأ جماعة عرفات ... وذهب كمال جنبلاط ـ رحمه الله ـ الى عرفات يطلب تسليمه السلاح المرسل اليه ... وقال عرفات : طبعا يا كمال بك ... نحن جاهزون ... لكن أنت تعرف الروتين ... رجاء أن توقع لي ايصالا بالاستلام لأعطي تعليماتي الى الاخوة في المرفأ بتسليمكم السلاح ... فالليبيون سيطالبونني بهذا الاثبات ... وتناول كمال جنبلاط ورقة ووقع وصل استلام وناوله الى « القائد العام » ياسر عرفات ... لكن المسؤلين في المرفأ لم يسلموا جنبلاط السلاح ... فعاد الى عرفات بعد حين يذكره بالموضوع ... وهنا ... ماذا تتصورون جواب عرفات ؟! يمكنكم أن تتصوروا كل شيء إلا أن يجيبه بالقول : « جرى ايه يا كمال بيه ... ده انا معايا وصل باستلامك السلاح » !

بعد ذكر هذه الواقعة ، يمكننا أن نعفي القارىء من اجتهاداتنا وأن ندعه لاجتهاداته ، فعلاقة تديرها قيادة اليمين الفلسطيني على هذا النحو

ومع رجل مثل كمال جنبلاط ، وبحجم كمال جنبلاط ، تكفي لتتكلم من تلقاء ذاتها عن الكثير الكثير ...

... ونقفز من هذه الدائرة الى دائرة اخرى عامدين متعمدين ... ونتساءل : هل كانت قيادة اليمين بحجم افتعال الصدام المسلح مع سورية واشاعة الأكاذيب حول حجمه على نحو خارق للتصور أم أنها فعلت ذلك لغرض في نفس يعقوب !؟

واقع الأمر أن قيادة اليمين فعلت ما فعلت عام ١٩٧٦ في لبنان ، وغايتها الحقيقية ليست في لبنان ... أو على الأقل ليست كلها في لبنان .

كانت غايتها أن تضع الفلسطينيين في سورية في موضع لا يحسدون عليه !!

كانت تريد للفلسطينيين المقيمين في سورية أن ينتقلوا فجأة من العز والأمان الى المذبحة !

وقبل أن نستطرد في الحديث عن هذه النقطة البالغة الخطورة ، دعونا نستعيد من الأرشيف بعض ما ادعوه .

نطالع صحيفة « الوطن » الكويتية - مثلا - في عددها الصادر يوم ٢٧ حزيران ١٩٧٦ ، فنطالع فيها خبرا يقول : « ان اعدادا من رجال الأمن السوريين يحاصرون مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سورية وبصفة خاصة مخيم اليرموك الذي يقع بالقرب من دمشق والذي لا يزال محاصرا بأكثر من اربعمائة مركبة عسكرية (!) . ويقال أن السوريين دخلوا منازل الفلسطينيين في المخيم وقاموا باستجواب المقيمين بها عن مدى تعاطفهم مع فتح ... وأضافت الصحيفة أن هناك حملة اعتقالات كبيرة تجري ضد الشباب الفلسطيني في المخيمات والشوارع والمقاهي في سورية ، وأن كل شخص يملك صورة لياسر عرفات في المخيم يتم القاء القبض عليه فورا (!) .

هذا نموذج واحد من بين مئات النماذج لأخبار كاذبة ملفقة راحوا يروجونها في ذلك الحين ، وغايتها أن يخلقوا فتنة في مخيمات عرب فلسطين في سورية لتكتمل حملة اثارة الفتن فلا يسلم منها مخيم !!

لكنهم فشلوا في تحقيق ما أرادوه رغم كل ما بذلوه من محاولات في هذا الاتجاه ...

وكان لفشلهم سببان :

ـ أسلوب المعالجة السورية للموقف حيث تم تفادي اثارة أي احتكاك ...

ـ ووعي الفلسطينيين المقيمين في سورية ، وخاصة جيل الاباء الذين عاشوا في فلسطين وكان نشيدهم اليومي « انت سورية بلادي » وجاؤوا الى سورية فوجدوا أن هذا النشيد حقيقة وليس مجرد حلم ...

لكن خوفنا في ذلك الحين من النتائج التي يمكن أن يخلقها تأثير قيادة اليمين على عقلية بعض عناصر الجيل الشاب حيث حاولت غرس النزعة الاقليمية وتعميقها ، جعلنا وفي مقدمتنا الرفيق سامي العطاري والرفيق الشهيد زهير محسن نفكر في ضرورة التحرك لتفادي الكارثة التي يخطط لها اليمين ... فجرى تنظيم سلسلة لقاءات جماهيرية موسعة تم فيها تبادل الرأي مع أبناء شعبنا المقيمين في سورية ، واجتمعت اراء الجميع على ضرورة عقد مؤتمر وطني فلسطيني موسع يواجه عبث قيادة اليمين ، وتم الترتيب لعقد مثل هذا المؤتمر ... وما أن علمت قيادة اليمين بهذه الخطوة حتى انخلعت قلوب أركانها ، فركضوا الى دمشق معلنين عن تخليهم عن منهجهم التدميري لتفادي هذه الخطوة ، محاولين القاء مسؤولية ما حدث على سواهم ...

لقد تعددت بعد ذلك محاولات اليمين لخلق الفتنة في مخيمات شعبنا في سورية ، لكنها دائما كانت تمنى بالفشل ... وهذا ما جعل قيادة اليمين تشيع بعد ذلك القول أن كل فلسطيني مقيم في سورية هو سوري عمليا ... وأن كل الفصائل التي اختارت دمشق مقرا لها ، وهي جميع الفصائل ، باستثناء جماعة اليمين وجبهة التحرير العربية ، هم سوريون ...

نقاط اخرى عديدة تستوجب التوقف عندها على هامش تلك المرحلة ...

من هذه النقاط ـ وربما أخطرها ـ مدى مسؤولية اليمين عن تمرير « دولة سعد حداد » في جنوب لبنان بعد تمرير « سياسة الجدار الطيب » !

ان الحديث عن هذه المسألة يبدو واحدا من الاتهامات القاسية ، والبالغة القسوة التي يمكن أن توجه لقيادة اليمين ... وللناس بطبيعة الحال أن تفسر النتائج السيئة لبعض السياسات والممارسات بأنها نجمت عن قصر في النظر ، أو أن تذهب في الشك الى أبعد من ذلك ... ولكن أيا كان التفسير فنحن أمام حقائق معينة تجعلنا نتهم اليمين الفلسطيني بأنه يتحمل مسؤولية كبيرة في هذه المسألة ... ولا نقول انه صنعها عامدا متعمدا .

لقد عجز الصهاينة تماما حتى اواخر ١٩٧٦ ، عن تنفيذ سياستهم بصدد جنوب لبنان ... وكان أول خبر ينذر بالكارثة قد أذاعه راديو العدو باللغة العبرية يوم ١٩٧٦/٤/٢١ ، الساعة - ٢٤،٠٠ ليلا . يقول الخبر حرفيا « ذكر مراسل رويتر من القرية المسيحية القليعة أن النساء والأطفال غادروا اليوم القرية بعد معركة ليلية بين جنود الملازم أول أحمد الخطيب وبين محاربين آخرين لم تعرف هويتهم بعد . وقد نشبت هذه المعارك بعد أن حاول رجال « الصاعقة » انشاء مواقع لهم بين القرية وبين مرجعيون ... وقد أطلق رجال الخطيب ثلاثين قذيفة على القرية ، فقتل ستة مدنيين » !

والخبر واضح ...

كانت قرية القليعة حتى تلك الليلة قرية خارج الصراع ... وفجأة اكتشفت أنها أمام تنازع ارادتين :

- إرادة شراذم موجهة وممولة من قيادة اليمين بأن تخضع لها وأن ينضم العسكريون من أبنائها إلى قواتها ... وإلا فالقصف المدفعي عليها ...

- ارادة من لم يلتحق بشراذم عرفات من ضباط وعناصر الموقع الكائن قرب القليعة ومعظمهم من ابناء القرية ، الذين هجروا موقعهم بعد تفتيت الجيش وعادوا الى بيوتهم ، في أن يتركوا الجيش ليعيشوا في بيوتهم بسلام .

وكان ما حدث ليلة ٢١ نيسان هو أول الغيث ...

لقد عمدت قيادة اليمين ومن معها بعد ذلك الى محاصرة قرية القليعة ... وهكذا واجهت القرية مشكلتين : التزود بالغذاء ومعالجة الجرحى الذين يسقطون من جراء القصف .

ثم عمدت قيادة اليمين الى أخذ مختار القرية كرهينة .

وكانت المحصلة أن استطاع ضابط مثل سعد حداد أن يجد من يتجاوبون معه ليحملوا السلاح ويفتحوا خط التعامل مع العدو عبر « الجدار الطيب » غذاء - علاج - ثم عمالة مكشوفة ... فدولة !!

فمن يكون المسؤول عن هذه الظاهرة ؟

ولنلاحظ أن قيادة اليمين بعد ان اتفق على عودة الصاعقة الى لبنان (اواخر ١٩٧٦) ظلت على اصرارها : رفض دخول الصاعقة والقوات المؤيدة لسورية المنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني ... وهكذا سهلت بشكل أو بآخر عملية توسع « دولة سعد حداد » وخلفه « انطوان لحد » في الجنوب وقد سقط بسبب هذا المنهج أو هذه الخطة ضحايا من المقاتلين الفلسطينيين ، حيث عمدت قيادة اليمين الى التصدي بالقوة لتواجد القوات المؤيدة لسورية في جنوب لبنان ... وكأنها كانت تنفذ بذلك التزاما أو تهيىء لتنفيذ التزام سري ما ، أو أنها لم تفكر في الخطر الذي يتهدد الجنوب !

ألا تستدعي مثل هذه الوقائع الكثير من التفكير العميق واستقصاء الحقائق لمعرفة الخلفيات الكامنة وراءها ؟!

وحتى إذا لم يكن هناك سوء نية ، فهل يجوز لقيادة ترتكب أخطاء فادحة من هذا القبيل ألا تحاسب على اخطائها ؟!

٢٥ - في الدورة الـ ١٣ للمجلس الوطني عرفات في دور القاضي ومحامي الدفاع
نموذج من الأسلوب العرفاتي في تبرير السياسات الخاطئة
عرفات يصف من يصطدم بسوريا سياسياً وعسكرياً بأنه «مجنون» و «خائن»

كان يفترض في المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة عشرة التي انعقدت في القاهرة عام ١٩٧٧ أن يحاسب قيادة عرفات على اخطائها أو ما فعلته في أزمة لبنان وما سال من جرائه من دماء .. وقد ارتفعت بعض الأصوات ومنها صوت فاروق الحسيني تتساءل : « لماذا جرى التفريط بكل تلك الدماء ومن المسؤول ؟ ... ومع ذلك فقد استحالت المحاسبة ، وتبدّد السؤال .. ليس هذا فقط ، بل إن قوى الرفض وجدت نفسها متهمة من قبل ياسر عرفات بأنها هي التي فرضت عليه ما حدث !!

لقد تقمّص عرفات في تلك الدورة ثوب المحامي عن سوريا أولاً ، وعن نفسه ثانيا ! وبات رفاقه في فتح وأطراف جبهة الرفض جميعاً متهمين ! والطرف الوحيد الذي لم ينله الاتهام- رغم أن التعبئة السابقة كانت تقتضي إبعاده من المجلس الوطني والمنظمة - هي منظمة الصاعقة !!

كيف حدث هذا ؟!

من الطريف أن نضع القارىء في صورة الأسلوب العرفاتي في الخطابة والاقناع ، حيث يستدير عرفات استدارة كاملة ، وبحنكة حقيقية ،

ليبرّر المستجدّ المفاجىء في سياسته ، وينتزع التصفيق .. وتلك إحدى سمات الرجل التي لا نستطيع إنكارها عليه .

لقد كان هدف عرفات في تلك الدورة ليس إرضاء السوريين أو إرضاء الصاعقة ، وإن بدا من خطابه أن تلك غايته ، بل كانت الغاية أولا أن يمهد لتمرير نهجه السياسي باعتبار أن ما يريده هو السير في نهج التسوية السياسية متوافقاً مع السادات متجاوزا كل العقبات ! وجاءت واقعة اغتيال الشهيد كمال جنبلاط لتمنحه الجوّ الملائم لتمرير ما يريد ..

فكيف تحدث عرفات ؟

أشاع أولًا في صدور مستمعيه جواً من الطمأنينة .. فقد بدأ بالحديث عن سرّ البلاء .. أمريكا .. ومن يخالف عرفات في أنّ امريكا هي سرّ البلاء ؟! هو إذن يقف مع الآخرين جميعاً على أرضية واحدة .. هذا هو الانطباع الأول ..

وفي معرض الحديث عن سرّ البلاء قال عرفات :

« بعد مؤتمر الرياض أنا رحت أزور تيتو .. أيوه .. معي بعض إخواني في اللجنة التنفيذية .. كانوا معاي .. وسمعوا ما سمعت من تيتو ومسجل في محاضر جلسات رسمية . تيتو شو قال؟ قال: قبل ما تيجوا لي كان عندي كيسنجر بثلاثة أيام ، وكيسنجر قال وأحب أبلغكم هذا الكلام حتى تأخذوا احتياطاتكم إنه قرارات الرباط لخبطت له المعادلة كلها في الشرق الأوسط » .

واستنتج عرفات أن هذا الكلام يعني أنه بدأت المؤامرة الأمريكية الجديدة في المنطقة .

فماذا فعل لمواجهة المؤامرة ؟

أبلغ المسؤولين العرب بهذا الكلام !!

بعد هذا التمهيد انتقل ابو عمار الى الحديث عن لبنان .. عن كرم ضيافة اللبنانيين للثورة الفلسطينية .. كيف فتحوا للثورة حدودهم ، وكيف رافقه الرئيس سليمان فرنجية الى الأمم المتحدة . ولكن .. قال ابو عمار مستطرداً « لما رجعت أنا من عند تيتو قلت ستبدأ العمليات خدوا بالكم » ! وانطلق فجأة ليرد على فاروق الحسيني الذي حمّله مسؤولية الدم المراق

بالقول إنه كان في موقف دفاع ! « إحنا دافعنا عنكم .. عن شعبنا .. عن أنفسنا » . والدليل أن المؤامرة بدأت باغتيال معروف سعد .. وتلك كانت الجولة الاولى .. الجولة الثانية قد تبدأ الآن باغتيال كمال جنبلاط .. ومن ثم يجب انهاء جلسات المجلس الوطني بسرعة لمواجهة الخطر !!

طبعاً لا يوجد طفل في مدرسة ابتدائية يمكن أن يقبل بمثل هذه الصيغة من صيغ التفسير التي تفتقر الى الترابط كلياً .. ومع ذلك ، فإن عرفات قد فسَّر وبرَّر الدم الغزير المراق بهذا الكلام .. « الكرم اللبناني .. تهديد كيسنجر .. أنا حذرت .. أنا دافعت » .

وحتى لا ينتبه أحد إلى ضعف الربط بين هذه العناصر ، قفز أبو عمار فوراً للحديث عن حرب تشرين .. حرب رمضان ..

قال إن ركائز حرب رمضان كانت ثلاثة : المصرية والسورية والفلسطينية ! وحمل على الأردن .. ثم عاد إلى لبنان ليتحدث عن مطالبته هو - البريء - لمن كانوا ينزلون - المقصود يرفعون وينشرون - اللافتات الحمراء والصفراء والبيضاء لتشتم القوات السورية ، فكان يطلب منهم أن يشتموه هو وألَّا يشتموا القوات السورية !!

فكل من شتموا القوات السورية عام ١٩٧٦ باتوا في حكمه متهمين ، وهو - أبو عمار - البريء !! ضربة صاعقة بلا شك !! وهو ليس بالبريء فقط بل الضحية .. فحين ذهب الى الرياض شتموه !! وهكذا فهو والسوريون سواء !! وكان جوابه « أنا لو ما رحتش الرياض ما كانش اللي شتمني قدر يشتمني لأنه ما كانش حيكون له مكان يشتم منه » . وهكذا ففضله يغمر الجميع !

ولنتوقف هنا ..

المقصود بذهابه إلى الرياض هي القمة المصغرة التي عقدت في الرياض لمعالجة الأزمة اللبناية والتي حضرها السادات .. وهي بالذات القمة التي دعا خالد الحسن في شباط ١٩٧٦ الى عقدها - كما سبق أن ذكرنا - قائلًا إن عدم عقدها سيعرض المقاومة في لبنان إلى مجزرة ..

ومعروف أن القطيعة كانت قد وقعت بين سوريا والسادات بعد توقيع السادات اتفاقية سيناء الثانية (أيلول ١٩٧٥) .

هل نحتاج حقاً الى شحذ تفكيرنا لنفهم معنى هذا الكلام ؟
إن الصورة أكثر من واضحة ..
والصورة الأكثر من واضحة تقول : إن قيادة اليمين كانت متواطئة مع السادات في خطته للتسوية الجزئية المنفردة .. وأرادت أن تطوق المعارضة السورية للسادات لاعطاء السادات فرصة التهيئة للخطوة اللاحقة - كامب ديفيد - فكانت دعوة خالد الحسن لعقد القمة الثلاثية (شباط ١٩٧٦) وإلَّا فالمقاومة ستتعرض لمجزرة ! ولم تكن المجزرة إلَّا مؤامرة تواطأت فيها قيادة اليمين لتوريط المقاومة في معركة استنزاف قاتلة في لبنان بهدف الضغط على سوريا من خلال افتعال وادعاء الصدام السوري - الفلسطيني بعد استدعاء السوريين للنجدة (!) . وظلت قيادة اليمين عند موقفها المكابر هذا مضحِّية بمصير تل الزعتر حتى عقدت قمة الرياض .. وعندئذ وضع المحاربون العرفاتيون السلاح أرضاً وتحولوا الى أصدقاء لسوريا من جديد (!) . وبات دعاة الرفض هم الملومون (!)

عبثٌ ما بعده عبثْ

وعرفات يملك التفسير الفهلوي لهذا العبث .. فيقول لأعضاء المجلس الوطني « يجب أن نفهم أن كيسنجر أراد أن يحطم المعادلة التي كانت قائمة في منطقة الشرق الأوسط ، وهو هذا التحالف الثالوثي المصري السوري الفلسطيني . نجح أول ما نجح في تفرقة مصر عن سوريا وفلسطين ، ثم نجح بعد ذلك في تفرقة سوريا عن فلسطين . أول زاح مصر ثم زاح سوريا ثم زاح فلسطين . وتفتت المنطقة العربية » (!) .
مرة اخرى نحن أمام منطق فيه استخفاف مطلق بالعقل البشري ..
من بين النكات السياسية الشائعة في المنطقة العربية عبارة يستخدمها الناس للسخرية من المنطق التبريري الهروبي هي عبارة « كل الحق عالأمريكان » .. وهنا يقدم عرفات تطبيقاً تاماً لهذه النكتة .. كل الحق عالأمريكان .. مصر وسوريا وفلسطين أحجار في لعبة شطرنج أزاحها الأمريكان واحدة بعد اخرى عن بعضها البعض .. وأثناء إزاحتها سال الدم ..

والعبقري ياسر عرفات نجح في إعادتها الى جانب بعضها البعض رغم أنف الأمريكان ! فالسادات ليس مسؤولا عن توقيع اتفاقية سيناء الثانية .. ولا أحد من الجانبين الفلسطيني والسوري مسؤول عن الصدام في لبنان .. كيسنجر هو الذي عمل مباشرة ضد نجاح المبادرة السورية في كانون الثاني ١٩٧٦ !! وهو الذي طرح شعار الحسم العسكري !! وهو الذي رفع شعار أن الطريق الى فلسطين يمرّ من جونيه !! وهو الذي هاجم مقرات الصاعقة وجيش التحرير والبعثيين والناصريين والقوات السورية في بيروت في حزيران ١٩٧٦ !

كيسنجر هو الذي فعل كل هذا ليضرب التحالف الثالوثي !

حسنا صدقنا .. ولكن بأية أدوات فعل كيسنجر هذا ؟

في المرّة الأولى ضرب السادات على يده وقال له « وقّع اتفاقية سيناء الثانية .. فوقع » . أيكون السادات ملوماً لأنه وقّع بعد أن ضرب على يده ؟

في المرة الثانية ضرب ياسر عرفات على يده وقال له « احسم معركة الرئاسة » و « احسم عسكرياً » و « حارب جونيه لتصل الى فلسطين » .. فهل يكون عرفات ملوماً لأنه نفذ هذه الأوامر بعد أن ضربه كيسنجر على يده ؟!

لكن عرفات كان أذكى من كيسنجر .. لقد فعل كل ما أراده كيسنجر من أجل إعادة « التحالف الثالوثي » حتى أعاد هذا التحالف .. فهو بطل إذن .. ومنتصر في المعركة !!

وعرفات فعل هذا لأنه يقدر دور سوريا ويحب سوريا ، وحريص على زواجه الكاثوليكي منها ..

لذلك قال لمستمعيه من أعضاء المجلس الوطني ، ومن لا يعجبه الكلام فلينفلق : « أنا كنت أقول كلمة ، وهاي اخواننا يتذكروها .. بأحطش سوريا في ظهري سياسيا أنا كيف أحطّها سياسياً وعسكرياً . حصل حرب بيننا وبينها .. حصل خلاف بينا وبينها ، مجنون وخائن وأنا أقول لكم إذا ما كنتش أعمل كل ما في وسعي لإعادة اللحمة بيني وبين سوريا ، وإلّا بأخون شعبي .. وإلّا بأخون أمتي » !

هذا حكم أصدره عرفات على نفسه عام ١٩٧٧ .. حكم يتألف من كلمتين « مجنون » و « خائن » . وعلينا أن نأخذ حيثيات هذا الحكم ونتساءل ماذا يعني ما فعله عرفات حين تنكر لسوريا اثناء حصار بيروت وبعد الخروج من بيروت ، ووضعها في ظهره « سياسياً وعسكرياً » ، أم أن القانون العرفاتي في أنَّ من يفعل هذا هو « مجنون وخائن » لم يعد صالحاً للتطبيق عام ١٩٨٢ مثلما كان صالحاً عام ١٩٧٧ ؟!

المهم أن كل الرفاق الأعزاء ـ وأقولها صادقاً ـ ممَّن كانوا في موقع المتحامل على سوريا عام ١٩٧٧ وجدوا أنفسهم أمام اتهام عرفات الذي قادهم في أزمة بيروت بأنهم اذا استمروا في اتهام سوريا يكونون « مجانين » و « خونة » ! ووجدوا أنه ينفرد بتبرئة نفسه بالادعاء أنه قال لهم ذلك منذ البداية !!

وبتعميم هذه التهمة التي جعل منها فصل القول في ختام حديثه عن الأزمة اللبنانية ، قفز عرفات دفعة واحدة من بيروت الى باب المندب !! ومن باب المندب الى مضيق جبل طارق !! ومن مضيق جبل طارق إلى قبرص !!

لا غرابة في هذه القفزات المتباعدة .. وفي لعبة التشتيت الذهني التي تنطوي عليها ..

فقد قفزها عرفات خطابياً عام ١٩٧٧ ، وقفزها عملياً عام ١٩٨٢ ! وأثبت بذلك أنه يتمتع ببعد الرؤية ، وبقدرة خارقة على اكتناه أسرار المستقبل !!

ما هي الحكاية بالضبط ؟

٢٦ـماذا رأى عرفات عند مضيقي «باب المندب» و «جبل طارق» ؟!

قال ياسر عرفات أمام المجلس الوطني عام ١٩٧٧ ، بعد أن اتهم كل من يختلف مع سوريا « ويضعها في ظهره سياسيا وعسكريا » بأنه « مجنون وخائن » : « أنا لازم اعرف ماذا يحدث على باب المندب الآن ، ويجب أن أعرف أن هناك معادلة جديدة بدها تنشأ على البحر ، على باب المندب . واللي ما بقدرش يفهم هذه المعادلة الجديدة وبديش أفسّرها أكثر من كده ما بيقدرش يفهم اللعبة الدولية الكبيرة » !

الواقع أنه رغم أننا الآن في العام ١٩٨٧ ، أي أنه مضى على هذا القول حوالي عشر سنوات عجاف ، فإن كلام ياسر عرفات هذا يصلح لأن يكون موضوع مسابقة واسعة لاختبار ذكاء القراء !

ولكي نسهّل على قرائنا محاولة الفهم ، فإننا سنقدّم لهم بعض المعلومات الاضافية لعلها تفيدهم في التفسير :

ـ استأجر أو اشترى ياسر عرفات جزيرة مهجورة في البحر الأحمر قرب باب المندب ، وأطلق فيها قطيعاً من الغزلان .. ليس بهدف تنمية الثروة الغزلانية بكل تأكيد !

ـ اختار ياسر عرفات في اتفاقه مع فيليب حبيب للخروج من بيروت أن يرسل جزءاً من قواته إلى اليمن ، واختار صنعاء ـ قرب باب المندب ـ مقراً لقيادته العسكرية !

ـ أنفق ياسر عرفات ملايين الدولارات عام ١٩٨٣ لاقامة عرض عسكري في عدن احتفالا بذكرى الثورة الفلسطينية جنّد لنقل المشاركين فيه والمتفرجين عليه أسطولاً من الطائرات المدنية .. وقد ترددت صيحات جنوده في باب المندب !

هل توصلتم الى فهم ما قصده عرفات ؟

نحن وانطلاقاً من الثقة وحسن النيّة وصلنا الى الاستنتاج التالي :

لقد اكتشف القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية أن الطريق الى فلسطين لا يمر من جونيه وإنما من باب المندب ، وعليه فقد كان المكوث فى بيروت عبثاً لا طائل وراءه !

إننا لم نصل الى هذا الاستنتاج فقط استنادا إلى الفقرة السابقة المأخوذة من خطاب عرفات ، بل ومن العبارة المباشرة التالية التي قالها في خطابه ذاك :

« يجب أن نفهم ماذا يحدث في باب المندب ، وهو قوة لنا لأنهم يخشون أن يوصل ما بين باب المندب والثورة الفلسطينية » !

ولم يتوقف عند باب المندب ، فقد قال :

« تعتبر الولايات المتحدة مضيق باب المندب ومضيق جبل طارق من الممرات المائية الدولية . ما هو يعني إذا ما كنش القيادة لديها كل هذا البعد ما تصلحش للقيادة .. لازم تشطبوها » !

.. وأضاف :

« .. ولولا قبرص يمكن ما قدرناش نصمد يومين » ..

وما زال أعضاء المجلس الوطني يحاولون إلى اليوم أن يفهموا ماذا كان يعني بهذا الكلام ؟ هل أراد فقط أن يبعد أذهان أعضاء المجلس عن التفكير في حقائق أزمة لبنان ودوره فيها ، أم أنه كان يدير حديثاً جدياً ، ويفكر بشيء لا يخطر ببالهم ؟!

على أية حال ، كان كلام عرفات بهذا المنحى ينطوي على أحد

احتمالين :
- الأول أنه يفكر فعلًا بنجاعة تصور يدور فى ذهنه حول دور محوره المضيقان ..
- والثاني أنه يتظاهر بمعرفة ما لايمكن لعقل سواه استيعابه لكى يكون بوسعه أن يمرّر تبريره للواقعة المثيرة والخطيرة اللاحقة التي سينتقل اليها في حديثه ..

على أن ما يرجح الاحتمال الثاني أن عرفات قبل أن ينتقل بأعضاء المجلس الى باب المندب ومضيق جبل طارق قال « يقول زعيم صهيونى كبير يجب أن يفهموا هؤلاء كيف بنينا اسرائيل . لقد بنيناها شبراً بعد شبر وشجرة بعد شجرة . وإحنا كذلك يجب أن نفهم كيف نبني ونستعيد فلسطين . اذا أخذنا كم متر في الجولان أنا بأعتبر أخذت كم متر فى فلسطين » .

طبعاً الهدف من هذا الكلام هو الوصول الى صيغة للاقناع بالقبول بحل جزئي .. فهو لم يقل لنا كيف تؤخذ هذه الأمتار .. عنوةً بالقتال أم من خلال تسوية جزئية منفردة . وبعد انتقاله الى المضيقين عاد يردّ على منطق فصائل الرفض ، سواء بصدد العلاقة مع سوريا أو الموقف من الاردن والسعودية وأزمة لبنان .. وبصدد أزمة لبنان قال ببساطة رداً على من يقولون إن الثورة الفلسطينية قد حجمت « رجعت من صنين إلى المخيم .. طيب وأنا إيش لي في صنين » . ولم يفسر لماذا ذهب الى صنين اذن طالما أن لا شيء له هناك وماذا دفع من ضحايا في محاولة الوصول الى صنين !! وهل هو مسؤول عن دفع هذه الضحايا عبثاً أم لا؟! ثم انتقل إلى قصة أخرى .. قصة عينطورة وإخلائها من القوات الموالية له .

قال عرفات إنه اتفق مع قوات الأمن العربية أن تستلم المنطقة من عينطوره الى مونتفيوري . لكن « قامت الدنيا علينا .. وهاجت وماجت .. يا إخوان حرام عليكم .. أنا لي ست كتائب في هذا القاطع .. إذا حصل هجوم فلن أخرج سيارة . سيارة لن أخرجها أبداً . طبعاً إحنا بنحترم القيادة الجماعية .. اعملنا الاجتماع للقيادة الجماعية .. أنا في واحد قال لي إن قواته لوحديها بتصمد ١٤ يوم في القاطع طبعاً . بينما القيادة العسكرية اللي

اجتمعت قالت إن هذا القاطع اذا صمد ٤٨ ساعة تبقى معجزة . بدأ القتال . أرسل لي أبو مازن وأبو ماهر : الأخوة مستعدين لايقاف القتال .. مستعدين .. جمعت القيادة الفلسطينية واللبنانية . قلتلهم يا جماعة حرام عليكم .. ست كتائب حتنهرس ، قالوا طيب مين يروح .. مين يروح يفاوض السوريين ؟! قلتلهم أنا باروح أفاوض السوريين وخلي غيري ياخذ الست كتائب يكمل فيهم المشوار وأنا بأركن على جنب بعد كده . إلَّا صمموا ثم كان ما كان .. وراحت الست كتائب » ..

الواقع أن ما فقدته المقاومة في حينه كان شهيدين فقط، تعثراً بألغام فردية أثناء الانسحاب لا أكثر ولا أقل ! والواقع أن عرفات لا يحترم القيادة الجماعية أصلا .. وأن المشكلة أنه وقد اتفق على الانسحاب أراد تخريجة للانسحاب تحت القصف الشكلي بدل أن يصدر أوامر واضحة لقواته بالانتقال من تلك المواقع الى المواقع الأخرى .. والسبب تذرعه بأنها ترفض التنفيذ .. والواقع أنها لم تكن لترفض التنفيذ .. والدليل أنها كانت بقيادة أبو خالد العمله .. وأبو خالد العمله كان منذ ذلك الحين ضد منطق وسياسة وتصرفات قيادة عرفات ومتعاطف مع السوريين .. وهو أمر أعرفه جيداً .. وأزمة لبنان في ذلك الحين هي التي صنعت عملياً بذور الانتفاضة في فتح بعد الخروج وخاصة بين العسكريين .

ويكمل أبو عمار الصورة العاطفية .. البرقيات .. - المزورة بالتأكيد - التي يزعم أنها وردته من الأهل في الأرض المحتلة .. « شعبكم هذا الذي يعطيكم هذه الثقة وبيضحي معاكم هذه التضحية يجب أن تكونوا على مستواه » .

من ثم لحَّق عرفات على العقيد معمر القذافي مدَّعياً أنه مع التسوية ! وعاد ليعطي شحنة عاطفية « ما أنا بأصلي كنت صبح وظهر وعصر ومغرب .. وبأصلي ركعتين زيادة عشان أوقف القتال مع سوريا » .

والسبب .. أنه « معني بالهدف الاستراتيجي » !

وعندئذٍ يحين أوان الجدّ ، فيقول : « في ناس بتقول حذار من بيع الثورة بكيان مزيف ضعيف .. سمعتها في المجلس » .

ويبدأ الردّ : صلح الحديبية .. لينين وتروتسكي .. ومن ثم تزوير ما قاله تيسير قبعة بإيراده على طريقة « لا تقربوا الصلاة » : « أنا بهني تيسير لما بيقول نحن مع إقامة دولة على الجفتلك ـ لأنه يفهم ما معنى أن يحصل الفلسطينيون على هذه الدولة » !!

الواقع أن تيسير قبعة كان قد وضع شرطاً وهو أن يتم تحرير الجفتلك بالقوة .. أي نقيم الدولة على أرض نحررها بالقوة ودون أن نقدم تنازلات حتى ولو على الجفتلك .. والكل مع تيسير في هذا المنطق ، لكن عرفات أخذ نصف العبارة واستبعد النصف الثاني .

واتبع العملية بتمهيد آخر « لما بدي أخون علشان أبيع ثورة بدولة تحت رحمة فلان أو تحت رحمة علان أو تحت رحمة أمريكا أو تحت رحمة إسرائيل لا كانت الدولة ولا كانت السلطة » .

حقنة مهدىء !!

ثم « نحن ثوار نعطي أوامرنا لكل الساسة » !!

ثم نحن « الثورة الأولى في العالم أجمع » رغم أن البعض اتهمه عام ١٩٦٥ بأنه « مجنون وعميل » ! والشاهد الجنرال جياب الذي قال : « ما تتواضعش رفيق أبو عمار .. أنتم أعظم ثورة .. لأنه إحنا ورانا شوف السور .. شوف السند الصيني والسوفيتي اللي ورانا .. أما أنتم فإنكم تقاتلون في جزيرة محاصرة .. وخذوا بالكم » .

أنا أشك أن يكون الجنرال جياب قد قال لياسر عرفات هذا الكلام .. ومع ذلك لسنا بصدد مناقشة مدى الصدق فيه .. المهم أن ياسر عرفات أراد أن يخلق « جواً » ليصل الى نتيجة .. والنتيجة تبدأ بهذا التمهيد « كانوا يتمنوا أن نقول لا لجنيف وكانوا يتمنون أن نقول نعم لجنيف » . يقصد القوى المعادية .. وهكذا تستوي « لا » و « نعم » في المرحلة الأولى على الأقل ..

ويستطرد أبو عمار في سرد ما حدث في الأمم المتحدة .. ويعود الى الأزمة اللبنانية .. ثم عن مفاوضات الفيتناميين مع حكام سايغون في باريس .. ثم « نحن قيادة تصنع الحدث .. ولذلك نتفاعل مع الحدث ونتعامل مع الحدث » .. ثم تبرير لاعادة وصل العلاقة مع الأردن .. ثم حكاية تحريف

التصريحات كبتر للتناقضات وأخبار التنازلات التي تذاع وتشاع وتملأ الأسماع .. ثم الانجازات السياسية الضخمة في كمبالا .. ثم تبرير سحب مشروع طرد اسرائيل من الأمم المتحدة وإحالته الى قرار بإدانة العنصرية الصهيونية ! ثم عودة لحكاية التحجيم والضعف .. والرد « أنا رجعت علاقتي مع مصر ورجعت علاقتي مع سوريا » ونحن « لن نستطيع أن نحرر بلادنا بدون الشمال والجنوب » . ومن ثم الرد على الاتهام حول الاتصالات مع أمريكا « طيب الاتصالات الأمريكية هذه منذ سنة ١٩٧٣ حتى الآن زي ما بيقولوا مش قادرة تعطي فيزا لصبري جريس » . وكشف عرفات أن الطاقم قد زود في ذلك الحين بجوازات سفر تونسية ليتمكن من التحرك موردأ اسمي صبري جريس وعصام السرطاوي ! ومن ثم دخل للحديث عن الاتصالات الفلسطينية - الاسرائيلية ، وهي في الواقع مربط الفرس الذي دار من أجله كل هذه الدورة الطويلة بعد حكاية مضيقي باب المندب وجبل طارق ..

وتبدأ : - « الدولة الديمقراطية » « أهم مبادرة أعطاها العقل الفلسطيني » .

- « الدولة الفلسطينية » .. « ماكنش حد موافق عليها » .
- « ذهابي للأمم المتحدة » .. « ماكنش حد موافق عليه » .
- « زي ما بيقول كمال ناصر - الله يرحمه - نحن كالملائكة ندخل في الوحل ولا نتلوث .

-ثم حكاية مصافحة أو عدم مصافحة محمود درويش حين كان ضمن وفد من راكاح.

- ثم تقرير آلون حول كيفية مواجهة الفدائيين من الداخل .
- ثم رسالة للرئيس بونيه (الوساطة بين عرفات ورابين) . محاولة للفلفة القصة .
- ثم الاستنتاج الأهم الذي يبين كيف يفكر عرفات ، وما معنى ما فعله في لبنان عام ١٩٧٦ . لنتوقف عند هذه العبارات التي تضمنتها رسالة بونيه إلى رابين :

« إن مأساة لبنان التي كادت أن تدمر البلاد تؤكد على مركزية وأهمية المشكلة الفلسطينية وتؤكد على أن السلام والاستقرار في الشرق الأوسط الاستراتيجي لا يمكن أن يتم دون تحقيق الحقوق الشرعية والثابتة للشعب الفلسطيني ... الخ » .

هل كان بونيه هو كاتب الرسالة حقا أم عرفات ؟

وماذا تعني هذه الرسالة غير محاولة استثمار المأساة المثارة في لبنان من أجل التسوية ؟! وماذا تعني غير فتح الباب لعودة العلاقات الدبلوماسية بين الدول الافريقية واسرائيل بعد قطع هذه العلاقات إثر حرب تشرين ، وهذا ما حدث فعلا بسبب منهج وسياسة عرفات ؟!

خط بونيه ـ رابين كان مهما لعرفات كما قال لأنه علم من بونيه أن رابين أخبره أن هناك دولًا عربية مهمة « غيرت موقفها من منظمة التحرير ، وهي تريد الحل عن طريق الأردن » .

وطبعا لعب تصديق عرفات لهذه الأكذوبة الاسرائيلية دوره في قيامه بافتعال الصدام مع سوريا عام ١٩٧٦ لأنه علم من رابين عن طريق بونيه أنها غيّرت موقفها .. ولا تفسير لكلام عرفات غير هذا !!

ومن ثم « عصام ـ أي السرطاوي ـ مسكين ، ما احنا بندوّر على ضحية . اللي أنا بدي أوجه له الشكر لأنه يرضى يشتغل بهذا العمل الشائك » .

وتتوالى المترادفات « الهجرة المعاكسة » وادعاءات بأن الاتصالات تتعلق بالهجرة المعاكسة .. « فاتصلنا من ضمن ما اتصلنا بمجلس السلام لما قال بدولة فلسطينية » . « انتو موافقين على الدولة الديمقراطية » ولذلك لا بد أن أناضل مع كل قوة ديمقراطية تدعو اليها أو تمشي معاي خطوة » ! « هذا هو الاختراق » . ثم عودة إلى مثال فيتنام .. ثم « خلي أميركا تشيل ايدها عن اسرائيل ، ما انتهت اسرائيل ، ولا يهمني دباباتها ولا طياراتها لأنها بتموت من قلة البترول .. من قلة البترول بس » .

لنقف هنا ونلاحظ .. إن التنظير العرفاتي يتطابق مع التنظير الساداتي في هذه المسألة تطابقاً كليا ، مع ملاحظة أن التنظير العرفاتي كان سابقاً للتنظير الساداتي مما يشير الى احتمال أن عرفات هو الذي أقنع

السادات بالسير على النهج الذي سار عليه .. « إسرائيل تعتمد على أمريكا في كل شيء .. من الطيارة حتى رغيف العيش » و « ٩٩٪ من أوراق الحل في يد أمريكا » .. وفرط السادات ! وفرط عرفات !!

ونقطة اخرى يطرحها عرفات في ذلك الحين ، ثم يطرحها السادات حرفياً .. قال عرفات : « أعطوني فرصة .. إذا كان بعضكم موافق كان بها وبعضكم مش موافق أعطوني فرصة . نجحت كان بها ما نجحتش اشطبوني يا أخي .. جيبوا غيري . ما أنا لازم أهيء الكادر اللي بيقدر يعمل بيشتغل بهذه العملية الصعبة . كلكم نزلتم على عصام السرطاوي لأنه قبل يشتغل في هذه العملية » !

ألم يقل السادات مثل هذا وهو يتجه الى القدس المحتلة ؟!

الدورة ١٣ للمجلس الوطني الفلسطيني كانت في نيسان ١٩٧٧ والسادات فعل فعلته في خريف ١٩٧٧ بعد بضعة أشهر ..

فمن كان المنظر لكامب ديفيد في البداية : عرفات أم السادات ؟!

لقد أعطى عرفات المبررات للسادات لزيارة القدس وكسر ما أسماه بالحاجز النفسي ..

٢٧ـمن سار على نهج الآخر السادات أم عرفات؟

حين قال السادات أمام مجلس الأمة المصري في خريف عام ١٩٧٧ إنه مستعد للذهاب الى القدس المحتلة ، كان ياسر عرفات أحد ضيوف المجلس آنذاك .. وقد صفق عرفات مع مَن صفقوا .. بل ولعل تصفيقه هو الذي شجع من صفقوا آنذاك على التصفيق .. وليس هناك خبر واحد أو وثيقة واحدة تقول إن عرفات قد أبدى اعتراضه على قرار السادات الذي كان لا يزال فكرة لاحت له كما قال بعد ذلك وهو يستقل الطائرة متجهاً من فيينا الى طهران بعد لقاء سالزبورغ . على العكس من ذلك فإن كل الدلائل تشير إلى أن عرفات قد شدّ على يد السادات بحرارة في ذلك اليوم ، الأمر الذي رسَّخ في ذهن السادات فكرته وحوَّلها الى قناعة ..

الحقيقة الأهم من هذه الملاحظة ، هي أن ما فعله السادات كان عملياً تطويراً لنهج سار عليه عرفات ، وبدأه قبل أكثر من سنة ونصف من إعلان السادات لفكرته أو نيته في زيارة القدس المحتلة .. وإذا كان كل ما أوردناه كما قاله عرفات أمام المجلس الوطني الفلسطيني (نيسان ١٩٧٧) قد أوضح التطابق بين تصورات وتبريرات عرفات وتلك التي جاء بعد ذلك فتبناها السادات ، فإن من الضروري أن نتوقف عند مسألة الاتصالات

العرفاتية - الاسرانيلية في الحقبة التي سبقت دخول السادات كمين معسكر داوود ..

في الثاني من كانون الثاني ١٩٧٧ ، قال الجنرال الاحتياطي ماتياهو بيلد ، إنه يبدو أن الواقعية السياسية الجديدة التي لاحت مؤخراً داخل منظمة التحرير الفلسطينية تتدعم ، وكشف النقاب أنه يعود لتوه من أوروبا بعد إجراء محادثات مع مسؤول كبير يتولى منصبا مسؤولاً في منظمة التحرير الفلسطينية ، وذكر بيلد أن منظمة التحرير وافقت مبدئيا على التفاوض على أساس الموقف الذي تبنته الرابطة الاسرائيلية من أجل السلام مع الفلسطينيين ، وأن اجتماعات اخرى ستعقد في المستقبل القريب . وأضاف أنه وقع بيانا مع مفاوضه الفلسطيني .

فاروق القدومي سارع إلى نفي ما قاله بيلد ..

مكتب منظمة التحرير لم ينف الاجتماع ، لكنه نفى توقيع وثيقة .

السفير الصهيوني في باريس أكد وقوع الاجتماع ..

صحيفة عل همشمار الصهيونية نشرت يوم ١٩٧٧/١/٣ نص وثيقة بيليد ، وقالت إن مضمونها هو التالي :

« إن منظمة التحرير وفية لسياسة السعي إلى حل سلمي عادل للنزاع العربي - الاسرائيلي على أساس الاتفاق المتبادل على مبدأ الحرية والسيادة والأمن للشعبين . وتعتبر منظمة التحرير المبادىء المستفادة من بيان المجلس الاسرائيلي للسلام الاسرائيلي الفلسطيني أساساً صالحاً لحل النزاع الاسرانيلي - الفلسطيني » .

وقد أوضح أمنون كابليوك (١٩٧٧/١/٥) مبادىء السلام التي يشير إليها التصريح المدون أعلاه ، بأنها :

« ١ - إنشاء دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية لنهر الأردن وغزة .

٢ - الانسحاب الاسرائيلي الى ما وراء خطوط ٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

٣ - اجراء مفاوضات مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية » .

وواضح أن هذه المبادىء تعني :

١ ـ موافقة عرفات عبر ممثله عصام السرطاوي على منهج الحل الجزني المنفرد .

٢ ـ موافقة عرفات على إجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل .

٣ ـ موافقة عرفات على الاعتراف باسرائيل والتنازل عن حق الفلسطينيين بالعودة وتقرير المصير .

أي موافقة عرفات على منهج يتطابق بالمحصلة مع نهج كامب ديفيد الذي سار عليه السادات ..

إن ما أعلن في كانون الثاني ١٩٧٧ ، كان في الواقع كشفاً للنقاب عن اتصالات بدأت قبل ذلك بأشهر طويلة وترافقت تماماً مع الدور الذي لعبته قيادة عرفات في تفجير أزمة لبنان عام ١٩٧٦ .

ففي أوائل أيار ١٩٧٦ ، صرّح الزعيم الصهيوني ناحوم غولدمان أنه متفائل بإمكانية التسوية ، وقال إن رئيس وزراء مقرب للفلسطينيين اقترح عليه الاجتماع مع عرفات والقدومي ، وقد اقترح عليه القيام بدور الوسيط بين الحكومة الاسرائيلية وياسر عرفات الذي يريد هو ورجاله الاعتراف بإسرائيل ! فاذا ما أقاموا الدولة الفلسطينية في الضفة وغزة فقد يرغبون في إقامة اتحاد فيدرالي مع اسرائيل على الأقل في المجال الاقتصادي . وقال غولدمان في حينه أن الفلسطينيين يريدون تصريحاً ثنائياً ينادي بالاعتراف المتبادل بين اسرائيل والفلسطينيين (هامودیع ـ ١٩٧٦/٥/٤) .

ورئيس الوزراء الذي أشار اليه غولدمان لم يكن في الواقع سوى مندس فرانس الذي زار فلسطين المحتلة في النصف الاول من أيار ١٩٧٦ ، ومما قاله أثناء تلك الزيارة إن عرفات همس شيئا ما في إذن كيسنجر .. (عل همشمار ـ ١٩٧٦/٥/١٦) .

وكلام فرانس هذا مثير للتساؤل :

هل همس عرفات شيئا ما في اذن كيسنجر مباشرة أم عبر دين براون مثلا ؟

وهل للتهامس الذي جرى علاقة بالدور الذي لعبه عرفات في لبنان ؟

الواقع أن التصريحين المتطابقين الصادرين عن صلاح خلف (أبو اياد) والمجلس الاسرائيلي للسلام في حزيران ١٩٧٦ يشير إلى أن خطو

لقاء فعلية قد تمت بين أيار وحزيران ١٩٧٦ ، في وقت متزامن مع افتعال الصدام مع سوريا .

اللقاء اللاحق تم في ١١ أيلول ١٩٧٦ بين بيليد وليوبا الياف من جهة ووفد عرفاتي كان بين أعضائه سعيد حمامي . وقد ذكرت يديعوت أحرنوت، أنه تم في اللقاء توقيع وثيقة من المقرر أن تذاع قريباً في مؤتمر صحفي مشترك في باريس . وأن وزارة الخارجية الاسرائيلية كانت على علم بما يجري . وذكرت الصحيفة أن سعيد حمامي سبق أن اجتمع مع نفتالي السكرتير السياسي لحزب المابام ومع أوري أفنيري ومع ناتان ومع ليين مور المدير السابق لمجموعة شتيرن الصحفية .

وفي ١٩٧٦/١٠/٢٠ ، ذكرت إذاعة العدو أن أربع شخصيات اسرائيلية قد اجتمعت في فرنسا بممثلين عن ياسر عرفات . والصهاينة هم مئير ياعيل ، وأوري أفنيري ، وماتي بيليد ، ويعقوب أرنون . وكان من الأمور البالغة الدلالة اعلان أن الوفد الاسرائيلي قدم تقريراً الى اسحاق رابين وشمعون بيرس عن المحادثات .

وجاء التعقيب هذه المرة من صبري جريس أحد أتباع عرفات الذي طالب بدولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع الى جانب اسرائيل وقال إنه يشرفه أن يكون أول سفير للدولة الفلسطينية في اسرائيل (!) .

وفي يوم ١٩٧٦/١١/٥ ، ذكرت يديعوت أحرونوت أن الوفد الفلسطيني المفاوض في لقاءات باريس كان مؤلفاً من الدكتور عصام السرطاوي وصبري جريس وسعيد حمامي .

وكشفت الصحيفة يوم ١٩٧٦/١١/٢٤ النقاب عن اتصالات تجري لعقد اجتماع بين وفد فلسطيني ووفد من حزب المابام (شريك الماباي في تجمع المعراخ) ، وأن ممثلي عرفات أبدوا رغبتهم في الالتقاء بمسؤولين اسرائيليين .

وكان واضحاً أن كل شيء يجري بعلم الحكومة الاسرائيلية وموافقتها ..

ففي يوم ١٩٧٦/١٢/٢٩ ، أي قبل الاجتماع الذي فجَّر الزوبعة مباشرة

أذاع التلفزيون الاسرائيلي أن البروفسور أفرام كاتسير رئيس الكيان الصهيوني استقبل ليوبا الياف الذي عرض عليه نتائج الاتصالات التي أجراها في الخارج مع شخصيات فلسطينية خلال الأشهر الأخيرة ، كما عرض عليه مشروعات اتصاله .

لقد تمت هذه المقابلة قبل أن يتحرك بيليد الى باريس مباشرة ، ليجري تشكيل هيئة دائمة للاتصالات بين الطرفين ..

فاسرائيل ـ الحكومة كانت إذن طرفاً في اللعبة .

والادارة الأمريكية كانت كذلك طرفا في اللعبة ، ذلك أن الأسس والأفكار التي دارت اللعبة في إطارها قد حددتها عمليا وثيقة ساندرز التي نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٩٧٥/١١/٦ ، أي بعد اتفاقية سيناء الثانية بوقت قصير ..

فماذا كانت الغاية من إدارة هذه اللعبة ؟

رغم الارتباط الوثيق بين مجريات اللعبة عام ١٩٧٦ وما حدث في أزمة لبنان ، إلّا أن ما حدث في لبنان لم يكن سوى مشهد واحد من مشاهد اللعبة الكبيرة التي استهدفت تمهيد الطريق الى كامب ديفيد .

وسواء كانت قيادة عرفات قد مارست هذه اللعبة عن حسن أو عن سوء نية ، فإن المحصّلة كانت واحدة .

إن هذه القيادة قد ذهبت الى السادات وإلى الملك الحسن الثاني وإلى غيرهما وتحت ذريعة تشجيع عودة اليهود العرب إلى بلدانهم أولاً ، ثم ذريعة تشجيع اتجاهات السلام في اسرائيل والحركة الصهيونية ثانياً لتخرق المحرّمات ، ولتجعل من زيارة السادات للقدس المحتلة نقلة نوعية في عملية الاتصال بالصهاينة تستمد أهميتها من كون السادات هو حاكم مصر ، لكنها لا تختلف من حيث الجوهر عمّا فعله مندوبو ياسر عرفات .. ثم بعد الخروج من بيروت استقبل عرفات مفاوضيه الاسرائيليين في تونس العاصمة وأمام عدسات المصوّرين الصحفيين ... وفي الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني كان عرفات سعيداً لأن جزءاً كبيراً من الكادر الصحفي الأجنبي الذي دعاه لتغطية أعمال المجلس كان من الصحفيين اليهود الصهاينة ، وكان بعضهم يحمل جنسية اسرائيلية ـ أوروبية غربية

مزدوجة . فكلما ازداد الصهاينة من حوله كلما شعر بأنه يقترب من هدفه في فلسطين !!

إنها ظاهرة تحتاج بحدّ ذاتها الى الفهم .. والى الدراسة .. وإنني أعترف بأنه رغم كل تعقبي لممارسات الرجل ودراستي لها ، فقد بقيت عاجزاً عن تكوين فهم متكامل اطمئن إليه حول دوافعه وطريقة تفكيره ..

لقد كان سهلًا أن أصل الى تفسير سلوك السادات على أنه كان نتيجة مرض سيكوباتي يسيطر عليه منذ طفولته .. وأن أدلّل وأن تدلل الدراسات والملاحظات اللاحقة. التي أبداها الآخرون على صحة هذا التحليل .. أما عرفات فأمره مختلف .. وهو ليس مجرّد فرد في هذه الممارسة .. إنه واحد من مدرسة هو زعيم فيها .. وهذه المدرسة تضم أنماطاً متعددة من الأشخاص ، سواء من حيث المنشأ الطبقي ، أو الخلفية العقائدية والسياسية ، أو الارتباطات المحتملة ...

يكفي أن أشير هنا الى نموذج واحد من نماذج الأشخاص المحيطين به ..

واحد من مدراء مكاتبه .. ينحدر من منبت طبقي كادح .. وكان ينتمي الى حزب قومي تقدمي قبل أن يختار السير تحت مظلة عرفات .. أشار لي ونحن في قاعة المجلس في الجزائر الى صحفية ايطالية - يهودية .. كل ما حققته في تاريخها من مجد صحفي أنها نشرت خبراً مدسوساً من أوله الى آخره يزعم اجتماع مسؤول سوري بمسؤولين صهاينة ..

كان من الواضح أن الموساد هي مصدر الخبر .. وأن الصحفية اليهودية الايطالية مجرّد عميلة تافهة من عملاء الموساد ، ومع ذلك فقد كانت دعوة هذه الصحفية لحضور المجلس الوطني الفلسطيني موضع فخر السيد المحترم .. والمناضل العنيد !! وموضع تلميحه أننا قاصرون عن فهم كيفية التعامل مع الدنيا .. ربما كان يقصد القول « نسّهل للموساد مهماته فيكف بلاءه عنّا » ! أو « إننا نسخّر حتى الموساد في خدمة خططنا » !

لكنّ المشكلة لا تقف عند هذا الحدّ ..

أثناء مناقشات اللجنة السياسية طرح أحد رفاقنا في الصاعقة وجهة

نظر استفزت الطاقم العرفاتي وأشعرته بخطر انقلاب المائدة على رأسه نظرا لأن جزءاً هاماً من ممثلي فتح في تلك الدورة أبدوا معارضتهم لعرفات ..

فماذا فعل ؟

في صباح اليوم التالي كان هناك منشور غفل من التوقيع يتضمن ما دسته الموساد عبر هذه الصحفية « المحترمة » يوزع على أعضاء المجلس (سراً) . وذهبنا إلى غرفة التوثيق التابعة للمجلس فوجدنا الأصل الستانسل ما زال على الآلة الناسخة ! فما تدسُّه الموساد إذن هو في نظر قيادة اليمين مادة صالحة للنضال ضد الأنظمة العربية المعارضة لنهجها .. وعملاء الموساد الذين يشيعون هذا الدس هم ضيوف محترمون وأصدقاء طيِّبون !! ودولة عربية وطنية كالجزائر تقدم كل التسهيلات والامكانات لـ « ثوار فلسطين » فاذا بالمتنفذين في الثورة يستغلون هذه التسهيلات والامكانات لمصلحة عملاء الموساد !

كيف ؟

لن يعدم اليمين تفسيراً وطنياً لهذا السلوك ، إننا نستدرج الموساد إلى حارتنا لنلقي بالزيت المغلي على رأسه حين يحين الوقت » !

إنهم يحطمون المسافات بينهم وبين العدو .. ويدَّعون أن تحطيم هذه المسافات خاضع لتكتيك الثورة وليس إجهاضاً للثورة .. ويجدون من يقتنعون بهذا المنطق ، فيستسلمون مثلًا لرؤية قادة في الثورة يتعاملون مع أشخاص يعرفون تماماً أنهم جواسيس للعدو فقد يكون تجسس هؤلاء للعدو جزءاً من المهمة الثورية !

إن وصول عملية الاتصال بين اليمين الفلسطيني وبين الاسرائيليين إلى مثل هذا المستوى من الاختلاط وتقاسم « العيش والملح » هو أمر له مغزاه حتماً في فهم التفكير السياسي لليمين الفلسطيني .. كيف ينظر الى فلسطين الغد التي يريد أن يوجد لها دولة وأن يحكمها ؟ ماذا يكون نمط علاقتها باسرائيل وماذا يكون نمط علاقتها بالمحيط العربي ؟ هل تكون عدواً لاسرائيل يستقوي بالعرب أم جسراً بين اسرائيل والعرب أم حليفاً

لاسرائيل ضد العرب ؟ .

إن شعار « الدولة الفلسطينية المستقلة » هو في جميع الحالات الثلاث المتناقضة وارد ، فأي هذه الحالات تريدها قيادة عرفات ؟!

إن هذا هو السؤال الجوهري الذي يجب أن يطرح وليس أي سؤال آخر ، ذلك أن كل المؤشرات حتى الآن تشير الى أنّ عرفات يمهّد للخيار الثالث : خيار الدولة الفلسطينية المستقلة الحليفة لاسرائيل في مواجهة المحيط العربي .. وفي أحسن الحالات خيار الجسر بين اسرائيل والعرب وهو الخيار الذي ينسجم مع معطيات ما تسمّى بالصهيونية الجديدة .. أما خيار الدولة الفلسطينية المعادية لاسرائيل والتي تستقوي بالعرب فهو ليس خياره بكل تأكيد ، وذلك للأسباب الرئيسية التالية :

- إن من يتجه الى هذا الخيار لا يمارس عملية التطبيع في علاقاته بالاسرائيليين عبر فتح باب الاتصال بهم والمداومة عليه ، مقابل إثارته المستمرة للأحقاد ضد المحيط العربي .

- إن كل من يتجه الى هذا الخيار لا يضع سوريا « في ظهره سياسياً وعسكرياً » كما فعل عرفات فيكون ـ وكما حكم على نفسه أمام المجلس الوطني ـ عميلًا وخائناً ، ذلك أنه يظل بحاجة الى الاستقواء بالسوريين وبالعرب الآخرين لتنفيذ سياسته .

- إن المرحلة الممتدة من عام ١٩٧٦ وحتى عام ١٩٨٣ كانت على الصعيد العملي مرحلة انشغل فيها عرفات بمحاولة تثبيت هيمنة « الحمائم الفلسطينيين » على مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية .. وبعد الخروج من بيروت عمل بشكل سافر على نحر الصقور أو الفصل نهائياً بين الحمائم والصقور .. ومن يريد دولة فلسطينية مستقلة مقاتلة لا يفعل مثل هذا بصقورها .

- إن عرفات قد اختار مواجهة الغزو الصهيوني للبنان بعقلية الحمامة ولم يختر أن يواجهه بإرادة المقاتل ..

فلماذا اختار عرفات هذا الطريق ؟

٢٨ ـ الدولة التي يريدها عرفات

لماذا اختار عرفات طريق السعي الى اقامة دولة فلسطينية تكون حليفاً لاسرائيل وفي أحسن الحالات جسراً لها إلى الوطن العربي ؟

هل لأنه يؤمن بأن السياسية هي فن الممكن وأن هذا هو الممكن الذي يستطيع المراهنة عليه ؟ أم لدوافع اخرى ؟

الحقيقة أنه من كل ما أوردناه عن البدايات والمسيرة .. وحتى غزو العدو للبنان عام ١٩٨٢ وأوراق عرفات التي تكشفت أثناء وبعد ذلك الغزو ، تجتمع ملامح ومعطيات عديدة تساعد على تحديد الجواب .. ومع ذلك فإنه تظلّ جوانب غامضة لا نزعم القدرة على اكتناه سرِّها .. فالباحث يستقي استنتاجاته من استقراء الأحداث ، ولا يلجأ بحالٍ من الأحوال الى الرجم بالغيب ..

ولكن قبل أن ندخل في مناقشة هذه المسألة التي ستكون ختام دراستنا ، يتوجب علينا أن نقف قليلًا عند تجربة غزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ وحصار بيروت وما تلى ذلك الحدث الخطير ..

الغزو كان متوقعاً .. وعرفات صارح أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح بما يدور في خلده قبل وقوع الغزو : خريطة تتبدل .. تسوية تتم .. أين موقعنا ؟

لم ينشغل بالترتيبات الدفاعية العسكرية لمواجهة الغزو المحتمل بل بالشعار السياسي الذي يجب الاستعداد لطرحه .. بالتسوية !!

ويقع الغزو ..

أوامر عرفات الفعلية لقواته هي أوامر بالانسحابات الاستراتيجية وليس الصمود حتى الاستشهاد !

معظم القوات التي طبّق عليها عرفات سياسة التجييش انسحبت الى الوراء .. الى البقاع الشمالي بأوامر منه ..

الذين صمدوا هم الذين تمردوا .. أو كانوا خارج إطار أوامره العسكرية .. أو النساء والأشبال .. أو مقاتلو حركة أمل والقوى الوطنية اللبنانية !! وفي بيروت .. القوات السورية وجيش التحرير وأمل وقوات العقيد عبد الله صيام والمناضلون من مختلف المنظمات .. ولكن ليس بفضل خطة عرفات للمواجهة ولا تنفيذاً لاوامره بالمواجهة ..

منذ الأيام الأولى للحصار ، وعرفات يوالي التفاوض مع فيليب حبيب ، معلناً استعداده للخروج من بيروت !

يطول التفاوض ويطول الحصار .. ويطول الصمود .. لكن قرار عرفات بالخروج قائم ومعلن ..

ويخرج عرفات بقواته الى الشتات .. مدعياً تحقيق انتصار مجيد ..

ويتعمد عرفات الاساءة لسوريا .. لقواتها المقاتلة .. لشهدائها في معركتها القاسية ضد الغزو .. ويتعمد أن يعمِّم بأن تنتقل حتى معظم المقرات القائمة في دمشق الى تونس .. ثم يحاول نقل القوات المتواجدة في البقاع الى المنافي البعيدة ..

لقد خلص الرجل الى استنتاج هو أن القتال قد انتهى .. وأن لا أمل من ورائه .. وأن المراهنة هي على التسوية .. وعلى مشروع ريغان .. وعلى ضغط عربي سياسي يتم في هذا الاتجاه ..

ومن هنا أدار ظهره لسوريا التي تعارض هذه السياسة .. ولكي يقدم أدلّة إضافية على اعتداله تجعله مهيّاً لأن يكون شريكاً في التسوية .

تلك هي الصورة كما تبدت من خلال الوقائع ..

وربما حاول البعض تبرير السياسة المعلنة من الرجل بهذا الاتجاه

بالتساؤل ماذا يمكنه أن يفعل غير هذا ؟

لكن ما سبق أن أوردناه يكشف عن خيط متصل تعود خلفياته على الاقل الى أيلول عام ١٩٦٧ . فالمسألة إذن تتصل بنهج قيادة ولا تتصل بردود أفعالها وما يمكن أن تنطوي عليه في ضوء التطورات العملية للأحداث ..

والنظرة الاجمالية الى هذا النهج في مختلف أبعاده من شأنها أن تثبت الملامح الأساسية التالية :

١ ـ التركيز على استقطاب الفعالية الفلسطينية والهيمنة عليها في اطار سياسة هي في أخذ أبعادها الرئيسية تستهدف عزل النضال الفلسطيني عن النضال القومي ، وتحت شعار أن هذا العزل يبلور الشخصية الوطنية الفلسطينية بمواجهة الكيان الصهيوني ، وكان يمكن لهذا المنطق أن يندرج في إطار المنطق السياسي المعقول والمقبول ، لولا أن هذه العملية قد اقترنت مع تطور الزمن بسياسة ثابتة من وجهين : أولهما، تعزيز الفصل بين الفلسطيني وإطاره القومي لتحويلها الى علاقة مشوَّهة قوامها الخوف والحقد وعدم الثقة .. وباختصار خلق نزعة انعزالية فلسطينية مماثلة للنزعة الانعزالية التي أوجدها حزب الكتائب لدى منتسبيه في لبنان أو أشدَّ مرارة ! وثانيهما ، تنمية عملية الاتصال والتواصل مع الصهاينة ومع فكرة التعايش مع الاسرائيليين لتحويلها مع الزمن الى نوع من البديهيات المقبولة . أي أنها اجتهدت وبكل السبل والوسائل في خلق حالة قوامها محاولة انتزاع الفلسطيني من عروبته وتقريبه من الصهيونية أو تحويله الى لون من الصهيونية الجديدة .. فلسطينية البنية ولكنها ليست عربية الفكر !

٢ ـ محاولة ترويض العقلية الفلسطينية للقبول بمنطق أن أيَّ مخرج هو خطوة الى الأمام ، وبالتالي إمكانية القبول بأي حلٍ سياسي مهما كان مضمونه ، دون التفكير ملياً بنتائجه . وهي في هذه المحاولة سعت وإلى حد كبير نجحت في إنهاء مقولة أن الحفاظ على حيوية القضية الفلسطينية هو جزء من معركة استرداد الحقوق الفلسطينية . فالذين يتمسكون بمنطق الحفاظ على القضية باتوا متهمين بالتحجر والسفه وعدم القدرة على تحمل المسؤولية ، بينما بات من يبدون استعدادهم للتفريط رمزاً للمرونة

والفاعلية !

٣ ـ بعد اعطاء القيادات العربية مبرر التنصل من مسؤولياتها القومية المباشرة في معركة تحرير فلسطين ، عمدت الى تشجيع وتأليب وتبرير سياسة تطبيع العلاقات العربية ـ الصهيونية عبر فتح قنوات الاتصال لهذا التطبيع .. وكان آخر الأمثلة على هذا التفكير حادثة اختطاف السفينة الايطالية أشيل لوروا .. إن انتقال هذه السفينة تقل السياح الايطاليين بين الاسكندرية وأسدود لم يكن في حدّ ذاته سبباً أو مبرراً لاختطافها احتجاجاً على علاقات التطبيع بين مصر واسرائيل ، وإنما هو تبرير لعلاقات التطبيع ، بادعاء أن الغاية كانت استثمار هذا الانتقال لتنفيذ عملية فدائية في أسدود ! إن العمل الثوري المزعوم يصبح على هذا النحو صيغة للتغطية على كل الجرائم التي تقترف بحق القضية الفلسطينية ، وليس صيغة لخدمة هذه القضية ..

٤ ـ في مجرى تنفيذ السياسة اليمينية لنهجها فقد تمَّ إنهاك الشعب الفلسطيني واستنزاف قواه من جهة ، ومحاولة إجبار الطاقة العسكرية العربية على أن تكفَّ عن أن تكون قوَّة حسم للصراع العربي ـ الصهيوني .. والمحصِّلة في حالة نجاح هذه المحاولة هي دون أدنى ريب ضياع فلسطين الى الأبد ..

إننا حين نضع هذه الصورة الاجمالية أمامنا ، فإننا نجد أنفسنا أمام سؤال كبير وخطير ما الهدف الذي يحكم سياسة هذه القيادة ؟

○ هل هي تنطلق من حسابات المصالح الذاتية لأفرادها ؟

ـ الجواب غالباً هو بالنفي .. وحتى اذا مال البعض للقبول بمثل هذا الاحتمال ، في ضوء الظاهرة المتعلقة بحرص كل واحد من أقطاب قيادة اليمين في أن يكون تحت تصرفه رصيد خاص ، وأن تكون له علاقات متميزة ، وجهاز خاص ، فإن هناك حقيقة يجب ألّا تغيب عن البال وهي أن الكارتل الاقتصادي : تجاري ـ سياحي ـ زراعي .. الخ الذي أوجدته هذه القيادة يكاد يكون أكبر الكارتلات في العالم على الاطلاق .

○ هل تتضمن هذه الاعتبارات كون هذه القيادة تخدم الجماعة التي كانت

تنتمي اليها في الأساس (الاخوان المسلمين) ؟

- احتمال وارد ، ولكن ضمن حدود معينة . ونقول ضمن حدود معّينة لأنّ وصول حسابات جماعة الاخوان المسلمين إلى مستوى الدور المدمِّر الذي مارسته قيادة عرفات فلسطينيا من شأنه أن يعرض خطط الجماعة على الصعيد العربي للخطر ، لكننا نرى مع ذلك أن هذا الاحتمال ممكن إذا تبيّن أن في نشاط جماعة اليمين عربياً ما يصبّ في خانة تدريب وتسليح وتمويل جماعة الاخوان المسلمين ، وهو الأمر الذي ثبت جزئياً حدوثه على الساحة السورية - اللبنانية . وفي مثل هذه الحالة فإنه سيكون بوسعنا أن نجد تماما التفسير الحقيقي لشتات عرفات بين الجزائر وتونس والسودان واليمن الشمالي ، وتمسكه بعلاقته مع النظام الحاكم في مصر .. ففي هذه البلدان بالذات تتركز الخطط المرحلية لجماعة الاخوان المسلمين في السنوات الأخيرة .

○ هل تخدم قيادة اليمين أجهزة استخبارات أجنبية معينة ؟

- الواقع أن مثل هذه الشبهات تحيط ببعض فرسانها منذ أمد بعيد ، لكننا على أية حال نرفض أن نرمي الناس بالشبهات ، ومن ثم نكتفي بالاشارة الى ما يقال .

○ هل هناك صلة لقيادة اليمين بالماسونية ؟

- احتمال تتحدد إجابته من قناعة القارىء المترتبة على الاجابة على السؤال التالي :

ما معنى أن ينفعل قائد فلسطيني يرتجل كلمةً في محفل فلسطيني - وليس محفلًا ماسونياً - فيختتم هذه الكلمة بشعار الحركة الماسونية بدلًا من ترديد أحد الشعارات الفلسطينية المعتمدة ؟ هل يعني هذا التصرف وجود شبهة الانتماء الماسوني أم لا ؟ لقد وقعت هذه الحادثة أمام أعضاء المجلس الوطني في الدورة ١٣ للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة حين ردّ عرفات على وفد اتحاد الطلاب العالمي الحر - وهو اتحاد ليبرالي غربي مقره جنيف - الذي قدَّم له وسام الاتحاد .

○ هل أعضاء قيادة اليمين ملائكة يغوصون في الوحل ولا يتلوثون ؟

- لو أنَّ المسألة وقفت عند الغوص في الوحل لقلنا : ربما .. ربما هي

صيغة مكيافيلية في الممارسة السياسية تهدف إلى انتزاع الحق الفلسطيني من براثن غاصبيه ، أما أن تصل المسألة الى التفريط بالثورة والتفريط بالقضية .. فإن اجنحة الملائكة لا تكفي لاعطاء الملوّثين بالوحل صكوك البراءة ..

○ ولكن ، اذا كانت كل هذه الاتهامات تحيط بهم ، فبماذا نفسّر عداء العدو لهم ؟

ـ هنا يجب أن نتوقف بعض الشيء ..

إنها لحقيقة تستدعي التمعّن بالفعل أن نلاحظ أنه منذ عام ١٩٦٥ وأجهزة الاعلام الصهيونية لا تكاد ترى على خريطة العمل الفلسطيني إلّا « يمين فتح » ، ولا ترى من القادة من هم جديرون بالشتم إلّا قادة اليمين ، وأنه في أحيان عديدة تدخل الطيران الاسرائيلي ليقصف قواعد المقاومة حين يكون هذا التدخل مساعداً على سرعة تطويق أزمة تعترض قيادة اليمين ، وأن العدو عزف في مرات عديدة عن ممارسة سياسته العدوانية المعتادة حين يكون عرفات متورطاً في صدام جانبي . وهذا كله أسهم ولو جزنيا في تضخيم عرفات ـ الرمز ... عرفات الذي بات اسمه في العالم معروفا أكثر من اسم فلسطين ومن قضيتها .. فلماذا ؟! هل هو غباء المخططين للاعلام الصهيوني ؟!

لنلاحظ يوم توجب على عرفات مغادرة طرابلس كيف هبّت زوارق العدو تطوّق ميناء طرابلس ، بينما كانت الزوارق ذاتها على مدى شهور وشهور تراقب ولا تتدخل حركة القوات الموالية لعرفات ، وامدادات السلاح الى طرابلس ، بل وانتقال عرفات من قبرص الى طرابلس .. فكيف نفسّر هذا ؟

قد يقال إن العدوّ يتصرف في كل لحظة وفق مصالح استراتيجيته .. ونقول : هذا صحيح ، ولكن لماذا مصالح هذه الاستراتيجية تنسجم أو تبدو منسجمة طوال الوقت مع مصالح نهج عرفات ؟ أما الذين يدفعون الثمن فهم أبناء شعبنا ، وهم أبناء أمتنا ، وما يبدو عداء صهيونياً موجهاً ضدّ عرفات إنما هو في الواقع عداء موجّه لشعبنا ومقاتلينا .. بينما يبقى عرفات ومجموعة رموز القيادة اليمينية المحيطين به بعيدين دائماً عن الخطر

وكأنّ يداً سحريَة تحميهم من كل خطر ؟!

تساؤلات كثيرة ومريرة تطرحها قصة ثلاثين عاماً من العبث .. ولا شك أن الحقيقة ستظهر يوماً ما .. قد يدوّنها ياسر عرفات بنفسه .. وقد يدوّنها خالد الحسن .. أو صلاح خلف .. أو محمود عباس .. أو خليل الوزير .. وقد يدوّنها آخرون مثل كامل الشريف أو سعيد رمضان .. وقد يأتي تدوينها في نطاق المباهاة بنجاحهم في أداء دور كبير ، أو في نطاق رغبة أحدهم في التعبير عن صحوة الضمير .. أو في نطاق تبرئة النفس بمواجهة الغير .. أو في نطاق قول الحقيقة عن مجمل الدوافع والظروف التي أحاطت بعملهم ..

ولكن هناك حقيقة ينبغى علينا أن ندونها ونحن نختتم موضوعنا ، وهو انه لو لم تكن قيادة اليمين يمينية .. ولو لم تكن لكل أو لبعض أعضائها ارتباطات خاصة بقوى عربية وأجنبية .. لما تسنّى لها أن تصل الى حجم القوّة الذي وصلته .. وهذا ما يجعل البعض يستخدم عبارة « التورط » في وصف دوافع الوقوع في الأخطاء والاصرار على النهج الخاطىء .. أما عرفات فإنه كان حريصا باستمرار على المقارنة بين نموذجين : أولهما الثوار الاشبه بالملائكة التي تغوص بالوحل ولا تتلوث وثانيهما الأطهار (البيوريتانز) وهم في نظره لا يمكن أن يكونوا ثواراً مؤهلين لتحقيق الهدف ..

عرفات يميّز جماعته باستمرار بالنموذج الاول ، ويصف بقية القوى الفلسطينية بأنها تنتمي الى النموذج الثاني ، ويدعوها إليه .. الى الوحل كي تغوص فيه ولا تتلوث ..

ومن المنطقي أن نسأل : هل هو من الضرورة بمكان أن يغوص الثائر في الوحل وأن يضعنا أمام السؤال عمّا إذا كان قد تلوث أو لم يتلوث ؟!

عرفات يرى الغوص في الوحل ضرورة.. أما نحن فإن كثرة غوص عرفات وجماعته في الوحل قد أوصلتنا الى الاستنتاج بأن هؤلاء الذين جعلوا الغوص في الوحل مهمتهم وليس إحدى ضرورات العمل الثوري التي يحتمل أن ترد في السياق ، حيث مكان الثائر عادة هو اقتحام النار لا

الوحل ، ليسوا ملائكة .. وليسوا ثوارا .. وإنما غايتهم إغراق شعبنا في المستنقع ..

وعليه نقول : إن ثلاثين عاماً من العبث تكفي .. فليمسك الأطهار زمام القياد .. وليعتكف عرفات وإخوانه حتى وإن كانوا ملائكة تغوص في الوحل ولا تتلوث .. لقد كانت انتفاضة قواعد فتح على قيادة عرفات دليلًا قاطعاً على أن الذين استمرأوا لعبة الغوص في الوحل لم يكونوا ملائكة وإلّا لتابعت هذه القواعد لعبة الغوص .

٢٩ ـ نحن بحاجة إلى انتفاضة شاملة وإعادة ترتيب كاملة للبيت الفلسطيني
اليمين ليس مجرَّد رموز تسقط بل بنية مؤسساتية تحتاج إلى التغيير

لو لم يكن للانتفاضة في حركة فتح من دور غير أنها أشاعت الشعور بالشك في أهلية ياسر عرفات للاستمرار في قيادة الساحة الفلسطينية ، لكان هذا كافياً لتثبيت الدور التاريخي للرجال الذين قاموا بها ..

لقد تمكن ياسر عرفات خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٨٢ من تحقيق هيمنة مرعبة على ساحة العمل الفلسطيني .. وكانت هناك أسباب عديدة مكنته من هذه الهيمنة . على أن أهم هذه الأسباب هو أن نبض المقاومة الفلسطينية ككفاح مسلح قد فتر في هذه الفترة فتوراً جعل لمن يمسك بزمام الحركة على الصعيد السياسي حرية مطلقة في التحرك دون أن يكون بوسع الفصائل الأخرى أن تصرخ بصوت مسموع ..

وفي الوقت ذاته فقد أخذت لعبة الهيمنة المالية تأخذ مجراها في الساحة الفلسطينية .

إن قيادة عرفات هي الصنبور الذي يكسي ويعري .. يطعم ويجيع .. يشفع ويمنع وفي ظل مثل هذه الهيمنة يسود مبدأ المداراة ..

لقد أمسك عرفات بالشعب من تلابيبه في كل قضاياه الحياتية ، فالطالب والعامل والمريض والراغب في السفر من أجل العمل أو حتى السياحة بحاجة الى رضى السيد عرفات وأتباعه ليتمكن من قضاء حاجته إلّا فيما ندر .. ونسي عرفات تماماً أن هناك قيادة لمنظمة التحرير إسمها اللجنة التنفيذية ..

إن الخارج تحكمه رابطة عرفات ـ الدائرة السياسية ـ مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية المهيمن عليها عرفاتياً .

والداخل تحكمه لجنة الأرض المحتلة في عمان المتحكمة بإنفاق أموال دعم الصمود والمسيطر عليها فتحوياً .

وحرية الفلسطيني في نيل جواز السفر .. تأشيرة السفر .. التسجيل للدراسة الجامعية .. المعالجة الطبية .. الخ كلها خاضعة لحكم الضرورة المتمثل بالرضى العرفاتي إلّا فيما ندر ..

لقد تخلت معظم دول العالم عن إرادتها الخاصة فيما يتصل بصيغة التعامل مع الانسان الفلسطيني ، واعتقدت أنها تعبر عن تأييدها للفلسطينيين بأن تمنح لقيادة ومندوبي منظمة التحرير كل الصلاحيات بما فيها قرارات الطرد والابعاد والحرمان !

وقد استغل بعض هؤلاء الصلاحيات الممنوحة لهم لكي يفعلوا بشعبنا كل ما يعجز العقل عن تصوُّره ..

لقد نسوا تماماً ذلك المذهب الأخلاقي الذي يقتضي ممن يمثل الجميع أن يكون في خدمة الجميع دون استثناء .

تلك قضية لم تطرح بعد .. وربما لا تزال غائبة حتى عن أذهان الحكومات ..

إن حقوق الانسان الفلسطيني قد انتهكت بشكل صارخ .. وأنا استعمل هذا التعبير المخفف لأنَّ غصَّة في الحلق منعتني حقيقة من أن أقول ما كان يجب أن يقال ـ قد انتهكت من قبل قيادة اليمين وبعض مدراء مكاتبها ، ومن ثم الحكومات التي تركت لمدراء هذه المكاتب أن يكونوا

أصحاب قرار فيما يتصل بالانسان الفلسطيني ! ومن ثم الحكومات التي اضطرت لأن تواجه عبث اليمين وأخطار هذا العبث .

إن قطاعات هامة من شعبنا تعيش في ظل قيادة اليمين في وضعية الأسرى لا في وضعية المقاتلين .. ولو خُيّرت .. ولو حررت .. ولو منحت بطاقة مرور لاختارت مواقع غير التي تقف فيها الآن ..

إن عطف الآخرين ومحبتهم قد تحوّل بالنسبة لشعبنا إلى نقمة بدل أن يكون نعمة .. والى جحيم بدل أن يكون جنة ..

وكان لوعد اليمين بالتحول إلى الإرهاب نتائجٍ اكثر مرارة .. فقد قاد الى جعل الظاهرة السائدة هي أن الفلسطيني متهم حتى تثبت براءته ..

وتلك هي باختصار شديد ملامح الوضع الذي يعاني منه الفلسطينيون كشعب، وفي كل مكان من العالم تقريباً .. وهي أصعب الظروف المعيشية والنفسية التي مرّوا بها في تاريخهم رغم مرارة الضربات الكارثية التي تلقوها في الماضي وما زالوا يتلقونها .

إن سبل العلم والعمل والانتاج تتقلص تقلص سبل مقاومة الاحتلال الصهيوني ..

وجيش من الشباب الفلسطيني بات مشرداً بعيداً عن الأرض العربية بلا عمل وبلا هوية ..

وآلاف من العائلات الفلسطينية باتت عاجزة عن استخراج وثائق قيد نفوس لمواليدها الجدد . أو تحويل وثائق قيد النفوس إلى بطاقات شخصية وجوازات سفر ..

وحين يصف الانسان الفلسطيني الآن وضعه الناجم عن سياسة قيادة اليمين .. تحالفاتها وخلافاتها .. بأنه بات يتلقى ضربة على الحافر تليها ضربة على النافر .. وهكذا دواليك .. فلا يعرف المخدة التي يمكن أن يضع عليها رأسه لينام ، فإنه يقدم وصفاً دقيقاً للحالة المحزنة التي هو فيها ..

إن هذا الواقع المؤلم يقتضي الحسم في قضية الانقسام الحادث في الساحة الفلسطينية باتجاه إنهاء دور قيادة اليمين كلياً في قيادة العمل الفلسطيني .. وإلاّ فإن النتائج المؤسية للانقسام الفلسطيني الراهن ستقود

الى تراكمات سلبية أكثر تعقيدا ، وإلى تحميل الانسان الفلسطيني آلاما جديدة كبيرة هي أشبه بالفأس التي تحطم رأس هذا الانسان توطئة لاقتلاعه مهشما من جذوره بعد أن عجزت كل الوسائل في اقتلاعه من الجذور ..

فما هو السبيل لانقاذ شعبنا من هذا الوضع ؟

إنه لا يكفي أن نطالب باسقاط هيمنة اليمين لتكون المشكلة التي نحن إزاءها قد حلت .. فالفصائل والقوى الوطنية الفلسطينية المعارضة لنهج اليمين والمصممة على استمرار نهج الكفاح المسلح ، يتوجب عليها أن تعيد النظر في بناها التنظيمية وأنماط ممارستها النضالية باتجاه خلق البديل الحقيقي الصحيح والمعافى للوضع الذي كان سائداً في ظل القيادة اليمينية ..

وفي يقيننا أن أبسط وأوضح قواعد وقوانين العمل النضالي من أجل التحرير والمرتكز على أسس ديمقراطية صحيحة ، هو أن نسلّم بمبدأ التعددية الايديولوجية ووحدة الأداة المقاتلة . وهي صيغة معاكسة تماماً للصيغة التي أشاعها اليمين في الساحة الفلسطينية .

وإن تجربة المقاومة الوطنية اللبنانية هي أمامنا أحد الشواهد الحية المحسوسة والملموسة .

فتحت راية جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية تقاتل كل القوى الوطنية اللبنانية دون استثناء .

إن اقتراحنا يفترض :

١ - اندماج كافة القوات الفلسطينية المقاتلة نظامية وفدائية في إطار جبهة المقاومة الوطنية الفلسطينية المؤسسة العسكرية الواحدة الموحدة التي تعبىء كل طاقات شعبنا العسكرية . على أن يتم ذلك وفق نظام داخلي خاص بهذه الجبهة . وسيكون بوسع هذه الجبهة استقبال المناضلين السوريين واللبنانيين والعرب الراغبين في الانخراط في المقاومة الوطنية الفلسطينية .

٢ - لفصائل المقاومة القائمة الآن أن تتخذ القرار المناسب بحلّ نفسها أو تحوُّلها الى حزب سياسي أو اندماجها في حزب سياسي آخر ، بحيث تعبِّر عن نشاطها الايديولوجي من خلال حزبها السياسي ، أما الكوادر التي

تقرر فرزها للعمل العسكري فتضعها تحت تصرف الجبهة ..

٣ ـ للجبهة مهام التدريب والتسليح والتوجيه المعنوي وادارة النشاط المقاوم وللاحزاب نشاطها التنظيمى والاعلامى فى صفوف الجماهير والمنظمات الشعبية .

٤ ـ يعاد تشكيل المجلس الوطني الفلسطينى على اسس هذه البنية الجديدة بحيث تتمثل فيه جميع القوى تمثيلا مناسبا . وتنبثق من خلاله اللجنة التنفيذية الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

إن تفاصيل كثيرة حول صيغ العلاقات وطبيعة المهمات التى يمكن ان تترتب على إعادة تنظيم الوضع الفلسطيني على هذا النحو يمكن ان تقال . على أن أهم ما يجب أن يقال هو أن إعادة التنظيم على هذا النحو يمكن ان تكون أيضا مدخل انهاء الانشقاق القائم فى منظمة التحرير الفلسطينية فاللجنة المركزية لفتح عليها أن تخرج من دائرة الهيمنة الى دائرة ... بان تنتسب مكانها ضمن البنية الجديدة يقتضى :

١ ـ وضع كافة العناصر المقاتلة الموجودة تحت تصرفها من جيش التحرير وحركة فتح وغيرها تحت تصرف جبهة المقاومة الوطنية الفلسطينية لتدمج فى التشكيلات العسكرية لهذه الجبهة .

٢ ـ ... حركة فتح (اللجنة المركزية) او اعلامها ... للاحزاب السياسية الفلسطينية الاخرى وعليه ما عليها . وعلاقته بالاقطار العربية الاخرى هو شان داخلى خاص به مثلما هو الامر بالنسبة لكافة الاحزاب السياسية الفلسطينية الاخرى .

ان ما يحفزنا على طرح مثل هذا التصور للحل هو اعتقادنا ... القائم فى الثورة الفلسطينية لا يقف حصرا عند ظاهرة هيمنة ... الفلسطيني وممارساته .. ومن ثم فان البرء من هذا الخلل لا يتحقق بمجرد التخلص من رموز القيادة اليمينية مالم تنصب حركة الاصلاح ... والتثوير على البنية الموسساتية للثورة ، اي ما لم ... الانتفاضة كحركة تصحيح داخلية في حركة فتح الى مرحلة الانتفاضة الشاملة كحركة تصحيح لاوضاع الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية بشكل عام .. وما لم ننتقل من مرحلة خلط الاوراق السياسية

والعسكرية والخدماتية .. إلخ مع تعدد الفصائل - دون مبرر منطقي - إلى مرحلة ينتهي فيها هذا الخلط للأوراق ..

نعرف أن الذين يمكن أن يعارضوا مثل هذا التصور كثيرون .. لأن المصالح التي يمكن أن يتضرر أصحابها من سيادة مثل هذا التصور كثيرة .

ولكن .. إذا كان علينا أن نحاصر اليمين الفلسطيني ونجرده من أوراق هيمنته فإن علينا أن نتخلص من أوراق مصالحنا الذاتية ، وإلَّا نكون في موقع الصورة المشوَّهة لليمين ويكون علينا أن ننتظر عندئذٍ جيلاً جديداً من ثوار شعبنا يجهز على كل ما خلفه اليمين الفلسطيني من ظلال ومرتسمات في ساحتنا ، ويحقق لها الطهر والبراءة ، وعندئذ فإن الرؤوس التي أينعت وحان قطافها ستكون كثيرة ..

للمؤلف

١ – في ظل وادي الصمت (شعر) دار الأدباء ـ القاهرة ١٩٦٣.
٢ – مدفعية إسرائيل النفسية وحرب حزيران ـ دار الآداب ودار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨.
٣ – الحرب النفسية ودورها في المعركة، منشورات الطلائع – دمشق ١٩٦٩.
٤ – خسائر العدو البشرية وأكاذيب الناطق العسكري الاسرائيلي – منشورات الاعلام المركزي بحركة فتح – دمشق ١٩٧١.
٥ – الثورة الفلسطينية في قطاع غزة ، منشورات مكتب دمشق بمنظمة التحرير الفلسطينية ، دمشق ١٩٧١.
٦ – ملاحظات على طريق التحرير ، دمشق ١٩٧٢.
٧ – الوظيفة الثورية للاعلام الاشتراكي ، دمشق ١٩٧٣.
٨ – المقاومة الفلسطينية والايديولوجيا الثورية، منشورات الطلائع ، دمشق ١٩٧٣.
٩ – المرتكزات النفسية للفكرة الصهيونية ، منشورات الطلائع ، دمشق ١٩٧٣.
١٠– الدولة الفلسطينية في الاستراتيجية الصهيونية ، دار فلسطين العربية ، دمشق ١٩٧٤.

١١- المقاومة الفلسطينية وحرب تشرين التحريرية، مكتب العمل الفدائي القومي ، دمشق ، ١٩٧٦.

١٢- نقش على الأنامل (شعر) ، منشورات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، دمشق ١٩٧٤

١٣- نظرات جديدة على الصهيونية ، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي بجيش التحرير الفلسطيني، دمشق ١٩٧٣.

١٤- كمين معسكر داود ، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي بجيش التحرير الفلسطيني، دمشق ١٩٧٨.

١٥- البعث والكيان الفلسطيني ، منشورات القيادة القطرية للتنظيم الفلسطيني الموحد لحزب البعث العربي الاشتراكي، دمشق ١٩٧٦.

١٦- المقاومة الفلسطينية والأزمة اللبنانية، منشورات إدارة الشؤون [illegible] المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني، دمشق ١٩٧٧.

١٧- [illegible] الاستراتيجية القومية لدولة الإمارات العربية المتحدة، دمشق ١٩٧٨، (بالاشتراك مع العقيد محمد الشاعر).

١٨- [illegible] في الهواء (شعر)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٠.

١٩- [illegible] اللبنانية ومواجهتها، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي بجيش التحرير الفلسطيني، دمشق ١٩٧٩.

٢٠- فتح في مرحلة التأسيس، منشورات ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي بجيش التحرير الفلسطيني، دمشق، ١٩٧٧.

٢١- فتح والرمايه الداخلية، [illegible]، دمشق، ١٩٧٩

٢٢- من [illegible] الفدائيون؟ منشورات الطلائع، دمشق [illegible]

٢٣- [illegible] العمل الصهيوني ومداخل التأثير عليها، دار الجليل، دمشق ١٩٨١.

٢٤- حول النشأة التاريخية للايديولوجيا الصهيونية، دار الحسين، دمشق ١٩٨٤.

الفهرس

هذا الكتاب

□ في هذا الكتاب أسرار ووقائع .. أسرار تنشر .. ووقائع تربط بخلفياتها ونتائجها لتساعد في فهم الحالة الفلسطينية الراهنة ، لا بهدف التشهير ؛ ولكن بهدف استكشاف افاق التصحيح ، وافاق تحقيق استمرارية الكفاح الفلسطيني المسلح من أجل تحرير التراب الوطني الفلسطيني. فبدون تصحيح المسار سيبقى النضال الوطني الفلسطيني عرضة للعبث الذي يبدد الطاقات والإمكانات دون أن يقرِّب الثورة من النصر.

دار الجليل

دمشق ص. ب ٨٤٦٦ . هاتف ٤١٥٠٨٩